

١١٧

تاريخ المصريين

تاريخ القضاء في مصر العثمانية

(١٥١٧ - ١٧٩٨)

عبد الرازق إبراهيم عيسى



الهيئة المصرية
العامة للكتاب



Bibliotheca Alexandrina



0016491



تاريخ القضاء في مصر العثمانية
(١٥١٧ - ١٧٩٨)



تاريخ المصريين

(١١٧)

● تاريخ المصريين

رئيس مجلس إدارته:

د. سمير سرسكان

رئيس التحرير:

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

محمود الجزار

تصدر من

الهيئة المصرية العامة للكتاب

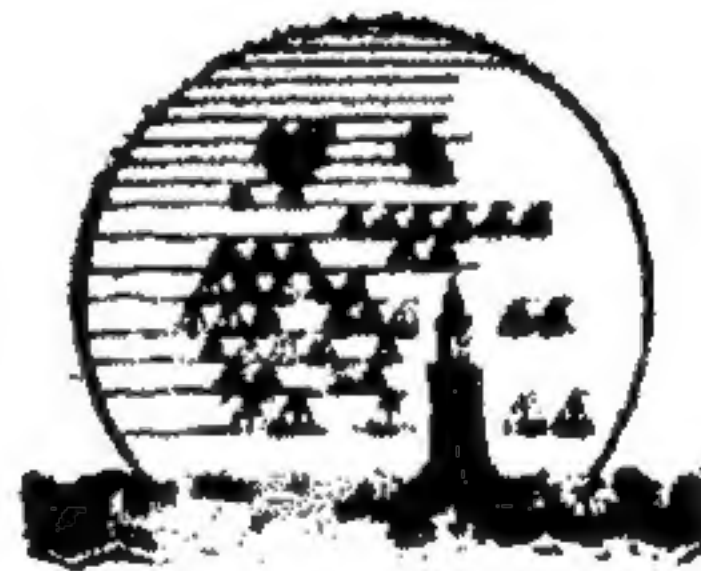


٩٦٢.٥٣
٩٦٢.٥٣
٩٦٢.٥٣

تاريخ القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧ - ١٧٩٨)

عبد الرزاق إبراهيم عيسى

الهيئة العامة للكتاب	
٩٦٢.٥٣	رقم التسجيل
ع. ع. ع.	رقم الترخيص



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة
١٩٩٨

تقديم

بقلم : رئيس التحرير

يسرني أن أقدم للقارئ الكريم هذه الدراسة عن « تاريخ القضاء في مصر العثمانية » التي كتبها الأستاذ عبد الرزاق إبراهيم عيسى . والدراسة في الأصل رسالة أعدها الباحث للحصول على درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة عين شمس تحت إشراف الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى والدكتورة ماجدة مخلوف ، ومن ثم فهي تنطبق عليها مقاييس الدراسة العلمية الأكاديمية .

وموضوع القضاء في مصر العثمانية من الموضوعات التي لم تلق عليها أضواء كافية ، على الرغم من أن مصر كانت تحت السيادة العثمانية منذ فتح سليم الأول سنة ١٥١٧ حتى الحرب العالمية الأولى من الناحية القانونية ، أو حتى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ من الناحية الفعلية . وفي أثناء ذلك كان

القضاء في مصر يتبع الدولة العثمانية ، ويتم تعيين قضاة مصر من قاضي عسكر الأناضول .

وقد قام الباحث بدراسة هذا الموضوع المهم ، فقسمه الى خمسة فصول ، عالج في الفصل الأول نظام القضاء في الدولتين المملوكية والعثمانية ، وعقد مقارنة بين النظامين لتوضيح التغيرات التي طرأت على أوضاع القضاء والقضاة وفقا لهذه المتغيرات السياسية .

أما الفصل الثاني ، فتناول فيه الاختصاصات القضائية في مصر في العصر العثماني ، وحدودها ، وتوزعها بين القضاة من جهة والوالي العثماني من جهة أخرى ، والفئات التي كانت تتمتع بالسيادة القضائية وتخضع للولاية القضائية للقضاة .

وفي الفصل الثالث تناول الدور الإداري والسياسي للقضاة ، واختصاصات « قاضي عسكر » ، الذي هو رئيس الهيئة القضائية في القاهرة ، واختصاصات قضاة الشرع في الأقاليم . كما تناول الدور السياسي للقضاة في فتنة السباهية وكذلك فتنة أفرنج أحمد .

أما الفصل الرابع فتناول فيه الباحث الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقضاة ، وأصولهم الطبقية ، وحياتهم العلمية ،

وفي الفصل الخامس تناول الجهاز المعاون للقضاة من الشهود والكتبة والوكلاء والخبراء وأمناء السجلات والانكشارية والمحضرين

والمفتين والاختصاصات المنوطة بكل منهم وقد اعتمد الباحث على المصادر الأولية الممثلة في الوثائق غير المنشورة والموجودة في الشهر العقارى ودار الوثائق القومية ودار المحفوظات العمومية بالقلعة وغيرها .

والبحث على هذا النحو يمثل اضافة مهمة لتاريخ مصر وللمكتبة العربية والسلسلة « تاريخ المصريين » ، وهو جدير بالقراءة .

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

10

10

10

10

المقدمة

بالرغم من ظهور بعض الدراسات العلمية التي تناولت جوانب مختلفة من العصر العثماني فما زال هناك العديد من الجوانب التي يكتنفها الغموض ولاسيما في النواحي الاجتماعية والاقتصادية ، فموضوع هذا البحث هو القضاة في مصر في العصر العثماني ١٥١٧ : ١٧٩٨ م .

ومما حفزني على دراسة هذا الموضوع أنه بالرغم من وجود دراسات علمية تناولت القضاة وأوضاعهم وأحوالهم في العصر المملوكي وكذلك في القرنين التاسع عشر والعشرين فقد أهمل تاريخ القضاة وأوضاعهم واختصاصاتهم في العصر العثماني ولم تظهر عنهم سوى اشارات قليلة في بعض الكتابات المتعلقة بذلك العصر بوجه عام . كما ساد الاعتقاد بتدهور أوضاع القضاة في هذه الفترة وتناولهم الرشاوى وغيرها من الأمراض الاجتماعية .

كما يمثل دراسة موضوع القضاة في مصر ابان العصر العثماني قدرا كبيرا من الأهمية ، وذلك لكون مصر أصبحت مجرد ولاية تابعة للدولة العثمانية بعد أن كانت دولة كبرى . وترتب على هذا الوضع أن أصبح قضاة مصر يصدر قرار تعيينهم من قاضي عسكر الأناضول . كما أن التغييرات التي حدثت في أوضاع القضاة

فى العصر العثمانى من التغيرات النادرة التى أحدثها الفتح العثمانى
لمصر .

ولم يهتم أحد من الرحالة الأجانب أو قناصل الدول الأوربية
فى مصر بوصف اختصاصات القضاة ولا أوضاعهم فى هذه الفترة
وربما كان ذلك بسبب الأحداث السياسية والفرق العسكرية والعرب
وقادة الممالىك لارتباط ذلك بأعمالهم التجارية .

ولقد دفعتنى هذه الأسباب الى دراسة هذا الموضوع لمحاو
جلاء غموضه وقسمت البحث الى خمسة فصول وخاتمة .

تناولت فى الفصل الأول القضاة فى الدولتين المملوك
والعثمانية حتى نستطيع موازنة نظم القضاة فى الدولتين
وعرضت لأوضاع واختصاصات القضاة وكذلك لعلاقاتهم بالطب
الحاكمة وبالشعب . وذلك حتى يتبين لنا مدى الشبه والاختلاف ف
أوضاع القضاة بعد الفتح العثمانى لمصر .

وفى الفصل الثانى تناولت الاختصاصات القضائية للقضا
فى مصر حيث تناولت كل قاض على حدة واختصاصاته القضائى
وكذلك كيفية تعيينه ومدة شغل الوظيفة وكذلك مقره . كما تناولت
فى هذا الفصل الاختصاصات القضائية للباشا العثمانى فى مصر
حيث تمتع باختصاصات قضائية تبعا للتقليد الاسلامى لولى الأه
بالفصل فى قضايا الدم والخراج ، واستمر هذا الأمر فى الدول
العثمانية . وفى نهاية الفصل قمت بتوضيح أن الولاية القضائى
للقضاة لم تكن شاملة كافة طبقات الشعب فقد استثنى منها الأشراف
الذين تمتع نقيبههم بنوع من السيادة القضائية عليهم وكذلك فرق
الانكشارية وهناك الأجانب الذين منح قناصلهم نوعا من السيادة
القضائية عليهم تجاه معاهدات الامتيازات المعقودة بين دولهم

والدولة العثمانية ، وهناك أيضا أهل الذمة الذين منح رؤسائهم
الروحانيون سلطة فى الأحوال الشخصية .

وتناولت فى الفصل الثالث الدور الادارى والسياسى للقضاة
حيث تناولت اختصاصات قاضى عسكر الادارية كالاشراف على
التعليم والحياة الدينية وتعيين الموظفين وتعيين مشايخ الطوائف
الحرفية . وكذلك تناولت الاختصاصات الادارية لقضاة الشرع فى
الأقاليم واشرفهم على الري والزراعة والجمارك والتعليم والحياة
الدينية . وتناولت الدور السياسى للقضاة فى فتننة السباهية
وكذلك فتننة أفرنج أحمد .

أما الفصل الرابع فيتناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية
للقضاة بدءا من الأصول الاجتماعية للقضاة وعلاقتهم بالطبقة
الحاكمة وكذلك بالشعب المصرى . وكذلك تعليم القضاة فى مدارس
استانبول حيث وضعت شروط علمية لتولى مناصب القضاة لابد
أن يمر بها طالب هذا المنصب اضافة الى ذلك فقد عرض الفصل
لإنتاج الأدبى للقضاة حيث كان لمعظمهم أشعار وكتب أدبية ودينية
باللغتين العربية والتركية . وتناولت فى هذا الفصل الحياة
الاقتصادية للقضاة ومقدار الرسوم المالية على القضايا المختلفة
وكذلك أوضح المرتبات التى يحصل عليها القضاة سواء المرتبات
النقدية أو العينية ويعرض لاشرفهم على الأوقاف ودورهم فى
ادارتها والرقابة عليها ، تلك الرقابة التى وفرت دورا مهما للأوقاف
للقيام بدورها المهم الذى رصدت من أجله .

ويتناول الفصل الخامس الجهاز المعاون للقضاة من
الشهود والكتبة والوكلاء والخبراء وأمناء السجلات والانكشارية
والمحضرين والمفتين . وتناولت الاختصاصات المنوطة بكل منهم ،

وكذلك الرسوم المالية التى يحصلون عليها وكيفية تعيينهم ، كذلك عزلهم عندما يسيئون أداء مهامهم .

وقد انتهت البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التى تمخض عنها البحث غير أن من الجدير بالذكر أنى أشرت الجانب الاقتصادى فى حياة القضاة الى ما بعد الجوانب الادارية والسياسية والاجتماعية لأن الأوضاع الاقتصادية كانت نتاجا لهذه الأوضاع جميعا ومرتبة عليها .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر الأولية . وإن كانت قد تركزت بصورة أساسية حول الوثائق غير المنشورة الموجودة فى الشهر العقارى بميدان الاسعاف بالقاهرة ودار الوثائق ودار المحفوظات العمومية بالقلعة . كما اعتمدت على المخطوطات المحفوظة بدار الكتب المصرية وبعض المخطوطات المحفوظة بارشيف فيينا بالنمسا والتى حصلت عليها من بعض أساتذتى وقدمت هذه المخطوطات معلومات مهمة ومفيدة عن أحوال القضاة وعلاقاتهم الاجتماعية .

أما عن المتاعب التى قابلتنى أثناء اعدادى لهذه الرسالة فتذكر حول الوثائق ولعل من نافلة القول ان خطها ردىء جدا ويحتاج الى قدرة خاصة على تعلمه . اضافة الى طرق حفظها السيئة التى تؤدى الى فقدان أجزاء كثيرة منها ، والذى لا يفقد بسبب سوء الحفظ يفقد بسبب الترميم الذى يتعذر معه فى أحيان كثيرة قراءة الوثيقة لطمس معالمها .

وان الباحث ليؤمن أن من أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الباحث العلمى أن يعترف بالأيدى البيضاء التى مدت اليه وأن

يتقدم بواجب الشكر لكل من أسدى له جميلاً وهؤلاء كثيرون وهم
حسب الترتيب الزمني لهم .

أتقدم بخالص شكري الى أستاذي الدكتور علي شاذلي وأستاذي
الدكتور علي بوكات أستاذتي بكلية الآداب جامعة المنصورة والذين
لولاهما لما استفدت كثيراً من آداب المنصورة ، وقدماً للباحث
ما ساعد على تكوينه الفكري منذ المراحل الدراسية الأولى له وأتقدم
بخالص شكري للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن الذي أمدني
برعايته منذ كنت طالبا بالسنة التمهيدية للماجستير وهو السبب
في توجيهي لدراسة تاريخ مصر في العصر العثماني وأمدني في
هذا البحث بالكثير من المشورة والنصح . ويقتضيني الواجب أن
أتقدم بخالص شكري وتقديرى لأستاذي الدكتور محمد عفيفي الذي
لم يبخل على بنصح وإرشاد وأعطاني من وقته وفكره الكثير كما
أمدني بالكثير من المخطوطات والمراجع التي كان يتعذر على
الإطلاع عليها بدون مساعدته لي . جزاه الله عنى خير الجزاء .

وأوجه بخالص شكري الى أستاذي القدير د/ محمد حرب
الذي وفر لي الكثير من المراجع التي أفادتنى في هذا البحث . كما
أنه أتاح لي من وقته وفكره الكثير . أما أستاذتي الدكتورة هاجدة
مخاوف المشرفة المشاركة على هذا البحث فالشكر وحده لا يوفيها
حقها ولا يؤديها جزاءها فقد كانت بحق طوال فترة البحث بمثابة
المرشد الأمين الذي جنبني الوقوع في الأخطاء . كما أنها أمدتني
بالكثير من النصح في أثناء اعدادي لهذه الرسالة . وكان لهذه
النصائح فضل كبير في الحد من جموح الباحث أحيانا كثيرة وكان
لسعة صدرها أثر كبير في تقبل آراء الباحث والحد من جموحها
فجزاها الله خيراً عن الباحث والباحث .

أما الأب والأستاذ والصدیق الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحیم مصطفی الذی یفخر الباحث أنه قتلّمذ علی یدیه فی علم التاریخ فقد کان طوال فترة البحث بمثابة الأب الناصح والأستاذ المرشد والصدیق الهادی الی الصواب . وكان لفضل توجیهاته اقبالتی من مواضع العثرة فی كثير من الأحيان . وأشهد أنه أسدی الی الباحث والبحث الكثير من الخدمات الجلیلة . وكان لكلماته الطیبة أثر كبير فی تخفیف عناء البحث عن كاهل الباحث . فما الباحث والبحث الا ثمرة من ثمار غرسه تولاهما برعايته وعنايته فجزاه الله عنی خیر الجزاء .

غیر أن واجب الشکر لهؤلاء لا یعنی بحال من الأخوال أنهم یتحملون تبعه ما فی البحث فذلك وحده یقع علی عاتق الباحث . وائی لأرجو أن أكون بعملی هذا قد وفقت فی أن أضییف لبنة من لبنات تاریخ مصرنا الحبیبة فی عصر مازال یکتنفه الكثير من الغموض .

وعلى الله قصد السبیل

العزیزة - المنزلة - دقهلیة فی ٣/١٠/١٩٩٤م .

الفصل الأول

القضاة في الدولتين المملوكية والعثمانية

القضاة في الدولتين المملوكية والعثمانية

نعرض في هذا الفصل للقضاة في الدولتين المملوكية والعثمانية وأوضاعهم وأحوالهم ونظم التقاضى السائدة ، وذلك في محاولة لفهم طبيعة هذه الأوضاع وما طرأ على مصر من تغيرات في أوضاع القضاة بعد الفتح العثماني لها سنة ١٥١٧م وارتباط هذه التغيرات بالنظم السائدة في الدولتين كذلك مدى ارتباط القضاة في مصر بهيئة القضاة في استانبول وتبعيتهم لها .

أولا : القضاة في الدولة المملوكية :

تمهيد :

بعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب وصل ابنه توران شاه الى مصر سنة ٩٦٦هـ ١٢٥٠م وأعلن سلطانا على البلاد ولكنه لم يعترف بالفضل للمماليك الذين حققوا انتصارا على الصليبيين في موقعة المنصورة كما أنه لم يعترف بالجميل لزوجته أبيه شجرة الدر التي حفظت له العرش حتى وصوله فما كان منهم الا أن تكالبوا على قتله في فارسكور في ٢١ مايو ١٢٥٠م .

وبمقتل توران شاه سقطت الدولة الأيوبية وتولت شجرة الدر سلطنة على البلاد ويعتبرها المؤرخون أول سلاطين الدولة المملوكية (١) وذلك بحكم انتمائها الى الرق فهي جارية تركية الجنس

وقيل أرمينية وتزوجت بعد الملك بالقائد الصالح عز الدين أيبك الذى أصبح سلطانا على البلاد بعد تنازلها له واستمر الحكم المملوكى قائما فى مصر حتى القتح العثمانى لها على يد السلطان سليم الأول فى ٩٢٢ هـ ١٥١٧ م (٢) ولعل نشأة الممالك وأصولهم التى ترجع الى الرق سبب فى احساسهم بالحرَج من نظرة معاصريهم . ولاسيما بعد قيام ثورات العربان فى مصر ضدهم ، ومعاداة بنى ايوب لهم . لذا فقد عملوا على صبغ حكمهم بالصبغة الدينية والاهتمام بالأمور والمظاهر الدينية ولاسيما القضاء والقائمين عليه لنشر العدالة واكتساب احترام المعاصرين لهم . غير أنه ما لبث أن أصاب القضاء الضعف وتطرقت اليه الرشوة والوساطة مما أدى الى انهياره ، نتيجة لانهيار أسس اختيار القضاة .

وتذكر المصادر المعاصرة للدولة المملوكية أن طرق التقاضى ونظم القضاة فى هذا العصر تنوعت أربعة أنواع هى :

(١) قضاة الشرع الشريف .

(ب) قضاة السياسة .

(ج) قضاة المظالم .

(د) قضاة الحسبة .

وجددت اختصاصات كل منهم ولكنها بداخلت بعد ذلك مما أدى الى الانهيار الشامل فى أوضاع القضاة ونظمهم .

١ - قضاة الشرع فى الدولة المملوكية :

بعد سقوط الخلافة الفاطمية ألغى الأيوبيون العمل بالمذهب الشيعى فى القضاء وعملوا بالمذهب الشافعى نظرا لأن غالبية الشعب المصرى ينتمون اليه ، وكان قاضى القضاة الشافعى يذيب عنه

نوابا للحكم فى البلاد المصرية • وظل الأمر هكذا حتى فى عهد الدولة المملوكية الى عهد بيبرس البندقدارى (٣) الذى أدخل العمل بالمذاهب الأربعة لأول مرة وصار يعين لكل مذهب قاضى قضاء خاصا به (٤) •

ويرجع السبب فى ذلك الى تعنت القاضى تاج الدين بن بنت الأعز قاضى مصر فى ذلك الوقت وتشدده فى أحكامه حتى مع السلطان نفسه • كذلك فقد كان الأمير جمال الدين أيدغدى يحقد على القاضى « تاج الدين » ويحط من قدره عند السلطان ويرميه بالتشدد فى أحكامه والتوقف فى القضايا التى لا تتفق مع مذهبه فاستغل جلوس السلطان بدار العدل وجاءته عدة شكاوى من شدة القاضى فانتهزها الأمير جمال الدين فرصة وقال له يا قاضى مذهب الشافعى لك ونولى من كل مذهب قاضيا • فأعجب السلطان بيبرس بهذا رأى وبذلك فقد بدأ العمل بالمذاهب الأربعة من ذى الحجة ٦٦٣ هـ سبتمبر ١٢٦٥م (٥) وربما يكون تمسك السلطان بذلك راجعا الى استخدام القضاة فى تقليده السلطة مع الخليفة ، وتقليدهم الخليفة أيضا فهم أداة فى يده (٦) فريما أراد السلطان أن يولى فيها قضاة موالين له خوفا من تشدد القاضى تاج الدين •

غير أن هذا الأمر نتج عنه العديد من المساوئ التى ضربت أطناها فى نظم التقاضى السائدة ، وكذلك أوضاع القضاة مما أدى الى ضياع حقوق المتقاضين واستخدام الحيل فى التقاضى •

فقد أدى العمل بالمذاهب الأربعة الى انفجار الحزازات العنيفة بين قضاة المذاهب وظهور المشاحنات التى أدت الى عرقلة إصدار العديد من الأحكام والغائها مما ترك أعظم الأثر على هيئة القضاة ويطانتهم (٧) •

ويبدو من خلال مصادر هذه الفترة أن كل قاض من القضاة الأربعة اعتبر نفسه المدافع عن سيادة مذهبه ولو عن طريق الطعن في المذاهب الأخرى والقائمين عليها من القضاة ، ولو عن طريق ذكر المثالب الشخصية لهم والخط من قدرهم مما أدى إلى الإيقاع بين قضاة القضاء .

كما أن هذا التعدد أدى إلى تمهيد الطريق أمام أرباب القضايا ليحتالوا بللوغ مآربهم ويهجروا قاضيا إلى آخر ويستبدلوا مذهبا بسواه متى وجدوا في ذلك أربتهم . وقد ينجم من وراء هذا التحايل والاستبدال اتساع الخلاف بين المتخاصمين وكذلك فإن في تعدد القضاة في البلد الواحد مظهرا للتفرقة بين بذية وتهيئته لاثارة الفتن والخلاف بين الفقهاء (٨) وبرغم ادخال العمل بالمذاهب الأربعة فقد بقي لقاضي القضاة الشافعي العديد من الامتيازات عن القضاة الآخرين ، حيث بقي تحت سلطته الاشراف على الأوقاف وبيت المال والاشراف على أموال مودعي اليتامى كذلك تولية النواب في البلاد المصرية (٩) .

وبقيت مصر كما كانت منذ العصر الأيوبي مقسمة إلى قسمين قضائيين أولهما : قضاة القاهرة والوجه البحري وثانيهما قضاء مصر والوجه القبلي وأحيانا كانا يجمعان في قسم واحد يتولاها قاض واحد (١٠) .

من هذا يتضح مدى ما ترتب من مساوئ بسبب العمل بالمذاهب الأربعة واستغلال ذلك بين المتقاضين للإيقاع ببعضهم مما أدى إلى ضياع الحقوق وغياب العدالة وأدى التنافس بين قضاة المذاهب وانصرافهم إلى محاولة المدس والإيقاع فيما بينهم إلى ضياع هيبتهم وعدم الثقة في أحكامهم في نفس الوقت الذي استغل فيه

المتقاضون الاختلاف فى الاجتهاد عند المذاهب المختلفة لصالحهم
الخاص . وتكاثفت هذه العوامل لتؤدى فى النهاية الى انهيار اوضاع
القضاة والنظام القضائى ككل .

قولية قضاة الشرع واختصاصاتهم :

وضع الفقهاء المسلمون معايير محددة يجب توافرها فيمن
يختار لمنصب القضاء منها العلم بالكتاب والسنة والقياس ، والاجتهاد
والتمتع بالمزايا الخلقية والبعد عن السقطات الأخلاقية مثل تقديم
الرشوة أو قبولها والتزوير والتدليس . فأساس عمل القاضى هو
بث العدالة بين الملاجئين اليه وهنا سؤال عن كيفية اختيار القضاة
فى العصر المملوكى .

تمدنا المصادر المملوكية بالاجابة عن هذا التساؤل بأن أهم
سمات اختيار القضاة فى العصر المملوكى تتمثل فى الرغبة فى
الحصول على المال لحساب السلاطين وجشعهم والاستهانة بهذه
المناصب الجليلة ، وأدى هذا الى أن تطلع الى شغلها من ليس أهلا
لها مثل الخصبين ومضحك السلطان ، وترتب على ذلك وقسوع
القضاة فى أخطاء فقهية وإشاعة ذلك بين العامة مما أثر على مكانة
القضاة جميعا ، كذلك فماذا ننتظر ممن دفع الرشوة لتولى هذا
المنصب الا أن يكون مرتشيا ليجمع ما أنفقه من مال فى سبيل
توليته ؟ .

وكان جشع السلاطين هو الذى يحدد ما يدفعه طالب المنصب ،
فعلى سبيل المثال يذكر عن السلطان برقوق (١١) (٧٨٤ هـ ١٣٨٢ م)
٨٠٢ هـ ١٣٩٩ م) أنه كان طماعا جدا بحيث لا يقدم على جمع المال
شديئا وقد أفسد أحوال البلاد بأخذ الرشوة ممن يرغب فى تولى
منصب القضاء (١٢) وممن بذلوا المال فى تولية هذا المنصب « قاضى

القضاة محيي الدين بن النقيب الشافعي « الذي ولى القضاء ست مرات دفع فيها رشاوى ستة وثلاثين ألف دينار وكانت ولايته في هذه الولايات الست نحو سنقين (١٣) » .

كما تولى « القاضي نور الدين خليل الحكري » قاضي قضاة الحنابلة (في جمادى الآخرة ٨٠٢ هـ - ١٤٠٠ م) بعد أن دفع خمسين ألف درهم كرشوة . رغم ما عرف به من جهالة وقلة بهجة . كذلك تولى « عز الدين الشيشني » قاضي قضاة الحنابلة في ربيع الأول (٩١٩ هـ - ١٥١٣ م) بعد أن دفع رشوة للسلطان تقدر بألف دينار (١٤) وتولى قاضي القضاة الشافعي جمال الدين محمد المكييني بعد أن سعى في ولاية القضاء بثلاثة آلاف دينار (١٥) وأدى التنافس بين القضاة الى بذل الرشوة لخلع بعضهم من القضاء ، والمزايدة بالمال مثل قاضي القضاة جمال الدين القلقشندي الذي صرف عن قضاء الشافعية لأنه سعى فيها برشوة مقدارها ثلاثة آلاف دينار بينما عين محيي الدين بن النقيب لأنه بذل خمسة آلاف دينار وكذلك دفع ألفي دينار للذي سعى له من الأمراء (١٦) .

وهناك « الشيخ سراج الدين بن الملحق الشافعي » الذي سعى ببذل أربعة آلاف دينار لأجل تولي هذا المنصب في عهد السلطان برقوق (١٧) وعزل القاضي بدر الدين بن أبي البقاء بعد أن غرم خمسة آلاف دينار رشوة كان قد دفعها عند توليته (١٨) .

بذلك يتضح - كما تمدنا المصادر المعاصرة لهذه الفترة - أن من النادر أن يتولى قاض بدون أن يدفع رشوة وكان الأصل في ذلك هو التولي بها والاستثناء هو التولي بدونها وهذا يوضح الى أي مدى وصلت أحوال القضاة في هذه الآونة .

كذلك فقد كان السلاطين يولون بعض أتباعهم لتنفيذ ما يريدونهم الخاصة وبعد تحقيق أغراضهم يعزلونهم مثل قاضي القضاة

« محمد بن أبي البقاء » الذي ولاه السلطان ليقرضه ما في مودع الأيتام من مال (١٩) كذلك قاضى القضاة الحنفى « ناصر الدين بن العديم » الذى صار يرشد أهل الدولة بالأوقاف عن طريق تأجيرها لمن يطلبها بأبخس الأجور ليكونوا عوناً له على مقاصده حتى كاد أن يخربها (٢٠) وقد أدى ذلك الى تولية قضاة جهلة بالأحكام الشرعية فهناك القاضى « جمال الدين عبد الرحيم الحنفى » فقد ذهبت اليه امرأة وأقرت بانقضاء العدة بسقط مخلق (٢١) فحكم بذلك ثم ادعت أنها حامل فكتب لها فرض حمل ، فأفتى علماء مذهبه بأن ذلك مخالف لهم فعزل وعزر (٢٢) .

وبذلك نلاحظ أن الكفاءة العلمية والمقدرة فى أمور الشرع والنزاهة فى الأحكام والقدرة على القياس والفهم الصحيح للأمور كانت نادرة التوافر فى القضاة فى هذه الآونة ووثب بدلا منها صفات أخرى كالرشوة والبوساطة وتقديم التنازلات للأمراء والسبلاطين لأجل تولى هذا المنصب وغالبا ما تكون هذه التنازلات على حساب القضاء نفسه مما ترتب على ذلك انهيار القضاء الشرعى نتيجة لانهيار أسس اختيار القضاة .

وترتب على ذلك أن ساءت سمعة قضاة مصر لتوليهم بالرشوة وقبولهم أياها فى أحكامهم حتى أنها بلغت مسامع العثمانيين فى شعبان سنة ٩٢٢ هـ - أغسطس ١٥١٦ م التقى السلطان العثمانى سليم الأول مع قضاة مصر الذين وقعوا فى أسره بعد مرج دابق فأنبهم السلطان قائلاً لهم « أنتم تأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية وتسعون بالمال حتى تتولوا القضاء » (٢٣) .

اختصاصات قضاة الشرع :

أما عن اختصاصات القضاة فلم تكن أعمالهم فى ذلك الوقت مقصورة على النظر فى قضايا الأحوال الشخصية بل كانوا يتناولون

أيضا النظر في جميع القضايا الدينية والجنائية واتسع اختصاصهم
فتناول النظر في دعاوى اثبات الحقوق والأموال التي ليس لها وارث
والنظر في أوصياء اليتامى وأموال المحجور عليهم من المجانين
والمفلسين وفي وصايا المسلمين (٢٤) كما اتسعت سلطة قاضي
القضاة بحيث تضمنت أمورا ليس لها علاقة بالقضاء ولكنها ضمت
اليها حسب العرف والاصطلاح ومنها الخطابة في الجامع الأعظم
بالقلعة والإشراف على الأوقاف وتعليم العلوم الشرعية والنظر في
بيت المال ، ونظر الجوالي ونظر الخاص ونظر الخزانة ودار
الضيافة (٢٥) .

واعتبر الإشراف على الأوقاف من أهم المصادر المالية للقضاة
غير أنه لم يكن ثابتا تحت أيديهم فكثيرا ما يخرج السلاطين الإشراف
على الأوقاف من نظر القضاة الى بعض الموظفين الآخرين كالمحتسب
مما يسوء القضاة . ووجد من القضاة من جمع بين قضاء مصر
والشام في وقت واحد مثل القاضي « الشهاب بن قرفور » الشافعي
الدمشقي الذي تولى منصب قاضي القضاة الشافعية في مصر
والشام في (ربيع أول ٩١٠ هـ أغسطس ١٥٠٤ م) كذلك لم يشترط
في القاضي أن يكون مصريا فكثيرا ما تولى هذا المنصب مغاربة
وبشوام وحجازيون (٢٦) .

أما جلسات المحاكم فكانت تعقد أحيانا في المساجد وأحيانا في
دور القضاء إذا وجدت وعند افتتاح جلسة القضاء ، يتقدم المتقاضون
أمام القاضي وفقا لترتيب خاص مع مراعاة النظام وحرمة
القضاء .

وقد جرت العادة على أن ينظر القضاة في القضايا المتعلقة
بالغريب أولا أما إذا كثر عددهم فقد كانت تنظر قضاياهم بحسب
ترتيب حضور أصحابها وكان الرجال يجلسون الى ناحية والنساء
الى ناحية أخرى (٢٧) .

ملابس القضاة :

كان من تقاليد العصر ونظمه أن من يتولى قاضى القضاة يلبس الأبيض من الثياب على ألا يكون حريرا ولا غلب فيه الحرير ، وإن كان شتاء فوقانى من ملبوسهم من الصوف الأبيض ولا يلبسون الأبيض الا فى بيوتهم ويبدو أن الناس فى هذا العصر ألفوا أن تكون عمامة قاضى القضاة من أكبر العمائم ان لم تكن أكبرها وحفاظا على تميز القضاة منع غيرهم من مشاركتهم هيئتهم (٢٨) .

مرتبات القضاة :

أما مرتبات القضاة فمن واقع الكتابات التى سجلها لنا المؤرخون فى العصر المملوكى أن القضاة قد تمتعوا بثروات ضخمة ، فان المرتبات كانت مجزية كما كانوا يحصلون على الانعامات الجزيلة المتكررة طوال العام فى كل المناسبات الدينية هذا بخلاف ما هو مسموح لهم بالتصرف فيه من ريع الأوقاف التى تحت أيديهم ، كما أنهم استمتعوا أيضا بما يشبه المعاش بعد صرفهم عن وظيفة القضاء (٢٩) وبذلك فقد وضع هؤلاء مصالحهم فى سلبه واحدة مع مصالح الطبقة الحاكمة ولكن التدهور العام فى أواخر هذا العصر ترك آثاره السلبية عليهم فقد تعرضت مرتباتهم للقطع والمنع مرات عديدة نتيجة لعجز ميزانية الدولة (٣٠) .

من هذا يتضح أن المصالح المشتركة بين القضاة ورجال الطبقة الحاكمة من الأمراء المماليك جعلتهم فى صف واحد حفاظا على الامتيازات التى حصلوا عليها وكان المستفيد من ذلك هم المماليك والخاسر هو من يلجأ الى القضاة من أفراد الشعب وربما كانت هذه الامتيازات التى تمتع بها القضاة هى السبب الذى دفعهم الى التنافس من أجل تولي هذا المنصب .

أخلاق وأحوال القضاة في العصر المملوكي :

ربما يكون من المفيد أن نعرض هنا لأمثلة مختلفة من القضاة الذين تولوا هذا المنصب طوال فترات هذا العصر حتى نستطيع أن نرى بوضوح مدى تدهور الحياة القضائية في العصر المملوكي .
فالقاضي يوسف بن مرسى بن محمد الماطي « الحنفى الذى تولى القضاء فى ٢٠ ربيع الآخر ٨٠٠ هـ - ديسمبر ١٣٩٣م يقال انه كان يفتى باباحة الحشيش وأفتى بأنواع من الربا بالحيلة (٣١) . واتسم بعضهم بالجهل الشديد وبالأحكام الفقهية مثل « القاضي صالح بن أحمد بن عبد الله الاسنوى » تولى القضاء فى عام ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥م ومع ذلك يصفه معاصروه بأنه كان فى غاية الجهل (٣٢) .

بل لقد وصل التنافس بين القضاة على تولية المنصب الى حد اختلاق الوقائع والتزوير بينهم فقد كان بين قاضى القضاة « عبد الرحمن بن خلدون » والقاضى « الرक्रاكى » تنافس ، وعقد مجلس أظهر فيه ابن خلدون فتوى زعم انها بخط الرक्रاكى وتتضمن القدح فى السلطان برقوق وبعد التحقيق فيها اتضح أن ابن خلدون زورها . فعزله السلطان لذلك (٣٣) .

ولم يتوقف الأمر على ذلك بل من القضاة من قبل الرشوة على الأحكام التى يصدرها حسب الأهواء ، فالقاضى المالكى « أحمد بن عبد الله » المتوفى فى ٨٣٩ هـ - ١٤٣٥م كان يتجاهر بأخذ الرشوة وحصل على مال طائل عرف بعده وفاته (٣٤) .

ووصل الفساد الى معاونى القضاة فدلسوا وزوروا فى القضايا بغية الحصول على المال ، من ذلك ما حدث مع القاضي بن خلدون من أن اثنين من الموظفين العاملين معه أعانا على بيع وقف بأن محروا الكتابة من المکتوب فى السرق وقدموا تاريخ الاجارة

وثبت تزويرهما (٣٥) ومن القضاة من اتسم بصفات أخلاقية سيئة كان يفحش في مخاطبة النساء كالقاضي الحسن البغدادي الذي أقره الناصر في عام ٧٣٨ هـ - ١٣٣٧ م في القضاء وكان كثير المزاح والهزل والسخف مع بذاعة اللسان والجهل بالأحكام فكانت اذا تحاكت اليه امرأة وزوجها ينصر المرأة ويفحش في مخاطبتها حتى قال لامرأة تحاكت اليه مع زوجها اكشفي وجهك ثم قال « مثل هذه تزوج بهذا المهر والله ان مبيتها ليلة واحدة يساوي أكثر منه » (٣٦) وقد ثارت العامة عليه وحرقوا عمامته ، ومزقوا ثيابه وتناولوه بالنعال حتى أدركه بعض الأمراء وخلصوه من أيديهم (٣٧) .

وهناك القاضي « محيي الدين عبد القادر بن الذقيب الشافعي » الذي تولى القضاء ست مرات كان أولها من (٩١٨ هـ - ١٥١٢ م) كان غير مشهور السيرة رث الهيئة يجافي النفس يزدريه كل من يزاه (٣٨) والقاضي « جلال الدين محمد القزويني » كان لا يعين أحدا من نوابه الا بعد أن يجتمع بأحد أولاده ويقدم اليه مبلغا من المال ، وأصاب ابنه جمال الدين مبالغ طائلة من القضاء على سبيل الرشوة (٣٩) .

ومنهم من ساءت سيرته وقبح سلوكه فاستحق المحاكمة ، مثال « القاضي ولي الدين محمد الصفتي » المتوفى (٨٥٤ هـ - ١٤٥٠ م) وقد اتهم باختلاس أموال الأوقاف وبيع بعضها ، واتهم بأكثر من مخالفة ووصل الأمر الى سجنه في سجن المقشرة مع أولي الجرائم (٤٠) واشتهر بعض القضاة بالتزوير مثل « القاضي عبد البر بن الشحنة » الذي اتهم ببيع الأوقاف والتزوير فيها هي الأخرى (٤١) .

ويبدو أن هذا التراخي جاء نتيجة للحياة التي أصبح فيها القضاة وحياة الدعة والترف التي انتقلوا اليها بعد أن طغت شئون

الدنيا على الدين فساد التنافس والتحاسد بينهم حتى ان المجالس السلطانية نفسها لم تخل من منازعات بين القضاة (٤٢) .

ولكن ماذا تنتظر من قضاة تولوا بالرشوة وقبلوا الرشوة في ادكاهم ووصل الحال بينهم في تنافسهم الى تزوير أوراق واختلاق الوقائع ؟ ان قضاة هذه صفاتهم لاتستقيم بهم الحالة القضائية ابدا فهم السبب المباشر في انهيارها وتدهورها وتدنى نظرة المعاصرين اليها . كما امتد اثر هذا الفساد الى العاملين في النظام القضائي .

وقد دعا هذا الفساد الى امتناع كبار العلماء والمحدثين عن تولي هذا المنصب والفرار منه بل الاختفاء عن الأعين وبعضهم تولاه مكرها لاجبار السلطان له . مثل القاضي « ناصر الدين بن ميلقي » الذي تولى قضاء الشافعية في (شعبان ٧٨٩ هـ أغسطس ١٣٨٧ م) (٤٣) كذلك تولى « القاضي بن دقيق العيد » بعد أن هددوه بأن يولوا القضاء رجالا لا يصلحون له ، فخاف وأوجب على نفسه القبول خشية على العدالة . وذلك في عهد « العادل كتيبة المنصورى » (١٢٩٤ م : ١٢٩٦ م) (٤٤) وهناك أيضا « القاضي برهان الدين بن جماعة » الذي راسله السلطان فامتنع فأرسل اليه رسولا خلف بالطلاق أن السلطان حلف بالطلاق على قبول هذا المنصب (٤٥) .

العلاقة بين قضاة الشرع والسلطات الحاكمة :

لقد تدخل الأمراء والسلاطين في الأحكام القضائية التي يصدرها قضاة الشرع كما أنهم تدخلوا في اختيار القضاة منذ البداية ، لذا فلم تكن وساطتهم ترد وقد كان كل أمير يحتضن مجموعة من الفقهاء ويدافع عنهم ، ويتوسط لهم ويعتبرهم من اخصائه ، ومن ثم فان التعدي على أى فرد منهم يعتبر تعديا على

هذا الأمير وكم من المأسى التى تسببت فيها تلك الوسائط بل أنها كانت أبرز الأسباب لانحدار مستوى شاغلى الوظائف القضائية لأن الرسامة تغفل عن قدر طالب المنصب من حيث علمه ويشغله الأكثر والأقوى وساطة ونفوذ (٤٦) وتدخل السلاطين وهم المفترض أن يكونوا رقباء على القضاة فى أعمالهم لاجبارهم على تنفيذ رغباتهم والا فالهزل هو جزاؤهم . فعندما رفض قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الحريرى تحقيق رغبة السلطان محمد بن قلاوون فى استبدال أرض موقوفة عزله السلطان ورجىء بمن ينفذ له رغباته (٤٧) .

ولم تمنع مكانة القضاة لدى السلاطين من القبض عليهم كما لم تحمهم من الاشاعات المغرضة ضدهم فقد قبض على قاضى القضاة الحنفى « عبد البر بن الشحنة » لوثاية عند السلطان قنصوه الغورى أنه كاتب أحد أعدائه فرسم بنفيه الى قوص ، فشفع فيه الأتابكى (٤٨) قيت الرجبى (٤٩) وتعرض القاضى شمس الدين الحلبى لبطش السلطان قنصوه الغورى لأنه حاكم فى بعض الوقائع بما اعترض عليه فى ذلك (٥٠) .

ويتضح من خلال مصادر هذه الفترة أن السلاطين والأمراء تدخلوا فى أحكام القضاة لحماية أتباعهم اذا ما وقفوا أمام القضاة فى قضايا خاصة بهم والقضاة ملزمون بتنفيذ أحكامهم والا فالهزل هو جزاؤهم المنتظر .

وبالرغم من ذلك فقد شهدت تلك الطائفة الكبيرة من الفتاوى التى تضمنتها الوثائق التى وصلتنا من عصر السلاطين المماليك على أن السلاطين اعتمدوا كثيرا على هذه الفتاوى فى كافة تصرفاتهم السياسية والاقتصادية والمالية والادارية (٥١) .

وربما يعود ذلك الى حرص سلاطين الممالك على صبغ حكمهم
بقشرة دينية تخفى وراءها أطماعهم وأهدافهم الحقيقية واستغلال
القضاة كوجهة لهذه الأعمال فمن خلال مطالعة المصادر المملوكية
يتضح أنه كثيرا ما نظر السلاطين الى القضاة نظرة امتهان وازدراء
وتسفيه لآرائهم ولاسيما في أواخر هذا العصر . في نفس الوقت
لأنرى معارضة بين القضاة للسلاطين الا اذا تعارضت مع
مصالحهم .

واعتبر السلاطين القضاة مصدرا مهما لتمويل الخزائن
السلطانية وذلك بطرق عديدة مثل بيع المناصب لهم ، وكذا المصادرة
التي يقوم بها القضاة لصالح الخزانة السلطانية تحت اسم الشرع
الشريف . كذلك الأوقاف سواء بالبيع أو الاستبدال أو سلبها لصالح
السلاطين والأمراء .

ومع ذلك لم يكن القضاة بمنأى عن مؤامرات الوزراء ورجال
الحكم من منافسيهم ومن أبرز تلك الدسائس التي ذكرتها المصادر
المعاصرة لتلك الفترة ما حدث مع القاضي « تقي الدين بن بخت
الأعز الشافعي » الذي تولى القضاء للمرة الأولى في (ربيع الآخر
٦٨٥ هـ مايو ١٢٩٦ م) فقد باشر القضاء بعزة ونزاهة وحدث بينه
وبين الوزير السلجوقي عداوة لرفض القاضي وساطة الوزير في
تعيين أحد أتباعه في وظيفة وذلك لسقوط عدالته فما كان من الوزير
الا أن أخرج عن القاضي وظائفه ، ثم رتب عليه شهودا يشهدون عليه
بأنه زور بأمور منكرة حتى قيل ان جماعاتها مثل الزنى واللواط والزنى
بالنصارى وشرب الخمر ونال القاضي من الهوان والعذاب الشديد
الكثير (٥٢) .

من هذا يتضح أن التدخل المستمر للأمراء والسلاطين في
أحكام القضاة سواء بالوساطة أو الشفاعة أو الإكراه أدى الى

مجانبة العدل وتفشى الزور والظلم فى أعمال القضاة وكذلك لم تمنع مكانة القضاة لدى السلاطين من تدبير المؤامرات لهم كما لم تحمهم مكانتهم من التعرض للنفى والسجن مع أولى الجرائم لمجرد الوشائيات .

ويعتبر تدخل الأمراء والسلاطين فى أعمال القضاة السرطان الذى أصاب الحياة القضائية . وهو العامل الأول فى انهيار القضاء الشرعى فى العصر المملوكى كما يبدو من خلال المصادر المملوكية ان امتناع كبار الفقهاء والعلماء من تولي منصب القضاء فى هذه الآونة أدى الى تولي فقهاء الدرجة الثانية (صغار الفقهاء) مع قلة علمهم بالفقه وجهلهم بالأحكام الشرعية مما ترتب عليه وقوع أخطاء جسيمة فى أحكامهم .

قضاة العسكر :

لم يكن القضاء الشرعى فى العصر المملوكى مقصورا على قضاة المذاهب الأربعة فقد كان هناك قضاة العسكر وهم المسئولون عن القضاء بين الجند فى الجيش المملوكى وهم يرافقون الجيوش فى حروبها حتى يفصلوا بين الجند فى مشاكلهم ومنازعاتهم خاصة اذا كانت مشاكل لا تحتل التأجيل وحتى لا ينتج عنها خلل فى الجيش المحارب .

وكان من مهام قاضى العسكر امداد الجند بما يحتاجون اليه من قتاوى فى المسائل الشرعية التى يعرضونها عليهم ، ويلاحظ أن قضاة العسكر كانوا ثلاثة يمثلون المذاهب الشافعى والحنفى والمالكي وأحيانا كان يوجد قاض حنبلى (٥٣) وربما يكون عدم وجود قاض حنبلى فى الجيش راجعا الى قلة الحنابلة بين صفوف الجيش بل قلة اتباع المذهب فى مصر عموما .

وكانت لهم صلاحيات فى الفصل بين العسكر ومن يعملون معهم فى قطاع الجيش من الاداريين والصناع والعمال وغيرهم كما كانوا يفصلون فى القضايا اذا كان العسكريون طرفا فيها بشرط أن يكون العسكرى مدعى عليه لا مدعيا بناء على ماقرره الفقهاء من أنه لو تنازع الجندى والبلدى فى قضية واراد كل منهم أن يحكم قاضيه فالعبرة بقاضى المدعى عليه (٥٤) .

وفى فترة السلم كان مجلس قضاة العسكر فى دار العدل مع القضاة الأربعة ولكنهم كانوا أقل درجة منهم . ومن قضاة العسكر من تولى بيت المال بجانب قضاء العسكر مثل القاضى « محمد بن عبد البر بن يحيى الشيبكى » فى عام ٧٦٥ هـ ١٣٦٣ م (٥٥) ومنهم من عمل بالتدريس مثل « شمس الدين بن الصنائع الدنفى » قاضى العسكر ومدرس التفسير بجامع بن طولون (٥٦) .

يتضح من هذا أن قضاة العسكر كانوا هم المسئولين عن القضاء بين أفراد الجيش فى الحرب والسلم وامدادهم بالرأى والفتاوى فى حالة طلبها . وقضاة العسكر أقل درجة من قضاة المذاهب الأربعة ولكنهم يمثلون الجناح الآخر للقضاء الشرعى فى هذا العصر مع قضاة المذاهب الأربعة . وقد امتدت الرشوة الى هذا المنصب أيضا عند التولية . كما يظهر من خلال مصادر الفترة المملوكية .

قضاة السياسة - القضاء الزمنى :

كان الحكم فى الدولة المملوكية على ضربين : حكم الشرع الشريف ، وحكم السياسة ويقوم عليه الأمراء والحجاب . وحكم السياسة يقصد به تطبيق قوانين « جنكيز خان » وذلك نتيجة لانتفاء

بعض الممالك الى الأصل المغولى ، وكذلك لازدياد نفوذ الأمراء فى هذه الدولة فقد جلسوا للقضاء بين الناس وكان جلوسهم فى البداية على حياء وخشية جانب ولكنهم ما لبثوا أن نازعوا القضاة فى اختصاصاتهم حتى لم يعد هناك حد فاصل بين قضاة الشرع وقضاة السياسة وعمل هؤلاء على الفصل بين المتقاضين بقوانين السياسة (٥٧)

وكلمة الياسة « كلمة مغولية » أصلها ياسة فحرفها أهل مصر وزادوا بأولها سينا فقالوا سياسة وأدخلوا عليها الألف واللام فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية وهى ترجع الى جنكيز خان . فعندما صارت له دولة قرر قواعد وعقوبات أثبتها فى كتاب سماه ياسة ومن الناس من يسميه يسق ولما تم وضعه كتب ذلك وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده (٥٨) .

وبذلك فقوانين الياسة ليست نظاما قضائيا اسلاميا ، وان نسبت الى الشرع ولتأخذ صبغة اسلامية وحرفت الى كلمة السياسة لكى تقرب الى أذهان المسلمين ولذا اعتبرت السياسة الشرعية من ظلم الطبقة المملوكية . ومع أنها كانت فى أول الأمر تتعلق بشئون الطبقة العسكرية وحدها للفصل فى أمورهم ولكن فى النهاية أصبحت تتدخل فى أمور الشرع وأحكامه وتلغيها (٥٩) كذلك يجب أن نعلم أنه لم تكن هنا معايير محددة لقضاة السياسة .

١ - قضاء الحاجب :

عرفت هذه الوظيفة من قبل العصر المملوكى ولكن لم يكن له هذه الأهمية التى تمتع بها شاغلها فى العصر المملوكى والتى أصبحت وظيفة مرموقة لا يتولاها الا أحد أمراء الدولة العظام ، ان كانت على رتبة نيابة الدولة فى المنزلة (٦٠) وأطلق على أكبر المحجبة

حاجب الحجاب والحجبة وظيفة من وظائف أرباب السيوف يجلس صاحبها بدار العدل لينظر فى خصومات الأمراء والأجناد واختلافهم فى أمور الاقطاعات ونحو ذلك تارة بنفسه وتارة بمشورة السلطان وتارة بمشورة النائب (٦١) .

واقـد تطـور مفهوم الحـجـابـة وازداد عدد الحجاب ، فبعد أن كان هناك حاجب واحد ، تدرج العدد حتى وصل الى خمسة حجاب (٧٨٤ هـ - ١٢٨٢ م) ثم الى ثمانية حجاب أيام الناصر فرج بن برقوق المتوفى (٨١٥ هـ - ١٤١٢ م) وبهذا أصبح الحاجب اسما لمجموعة من الأمراء الذين ينصبون للحكم بين الناس ولم يكن وجودهم مقصورا على القاهرة وحدها باعتبارها عاصمة الملك (٦٢) .

ولقد أتيح للحاجب أن يتدخل فى اختصاصات القاضى وأن ينظر فى خصومات المدنيين فضلا عن خصومات الممالك التى كانت من اختصاصه وبذلك فقد امتد نفوذه تدريجا من القضاء الحربى الى القضاء المدنى فتدخل فى اختصاصات القاضى (٦٣) وأصبح نظر حاجب الحجاب ينظر فى كل جليل وحقير بل يغير أحيانا على أعمال القاضى العادية كما استخدم السياسة الشرعية أى الاجراءات التى تنبع لاصلاح أمر على أوسع نطاق فى مجلسه وأصبح نظره مجال الرشوة (٦٤) .

ويذكر المقرئى أن أول من حكم من الحجاب بين الناس هو الأمير « شمس الدين أق سنقر الناصرى » عندما تولى الحجوبية فى عهد « السلطان شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون » فحكم بين الناس كما كان نائب السلطنة يحكم ، الى أن كانت ولاية الأمير سيف الدين جرجى الذى تولى الحجابة أيام « السلطان صالح بن محمد بن قلاوون » فرسم له أن يتحدث فى أرباب الديون ويفصلهم عن

غرضائهم بأحكام السياسة ولم يكن عادة الأحكام فيما تقدم أن يحكموا
فى الأمور الشرعية (٦٥) .

ويتضح من المصادر المملوكية أن الحجاب بحكم تكوينهم
العسكرى لم تكن قدراتهم وثقافتهم تؤهلهم أن يحكموا بين الناس فى
الأمور الشرعية . كما أدى تعدى الحاجب على اختصاصات القضاة
الى عدم وجود حد فاصل بين اختصاصات قضاة الشرع واختصاصات
الحجاب التى أصبحت متداخلة الى العجز عن الفصل بينهما ،
لأنهم أصبحوا يجمعون بين سلطتى التنفيذ والقضاء ، ومع أن
المصادر تحدثنا عن أن تعدى الحاجب على سلطة القاضى الشرعى
كانت محددة فى البداية وأن الناس كانوا ينفرون منها فانهم سرعان
ما ألفوه ولجأوا اليه بكثرة حتى أصبح الحاجب الجاهل بأمور
الشرع يزاحم قضاة الشرع فى أعمالهم .

ولم تكن وظيفة الحجابة بمنأى عن الرشوة فيبدو أن اتساع
سلطة الحجاب كانت وراء هذه المبالغ الضخمة التى كانت تبذل بخير
حساب على هذه الوظيفة مثل « عبد العزيز بن محمد الصغير » الذى
صار فى (ذى الحجة ٨٥٣هـ - ١٤٠٥م) من جملة الحجاب بالقاهرة
بعد أن قدم للسلطان جقمق عدة خيول (٦٦) وبذلك اجتمع الجهل
بأمور الشرع مع الرشوة والرساطة فى شخص يحكم بين الناس
بالأمور الشرعية .

ولقد وصل الأمر الى حد النزاع بين الحجاب وقضاة الشرع على
أخذ الخصوم من على أبوابهم فقد أمر « السلطان برقوق » بعزل زين
الدين الاسكندرى « النائب الحنفى من الحكم وذلك بسبب شكوى
مأمور الحجاب لبرقوق من أنه يمنع عنه الخصوم (٦٧) .

وكانت الدولة تحاول أحيانا أن تمنع الحجاب من التدخل
والتحدث فى الأحكام الشرعية فتصدر مرسوما بذلك ولكن هذا المنع

لا يلبث إلا أياما معدودة ، يكون الأمراء فيها قد نجحوا في ابطال هذا المرسوم ثم يعودون بعدها لمزاولة نظرهم في القضايا الشرعية كما كانوا (٦٨) .

وبذلك فقد كان في قضاء الحاجب في قضايا شرعية تعد على اختصاصات قضاة الشرع ومزاحمة لهم واضعاف لمكانتهم فقد اتخذ الحاجب هذا العمل كحرفة يرتزق منها وخاصة عندما زاد عدد الحجاب وليس لهم اقطاع على الامرة فكان هذا مصدر رزقهم فضلا عن عدم تحري الدقة في الأحكام لضعف ان لم يكن انعدام الثقافة الشرعية وتظهر هذه جلية واضحة في الأحكام التي أصدروها وفي محاولاتهم جمع المال والاثراء على حساب المتخاصمين .

٢ - الأمراء :

وقد حرص الأمراء على ممارسة الفصل في قضايا العامة كمظهر من مظاهر السلطة تساندهم في ذلك القوة الذاتية التي يتمتعون بها وقدرتهم على استخلاص الحقوق ، وكذلك المهانة والاستهتار بقضاة الشرع لذا فقد أصبح غالبية العامة يلجأون لقضاء الأمراء لقدرتهم على استخلاص حقوقهم من خصومهم .

وقد احتدم الصراع على أخذ الخصوم من وإلى أى طرف فإذا كان أحد الشكاة توجه إلى قضاة الشرع وغريمه توجه إلى أحد الأمراء فلمن يكون نظر القضية ؟ هل تتم عند الأمراء أو أن الاجراءات تنتهى عند القضاة ؟ وظلت تلك الاحتكاكات مستمرة طوال العصر وكان السلاطين يساندون الأمراء خوفا من بطشهم وقدرتهم على اثاره المتاعب لهم (٦٩) .

ويبدو أن السلاطان كان يأذن للأمراء للحكم بين الناس ويعين هؤلاء نقباء على بيوتهم كنقباء القضاة وكذلك يعين الأمراء رسلا

ويحكموا فى الأمور الشرعية ولم يكن هذا الأمر مقصورا على طبقة معينة من كبار الموظفين الاستادار (٧٠) ونظار الخاص (٧١) والمشير (٧٢) وكاتب السر والدوادار (٧٣) وبذلك فقد تحول كل كبار رجال الدولة الى قضاة .

وفى أحيان كثيرة يمنع السلطان أرباب الوظائف من الأمراء من الحكم بين الناس وألا يشتكى أحد خصومه الا الى الشرع الشريف (٧٤) ولكن الأمراء سريعا ما يتدخلون لاعادة ذلك كأنه قد أصبح حقا طبيعيا وحجتهم فى ذلك هى الحرص على حقوق الناس من الضياع (٧٥) .

وبذلك فقد كان الأمراء يجلسون للأحكام فى كافة أنواع القضايا سواء كانت قضايا شرعية أو قضايا مدنية وبذلك فلم يعد يوجد أى حد فاصل بين اختصاصات الأمراء واختصاصات قضاة الشرع . وثمة مشكلة . وهى بأى قانون كان يحكم الأمراء ؟ هل كانوا يحكمون بقانون الشريعة أو بقانون السياسة ؟ ان المصادر المعاصرة تجيبنا على هذا التساؤل انهم كانوا يحكمون بقانون المال أى من يدفع أكثر فله ما يريد من الأحكام . وقد اتخذ بعض الأمراء من مكانته كأمر وكقاض وسيلة لجمع المال بأى صورة وكذلك للاستيلاء على الأوقاف وعلى أملاك الناس . مثل الأمير طراباى رأس نوبة النوب فعند موته فرح الناس لأنه كان صارما عسوقا شديد القسوة (٧٦) .

وهكذا على بن أبى الجود الذى ولى الاستادارة واجتمع على بابيه مائه رسول فكان أرباب الصنائع يتركون حرفهم ويعملون رسلا على بابيه وصار غالب الناس لا يشكون خصومهم الا من بابيه وكأن الناس على رؤوسهم طير منهم فكان العبد يرافع سيده ويشكوه

وينتصف عليه من بابيه وكل من له عدو يشكوه من بابيه ويكذب عليه
ويقول : هذا القى مال فيسلب من ذلك الرجل مالا يقدر عليه (٧٧) •

قضاة المظالم (٧٨) :

نظر المظالم هو قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر
المتنازعين عن التجاحد بالهيبة فكان من شروط الناظر فيها أن يكون
جليل القدر نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير
الورع لأنه يحتاج في نظره الى سطوة الحماية وثبات القضاة فيحتاج
الى الجمع بين صفات الفريقين (٧٩) •

وفي العصر المملوكي ولرغبة السلاطين في اصفاء الصبغة
الدينية على حكمهم فقد جلسوا للنظر في المظالم كعادة الخلفاء
والسلاطين من قبل • وذلك رغبة في اكتسابهم المهابة والاحترام في
نظر رعاياهم بعملهم على نشر العدل • لذا فقد حرص السلاطين
الأوائل على الجلوس للمظالم باستمرار •

فقد أقام السلطان المعز أيك التركماني الأمير علاء الدين
أيدكين البندقداري في نيابة السلطنة فواظب على الجلوس في
المدرسة الصالحية بين القصرين ومعه النواب لينظر في المظالم ،
غير أن السلطان بيبرس هو أول من أفرد أياما خاصة لقضاء المظالم
وواظب عليها وبنى دار العدل كمقر له (٨٠) •

وكانت محكمة المظالم بمثابة محكمة الاستئناف العليا في
عصرنا تعرض عليها القضايا اذا القاضى لم يحكم بينهم بالعدل •
وكان الغرض الأساسي من انشائها هو وقف تعدى ذوى الجاه
والحسب ولهذا كانت رئاسة ديوان المظالم تسند لرجل جليل القدر
كثير الورع يعرف باسم قاضى المظالم (٨١) •

وقد كان يحدد لقضاء المظالم أياما محددة وأوقاتا مخصوصة
لنظر المظالم التي يتقدم بها أحد الرعية وهي تعقد في كل الشهور
ماعدا شهر رمضان كذلك فقد كان السلطان هو الذي يحضر لنظر
المظالم أو من ينوبه عنه من كبار الموظفين ليعطوا المجالس هيئة
ووقارا تردع الظالم وترده عن ظلمه .

ويحضر مع السلطان كبار رجال دولته وهم يجلسون حسب
درجاتهم فكان السلطان يجلس على كرسي من الخشب المغشى
بالحرير وعن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة هما الشافعي والمالكي
وعن يساره قاضيان هما الحنفي والحنبلي . ويلى القاضي المالكي
من الجانب الأيمن قضاة العسكر الشافعي فالحنفي فالملكي ثم يليهم
مفتو دار العدل فوكيل بيت المال ثم ناظر الحسبة . ومن الجانب
الأيسر يجلس بعد القاضي الحنبلي الوزير ثم كاتب السر وهكذا
تستدير الحلقة ويقف وراء السلطان ممالك صغار من
السلالحدارية (٨٢) والجمدارية (٨٣) أما أرباب الوظائف وسائر
الأمرء فيظلون وقوفا (٨٤) .

وبعد ذلك يقوم الدوادار وأعرانه بجمع الشكاوى ويقدم كاتب
السر أو موقعو الدست بقراءتها واحدة بعد واحدة أمام هذا الجمع
الحاشد من كبار الموظفين وعندئذ يراجع كل صاحب اختصاص من
الحاضرين في هذا المجلس هذه الشكاوى سواء أكان من كبار
أصحاب الوظائف الديوانية أم الدينية أم أرباب السيوف وتكون
المراجعة بحسب الشرع (٨٥) .

ولكن كان جلوس السلاطين للقضاء بين الناس متقطعا بحسب
المشيئة والهوى بل من السلاطين من هجر هذه العادة ولم يجعلها
من تقاليده . ومنهم من أناب عنه نائب سلطنته لأداء هذه المهمة (٨٦)

وبذلك اقتصر جلوس السلاطين بالايوان كمجرد رسوم شكلية لاهياء المظاهر القديمة للمحكمة ولم يعد يقصد بها احقاق الحق ونشر العدالة ورد الحقوق الى اصحابها .

ويذكر المؤرخ ابن الصيرفي في أحداث شعبان سنة ٧٩٧ هـ مايو ١٣٩٥م أن السلطان جلس بدار العدل وهو الايوان فعملت الخدمة فيه على العادة ، وكان له مدة لم تعمل فيه الخدمة نحوًا من سنة ونصف (٨٧) .

واشتهر بعض السلاطين بالظلم والجور على الناس وعدم زجر الظالمين مثل السلطان الغوري فقال فيه ابن اياس :

سلطان مذ كُن في ضعفه ينفذنا عدلا واحسانا
فمن شفاه الله من دائه أحدث ظالما فوق ما كانوا (٨٨)

ولم يكن الحكم بالشرع بل بقوانين ربما تعود الى قوانين الياسة فعلى سبيل المثال عندما جلس السلطان الغوري يوم « الاثنين ١٤ صفر سنة ٩٢٠ هـ ، ١١ مارس سنة ١٥١٤ م » جلوسا عاما . « وفي ذلك اليوم رسم توسط شخصين من الغلمان قد سسرقا زرديتين فوسطهما في الرملية عند سوق الخيل » (٨٩) . ومن القواعد في قوانين الياسة أن من سرق يقتل وهذا بعكس القوانين الاسلامية التي تأمر بقطع يد السارق .

ويتضح من خلال مصادر هذه الفترة أن السلاطين لم يكونوا قادرين دائما على انصاف المظلومين من ظالمهم ولا سيما لو كان هؤلاء الظلمة من فئة الأمراء الذين يخشى السلاطين جانبهم خوفا من قدرتهم على أحداث الاقل لهم لذا فقد انتفى السبب الأصلي لوجود قضاء المظالم وهو القدرة على رد الحقوق من مغتصبها مهما

علت مكانتهم . كما أصبح النظر في أمور المظالم غير دائم واقتصر على كونه احياء لمظاهر ورسوم المملكة مجرد احياء شكلية لا يهتم بالجواهر وهو بث العدالة ورد الظالمين .

قضاء المحتسب :

الحسبة هي أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهى عن المتكر اذا ظهر فعله امتثالا لقوله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٩٠) .

وفي العصر المملوكي كانت سلطة القاضي موزعة بينه وبين المحتسب وقاضي المظالم ، ووظيفة المحتسب النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات احيانا مما يستدعي الفصل فيها الى السرعة ، وكان القضاء والحسبة يسندان في بعض الاحيان الى رجل واحد مع ما بين العاملين من التباين فعمل القاضي مبنى على التحقيق والأناة في الحكم وعمل المحتسب مبنى على الشدة والسرعة في الفصل (٩١) .

تبين النصوص أن القباطم بالحسبة في أيام المماليك له سلطة تنفيذية كسلطة قاضي القضاة وان كانت العقوبات التي يفرضها لا تبلغ عقوبات الحدود ويختلف حسب الذنب وهو ما أطلق عليه التعزير (٩٢) .

وكان المحتسب يجلس للقضاء بين الناس في جامع عمرو والأزهر وزاد نفوذه حتى غدا من اختصاصه الاشراف على رجال الشرطة الذين يقومون بتنفيذ أحكامه (٩٣) والعقوبات التي يفرضها مثل الردع بازالة الأمر المخالف مثل كسر أواني الشرب أو ذهاب المال ويتخذ الضرب كوسيلة للتعزير وذلك عن طريق آلات الضرب أو النفي والتجريس وأحيانا النفي والتوبيخ بالكلام (٩٤) .

وبذلك فقد كانت وظيفة المحتسب وظيفته دينية وكان يشترط فيمن يتولى أمرها أن يكون من العلماء لما تشتمل عليه من النظر في الأحوال الشرعية وإصدار الأحكام وهي أمور تتطلب العلم الشرعي والفقه والحديث واللغة ولكن في العصر المملوكي لم يكن هنالك قاعدة لتعيين المحتسب حتى تولاه الممالك أنفسهم وهم غالبا غير متمكنين من العلوم الشرعية مما أصاب هذه الوظيفة بالتدهور كغيرها من الوظائف في هذا العصر .

وجميع ماكتبه المؤرخون عن وظيفة المحتسب في عهد المماليك تشير الى أهمية دوره من الناحية الاقتصادية وهي أن على المحتسب أن يتعرف على دقائق كل حرفة وتجارة ليكشف بسهولة عن الغش الذي يرتكب ضد حياة الناس المعيشية وكان المحتسب يستعين في ذلك بالخبراء الذين يختارون من بين أرباب الصناعات والتجارة الذين سموا العرفاء أو النواب (٩٥) .

كما أن دور المحتسب الأخلاقي والاجتماعي انحدر في هذا العصر . كما تحدثنا المصادر المعاصرة لانحدار الأخلاق في معظم فترات هذا العصر ومحاولاتهم التمتع بالترف والجاه حتى وجد من السلاطين من جعل الخمر من رسوم المملكة (٩٦) وبالمقابل فقد ترك هؤلاء الفرصة للشعب ليعيش بنفس الطريقة وفي هذا حماية للمفسدين من المحتسب .

وبهذا نجد أن عمل المحتسب كما أقرته الشريعة الغراء من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكن مستمرا في كل العهود فعلى سبيل المثال انتشر الانحلال الأخلاقي في هذه الفترة وانحصر عمل المحتسب على الناحية الاقتصادية فقط وفي ذلك تفريغ لمضمون وظيفة المحتسب وجعلها جوفاء خالية من مضمونها الطبيعي الى الناحية الشكلية فقط .

كانت هذه هي الحالة القضائية المتدهورة التي وجدناها
العثمانيون عند دخول مصر فالفساد منتشر في كافة أرجائها والقضاء
الشرعي منهارة ، ورجال السياسة والحكم يقضون بما يوافق
أهواءهم ومن يدفع أكثر . وأخلاق قضاة الشرع وصفاتهم وطرق
توليقاتهم مشبوهة هي الأخرى . فلا نبأنا إذا قلنا من واقع مصادر
هذا العصر ان مصر لم يكن فيها قضاء في ذلك الوقت .

ثانيا : القضاء في الدولة العثمانية :

بعد أن عرضنا للقضاء في الدولة المملوكية وأوضاعه ونظم
التقاضي السائدة في ذلك العصر نعرض هنا لأحوال القضاء في
الدولة العثمانية ونظم التقاضي السائدة فيها . ومما تجدر الإشارة
إليه أن فكرة الدولة عند العثمانيين كانت بسيطة للغاية فقد تمثلت
في الدفاع عن البلاد ونشر الأمن وكذلك بسط العدالة على الرعايا
من خلال جهاز قضائي قوي ومستقر ويقوم عليه نخبة ممتازة من
علماء الشرع الاسلامي لذا فقد وجهت الدولة جل رعايتها للقضاء
وعملت على تحسين أوضاعهم لانعكاس ذلك على أحوال المتقاضين
الملاجهين اليهم . كذلك لارتباط القضاء وأعمالهم بالاسلام وهو
ما اعتبرت الدولة نفسها المدافع الأساسي عنه وعما يتصل به من
أعمال .

وقد تنوعت نظم التقاضي في الدولة العثمانية بين ضربين هما :

(١) قضاء الشرع الشريف .

(ب) قضاء السياسة أو القضاء الزمني .

ولقد تباينت اختصاصات القائمين على النظامين وان كانت
كلها تحكم وفقا لمبادئ الشريعة الاسلامية وكذلك وفقا للتشريعات

التي سنها سلاطين آل عثمان وهي موافقة بالضرورة لأحكام الشرع الشريف وأقرها شيخ الاسلام .

قضاة الشرع في الدولة العثمانية :

شيخ الاسلام : وجد على قمة النظام القضائي في الدولة العثمانية منصب شيخ الاسلام فهو الرئيس الفعلي للهيئة الاسلامية (٩٧) الحاكمة وان كان السلطان هو الرئيس النظري لها وسلطة شيخ الاسلام موازية لسلطة الصدر الأعظم . وكان يطلق على شيخ الاسلام أول الأمر مفتي العاصمة وأحيانا المفتي الأكبر وكان يتمتع بمركز مرموق للغاية وكان الصدر الأعظم والوزراء وفي بعض الأحيان السلطان نفسه يلتمسون رأيه (٩٨) .

وقد قيل ان وظيفة شيخ الاسلام أنشئت لتوازي وظيفة بطريرك لكل المسيحيين ويبدو أن ذلك كان راجعا الى النشاط الذي تم في عهد السلاطين من محمد الفاتح الى سليمان القانوني فالتقوانين كان من المفروض أن تنسجم مع ما نصت عليه الشريعة ، وهناك نظرية أخرى تحاول تفسير وجود شيخ الاسلام الى أنه تقليد ناقص للخلافة العباسية في القاهرة في عهد سلاطين المماليك (٩٩) .

ولكن يوجد رأي آخر وهو ما نميل اليه أن لقب شيخ الاسلام أطلق على مفتي العاصمة في عهد السلطان محمد الفاتح وذلك تمييزا لهذا المفتي عن سائر زملائه من رجال الافتاء الذين كانوا يعملون في معظم الأقاليم والمدن في أنحاء الدولة وأطلق ذلك اللقب لاضفاء مزيد من الأهمية والتبجيل على مفتي العاصمة في مواجهة الطوائف الدينية غير الاسلامية لاسيما أنهم جميعا كانوا يمارسون اختصاصاتهم الدينية في مدينة واحدة (١٠٠) .

ولقد خضعت الهيئات العثمانية والدينية كلها لسلطة مفتى
استانبول بوصفه شيخ الاسلام وقد كان عليه أن يفتى فيما يرفع
اليه من المسائل القضائية ولم يكن أحد من القضاة يجروا على
عدم الخضوع لأحكامه ، ثم ان السلطان محمد الثانى وسليمان
الأول ثبتا مركز المفتى على رأس الادارة برمتها وفى الحقيقة أن
السلطين كانوا شديدى الحرص على تأييد سلطته (١٠١) .

وقد عرف قانون نامه السلطان محمد الفاتح شيخ الاسلام
بأنه رئيس العلماء وهو وحده المنوط به أمر الفتوى فى الدولة وهو
المرجع الأول فى الشئون الدينية فى الدولة ورئيس كل العلماء أى
القضاة من المدرسين وقضاة العسكر (١٠٢) .

وبذلك فقد كان القضاة فى الدولة العثمانية خاضعين لسلطة
شيخ الاسلام ولذا لم يكونوا دائمين فى مناصبهم . وعلى ذلك
فقد نظم العثمانيون السلطة القضائية فى شكل تسلسلى على قمته
شيخ الاسلام بوصفه الرئيس القضائى الأعلى بحكم تفويض
السلطان له فى ذلك ومن حقه عزل وتعيين القضاة .

ولشيخ الاسلام هيمنة على جميع أفراد الهيئة الاسلامية
وكانت الدولة لاتقدم على حرب دون صدور فتوى فيها أن أهداف
هذه الحرب لا تتعارض مع الدين وكانت أحكام المفتى (شيخ
الاسلام) نهائية لا معقب عليها (١٠٣) كما كانت تحال الى شيخ
الاسلام القضايا الجنائية التى يرى القاضى الحكم فيها باعدام
المتهم أو المتهمين فيها قبل اصدار الحكم باعدامهم وهو اجراء كان
يستهدف الاطمئنان الى سلامة اجراءات التحقيق والمحاكمة وتوافر
الأدلة على ثبوتها ويحال اليه مشروعات القوانين الوضعية قبل
اقرارها بصيغة نهائية لمعرفة مدى مطابقتها للشريعة
الاسلامية (١٠٤) .

وكان شيخ الاسلام من الناحية الواقعية مساويا للصدر الأعظم في الرتبة . وكانا هما الموظفين الوحيدين اللذين يتلقدان خلعة وظيفتهما من السلطان شخصيا وفي الاحتفالات كان الاثنان يتقدمان معا لا يسبق أحدهما الآخر وبطبيعة الحال كان الوزير يتمتع بسلطة أقوى ولكن الشيخ كان يحظى بقدر أكبر من الاحترام .

وكان شيخ الاسلام يتقاضى راتبا كبيرا يصل الى حوالي ٧٥٠ أقة في اليوم يقبضها من بيت مال المسلمين (١٠٥) وفي حديثنا عن شيخ الاسلام لابد أن نتحدث عن المفتين ودورهم في الجهاز القضائي كجزء متمم لعمل القضاة وكانوا تابعين لمكتب شيخ الاسلام بحكم عمله في رئاسة الهيئة الاسلامية وبوصفه المفتي الأعظم .

وقد أنشأ السلطان سليمان القانوني مكتبا فنيا الحقه بشيخ الاسلام وأطلق عليه باب فتوى أو فتوى خانه بمقتضى دار « دار الافتاء » وكان يعمل بها جماعة من كبار العلماء يبحثون بصصفة تمهيدية المسائل الشرعية التي يطلب الى شيخ الاسلام اصـدار فتاوى بشأنها وكان يرأس دار الافتاء أحد كبار العلماء المرموقين ويطلق عليه فتوى أمين أي أمين الافتاء (١٠٦) .

وكانت مهمة المفتين تقديم الرأي الشرعي لمن يطلب ذلك سواء كان من القضاة لتوضيح بعض الأمور الغامضة في القضية ولا سيما لعدم وجود محامين في هذه الأيام مما أدى الى اعتبار دور المفتي أساسيا في العمل القضائي ، كما كانت تقدم هذه الفتاوى لأفراد الشعب لبيان الرأي الشرعي في الأمور موضع الفتوى ويقوم شيخ الاسلام بتعيين المفتين في أرجاء الدولة العثمانية . ومنع أن عملهم لم يكن محاطا بأنواع الهيبة والمظهرية فانهم تمتعوا بمكانة كبيرة في نفوس الشعب ، وذلك لنظرتهم لهم كعلماء دين .

ولم يكن يقوم بعمل الافتاء أى عالم كائنا من كان الا بعد الان
له من الجهة المختصة وكان يختار للفتوى الأعلام والأفقه والأورع
من بين العلماء (١٠٧) وكان شيخ الاسلام يطلق عليه فى قانون
نامه محمد الفاتح « سردار العلماء » ورغم أنه لم يكن ضمن تشكيل
الديوان فإنه كان يلعب دورا رئيسيا فى الإدارة والسياسة والفكر
فى الدواة فضلا عن مكانته فى الأمور العلمية والقضائية (١٠٨) .

ويتضح من هذا أن شيخ الاسلام أو « المفتى الأعظم » كان
هو الرئيس الأعلى للهيئة القضائية فى الدولة العثمانية ولا يحق
لأحد القضاة نقض أحكامه ، كذلك لا يستطيع أحد القضاة أن يصدر
أحكاما بالاعدام مثلا الا بعد عرض القضية عليه .

قضاة الشرع فى الدولة العثمانية :

تدرجت فئات القضاة فى الدولة العثمانية من حيث درجاتهم
فبعد شيخ الاسلام مباشرة يوجد :

١ - قضاة العسكر .

٢ - القضاة من فئة المولى الكبير .

٣ - القضاة من فئة المولى الصغير .

٤ - المفتشون .

٥ - النواب وهم أدنى درجات العاملين فى السلم
القضائى .

١ - قضاء العسكر :

لم يكن فى الدولة العثمانية منصب قاضى القضاة كما لم
يكن فيها قاضى العسكر الى عهد السلطان مراد الأول (١٠٩) فكان

قاضى العاصمة يصحب الجيش فى غزواته قائم مقام لقاضى
القضاة ومؤديا وظيفة قاضى العسكر . وقبل ذلك فى عهد السلطان
أورخان كان المولى خليل الأسود الجندرى قاضى ازنيق مرجعا
للقضاة والخطباء الذين يعينون فى المدن التابعة للدولة ، وفى عهد
السلطان مراد الأول (٧٦٣ هـ) (١٣٦١ م) كثرت صنف الجند
فكثرت شئونهم تبعا لكثرتهم فعين خليل الأسود الجندرى قاضيا
للعسكر (١١٠) . وأطلق على قاضى العسكر لقب قاضى القضاة
وكان مقره العاصمة ويشرف على أعمال القضاة فى سائر أنحاء
الدولة ويقوم بترجيح من يقع اختياره عليهم لشغل وظائف القضاة
على اختلاف فئاتهم .

امتيازات قاضى العسكر :

وكان منصب قاضى العسكر - الذى هو قاضى القضاة -
لا يوجه الا للعلماء الحائزين على رتبة التدريس وكانت المدة التى
يقضيها قاضى العسكر فى عمله هى عشر سنوات أو خمس عشرة
سنة وبعد انفصالهم عن أعمالهم يصبحون من أهل التقاعد بمرتبات
كافية وكان بعضهم يختار التقاعد بمعاش التدريس (١١١) .

ومن الامتيازات التى تقررت لقاضى عسكر الدولة أن يقام حفل
رسمى عند تعيينه فى منصبه وكان على الصدر الأعظم أن يحضر
هذا الحفل من باب التقدير والتكريم ولا يجوز للصدر الأعظم أن
يذيب أحدا عنه فى حضور الحفل وكان الصدر الأعظم يقدم لقاضى
العسكر رداء التشريفية وكانت تخصص لكل قاضى عسكر عربية
يسـتقلها فى تنقلاته وفى حالة الحرب يقدم لقاضى عسكر
أطواغ (١١٢) تنصب أمام خيمته التى تكون مجاورة لخيمة السلطان
وخيمة الصدر الأعظم (١١٣) .

تقسيم المنصب :

ولقد أدى ازدياد مكانة قاضى العسكر ونفوذه حتى وصل الى اعظم مركز سبق أن شغله قاضى قضاة فى الماضى مما أدى الى غيرة الصدر الأعظم « قرمانى محمد باشا » فى عهد السلطان « محمد الثانى » فأعزى السلطان أن يقسم الوظيفة الى وظيفتين وأن ينشأ قاضى عسكر لك ثانية تسمى عسكر لك الأناضول على حين أن الوظيفة الأصلية قاضى عسكر الرومىلى (١١٤) وعلى هذا وجد المنصب الجديد فى عام ١٤٨٠ م بناء على حسد وغيره الصدر الأعظم لمكانة قاضى عسكر وخوفا من نفوذه وسلطاته وليس بناء على اتساع الدولة فى ذلك الوقت وانتقال مقر الحكم والادارة الى القسطنطينية .

قاضى عسكر الرومىلى :

وكان قاضى عسكر الرومىلى أعلى مركزا من زميله قاضى عسكر الأناضول وكان يصحب الجيش العثمانى حيث كان يتوغل فى أوربا يخوض المعارك وكان من اختصاصاته تعيين جميع القضاة الذين يعملون فى أوربا وكذلك العاملين فى المساجد التى أقيمت فى الولايات العثمانية الأوربية (١١٥) .

ولقد قيض لوظيفة قاضى عسكر الرومىلى أن تزداد بمرور الزمن . وكان يساعده فى عمله قسام وذلك فى مسائل الارث كما كان يساعده فى المسائل العامة نائب ومسجل وقد اضيف اليهم الميرى كاتب وكان يبيت فى الحالات المتعلقة بأموال الدولة ، كما حصل قاضى عسكر الرومىلى على الحق الخاص أن يقدم أمام محكمته كل القضايا المتعلقة فى محاكم العاصمة الصفرى وأن يختتم على أملاك الأشخاص الذين يتوفون بداخلها حفظا لها (١١٦)

وكان من وظيفته كذلك أن يقوم بوظيفة مستشار ديني للسلطان مع الاشراف على توزيع الغنائم والفصل في الخصومات الناشئة (١١٧) بين أفراد الجيش والدعاوى الجنائية والمدنية التي ترفع من الأهالي ضد أحد ممن ينتمون للجيش ، أما توقيع العقوبات الخاصة بالمخالفات العسكرية فلم تكن من اختصاصات قاضي العسكر وإنما كان ذلك من اختصاص السلطة العسكرية (١١٨) .

قاضي عسكر الأناضول :

وجد هذا المنصب في عام ١٤٨٠م وكان قاضي عسكر الأناضول يشترك كعضو في الديوان مع زميله قاضي عسكر الروميلي ويقوم بمصاحبة الجيش في حملاته على آسيا وأفريقيا كما أنه يقوم بتعيين القضاة داخل المناطق التابعة له والاشراف عليهم ومراقبتهم وكذلك تعيين مديري المساجد والموظفين الدينيين داخل منطقة نفوذه .

على أن قاضي عسكر الأناضول فقد معظم سلطته مع تطور الزمن في القرن السابع عشر . فما حل ذلك الوقت حتى كانت كل مسائل القانون والنظام قد أنتزعت بحكم القانون من أيدي القضاة وحيث كانت تثار قضايا في الديوان السلطاني كانت تحول برمتها الى قاضي عسكر الروميلي ولم يزد ما كان يقوم به زمياله قاضي عسكر الأناضولي عن دور رسمي في القضايا الا اذا كلفه المصدر الأعظم على وجه السرعة ببعض الأعمال الخاصة كما أصبح النظر في كل حالات الارث المتخلقة بالمسلمين من اختصاص قاضي عسكر الروميلي (١١٩) .

على أنه في حالة غياب قاضي عسكر في مصاحبة الجيوش يقوم القضاة المدنيون المحليون بالقضاء بين الناس ولكن عند

عودتهم يتولون هم القضاة وفقا لمبادئ الشرع الاسلامي وكانت ولاية القضاة في هذه الآونة شاملة كل أنواع القضايا سواء المدنية أو الجنائية ولم تكن مقصورة على نوع محدد من القضايا . وقد بلغ قضاة تلك العهود من متانة الخلق وقوة العقيدة مستوى لا يسمح لهم باصدار الحكم من غير بحث شامل ودرس دقيق (١٢٠)

القضاة من فئة موالى كبير :

في بداية نشأة الدولة العثمانية كان القضاة العثمانيون يختارون من بين العلماء المسلمين ممن تلقوا تعليمهم في مصر والمشرق العربي عموما وذلك قبل أن تفتح المدارس في الدولة العثمانية لتخريج القضاة ومرورهم بطريق علمي صعب لضمان مستواهم العلمي .

وكان الموالى العظام يتمتعون بمميزات مختلفة فكان يسمح لهم بارتداء عباة السمر مثلهم في ذلك مثل الوزراء كما كان يسمح لهم مع كبار أساقفة استانبول بحضور الاحتفال الذي كان يقدم فيه فروض الولاء للسلطان الجديد والاحتفال الذي كان يعقد مرتين في السنة في عيدي الفطر والأضحى وكان يؤكد فيه الولاء للسلطان (١٢١) .

أما عن مرتباتهم فقد كانوا يحصلون على جزء كبير من دخلهم من مصدرين الرسوم القضائية والفرامات التي يحكمون بها وكلا المصدرين يدر إيرادا وفيرا وكانوا يتقاضون جزءا من الرسوم المقررة على معاينة التركات وتقسيمها والمبيعات وعلى الأوراق الرسمية التي تصدر عن المحاكم ويطلق عليها الحجج الشرعية (١٢٢) . بالإضافة الى الرواتب التي تخصصها لهم الدولة .

وبهذا فقد كان القضاة من فئة مولى كبير يتمتعون بالعديد من الامتيازات الخاصة بهم . وهم الذين يلبون قاضى العسكر مباشرة غير أنهم فيما قبل كانوا يمرون بطريق دراسى صعب حتى يصلوا الى هذه المكانة وذلك حفاظا على المكانة العلمية للقضاة وليحولوا دون بلوغ الجاهلين أصحاب الوساطات الى هذه المناصب الجليلة .

المفتشون :

كان القضاة تحت اشراف قضاة العسكر ونظارتهم العامة وكانت أعمال القضاة تفتش من حين لآخر اذا كان هناك ما يدعو الى التفتيش ويؤخذ من الوثائق التاريخية القديمة أنه فى عهد السلطان محمد جلى (١٢٣) الأول جد محمد الفاتح عين جمال الدين محمد جلى مفتشا عاما على القضاة باسم الحكام العثمانية وكان يشرف أيضا على الأوقاف (١٢٤) ثم تطورت أعمالهم حتى اشرفوا على الأوقاف فهم من رجال القضاء وان كان اسمهم لاينم عن مهمتهم القضائية وكان عددهم قليلا يصل الى خمسة مفتشين وهم قضاة من فئة مولى كبير واختصوا بالاشراف على الأوقاف السلطانية ينفقون من ايرادتها على المؤسسات الدينية والخيرية وكان مقر ثلاثة من أولئك المفتشين فى مدينة بروسة ولهؤلاء المفتشين الخمسة جهاز يضم عددا كبيرا من الموظفين المساعدين يتجولون فى مناطق الأوقاف (١٢٥) .

النواب :

وكانت وظائف النواب تمثل أدنى درجات السلم الوظيفى القضائى وكانوا يباشرون اختصاصاتهم القضائية فى المدن الصغيرة

أو في القرى الكبيرة كما كانوا يحلون محل القضاة في أثناء تغيبهم عن عملهم عند قيامهم بالاجازة أو في أثناء مرضهم وكان النائب يحصل على إيرادات ضخمة من حصيلة الغرامات المالية التي كان يحكم بها على المخالفين والذين يرتكبون أعمالا مخلة بالآداب العامة وما إلى ذلك (١٢٦) .

يتضح من ذلك أن القضاة في الدولة العثمانية نظموا في شكل هرمي يبدأ من شيخ الاسلام على قمته ويليه قضاة العسكر حتى يصلوا إلى الأتراك وهم أدنى درجة من درجات السلم القضائي وهم جميعا يقضون حسب أحكام الشريعة الاسلامية وكذلك القوائين التي سنّها السلاطين وسوف نعرض لها .

كما يتضح أن القضاة في أحكامهم كانوا يخضعون لمراقبة شديدة سواء من جانب السلاطين أو العلماء وكذلك كان هناك مراقبة من داخل طبقة العلماء لأعمال القضاة ومدى موافقتها للشريعة الاسلامي . كما تجدر الإشارة إلى أن الولاية القضائية للقضاة لم تشمل جميع طبقات السكان في الدولة فهناك محاكم خاصة لبعض الطبقات مثل الأشراف الذين تمتع نقيبهم بنوع من الولاية القضائية عليهم وكذلك وجدت محكمة خاصة بطبقة القبولاري (١٢٧) .

التشريعات العثمانية :

كان السلطان العثماني رئيس الهيئة الاسلامية الحاكمة وكذلك رئيس طبقة القبولاري فهو بذلك يرمز إلى كل السلطات الموجودة من تنفيذية وقضائية وتشريعية وكننتيجة لقيام الدولة العثمانية على أساس ديني فقد أصبح السلطان هو حامى الاسلام والمسلمين والمدافع عن العقيدة الاسلامية لذا فقد كان من حقه بحكم كونه اماما

للمسلمين وتمتعه بالولاية العامة أن يعين القضاة وأن يصدر التشريعات الخاصة في شكل فرمانات سلطانية لها صفة الالتزام .

ومنحت الشريعة الإسلامية لولى الأمر الحق فى إصدار التشريعات فى الأمور التى لم يأت لها نص من القرآن الكريم وفى سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مثل قوانين الإدارة مادام تتوافر فيه شروط الاجتهاد وعلى الرعية العمل بما آل اليه اجتهاده هو أو من أنابه عنه وفى هذه الحالة طاعة ولى الأمر واجبة الاتباع .

ومنذ عهد مؤسس الدولة عثمان الأول (١٢٨) توالت التشريعات وكان يطلق عليها اسم « القوانين » مقابلة لها بأحكام الشريعة التى تنظم شئون الحكم والإدارة ولم تكن هذه التشريعات تستند فى قوتها الإلزامية إلا الى المبدأ المعروف الذى يقضى بخضوع الرعية لسلطة ولى الأمر (١٢٩) ومع ذلك فلم يكن إصدارها عملاً تشريعياً بالمعنى المفهوم مادام القانون لم يضيف إضافات جديدة بل أكد العرف الشائع المتبع فقط فهذه القوانين التى سنّها السلاطين كانت تعتبر مبدئياً واقعة ضمن نطاق الشريعة أو سليمة فى نظرها كما أن السلطان يصدرها لا بحكم سلطته السياسية المستقلة بل بحكم صلاحية الاجتهاد التى أسندتها الشريعة للحاكم المدنى (١٣٠) .

ويلاحظ أن الفترة التى حكم فيها كل من السلطان محمد الثانى والسلطان سليمان القانونى بنوع خاص قد شهدت نشاطاً ملحوظاً وغير عادى فى وضع التشريعات العثمانية وكان يطلق على هذه التشريعات التى تصدر فى حكم كل سلطان قانون نامه (١٣١) .

يتضح من ذلك أن سلاطين آل عثمان وجدوا على قمة النظام التشريعى فى الدولة العثمانية ولكنهم مع ذلك لم يغفلوا دور شيخ

الإسلام فقد كانت تعرض عليه القوانين قبل العمل بها لإقرارها
ومعرفة مدى مطابقتها للإسلام كما أن العديد من هذه القوانين قد
صدر عبارة عن فتاوى أصدرها شيخ الإسلام ردا على أسئلة وجهت
إليه من السلطان العثماني .

ومن هذه الفرمانات التشريعية ما كان عام التطبيق نافدا في
جميع أنحاء الدولة ومنها أيضا ما كان محدود التطبيق بأقليم معين
من أقاليمها كقانون نامه مصر (١٣٢) الذي صدر في عهد السلطان
سليمان القانوني وكان هذا المتوافق النظري بين التشريعات العثمانية
وأحكام الشريعة الإسلامية يؤيد بأن هذه التشريعات كانت تعرض
قبل اكتسابها قوة النفاذ على شيخ الإسلام (١٣٣) وعلى أية حال
فلم يذهب أحد إلى أن هذه القوانين تؤلف قانونا علمانيا يناظر
الشريعة ، أو أنها تتناول مجالا خارج نطاق الشريعة فهي لا تعدو
أن تكون تنظيما في شئون لم تحدها الشريعة ، وهي بطبيعة الحال
لا تتعارض مع الشريعة (١٣٤) على أن المادة القانونية التي تضمنتها
هذه القوانين والتي صدرت باسم السلطان وبعد موافقته النهائية
عليها قد اشترك في إعدادها أعضاء الديوان وهم الذين قاموا
بمعاونة مساعديهم بوضع الصياغة القانونية لهذه القوانين (١٣٥) .

ثانيا : قضاة السياسة :

وتمثل قضاة السياسة في الديوان الذي كان يرأس جلساته
السلطان نفسه وبعد ذلك تولى الصدر الأعظم رئاسته .

الديوان :

انتقل الديوان كتقليد إسلامي إلى الدولة العثمانية . وفي
أوائل عصرنا كان السلاطين يسير على خطى بعض الأسر الإسلامية
الحاكمة السابقة ، يتولون القضاء بأنفسهم ولكنهم كانوا عادة

ما يقومون بذلك بمساعدة قضاة الشرع فهم يصدررون أحكاما تطابق مفهومهم عما هو عادل ولا يخالف الشريعة أو أغراضها الضمنية (١٣٦) . وكان الديوان يجتمع أربع مرات فى الأسبوع ، أيام السبت والأحد والاثنين والثلاثاء فى قاعة بفناء القصر وكانت المناقشات تبدأ من الصباح ثم تتوقف مرتين ليتناول الأعضاء الطعام معا ولا تنتهى الا فى ساعة متأخرة من الأصيل (١٣٧) .

وكانت الشكاوى المرفوعة الى الديوان ترتب حسب تاريخ التقدم الأول فالأول وتستوفى التحقيقات التمهيدية ثم يجتمع الأعضاء فى المواعيد المحددة ويجلس كل منهم فى مكانه حسب قواعد التشريفات وينظرون فيما ورد عليهم من الشكاوى (١٣٨) وينبئنا الفقيه المصرى ابن حجر العسقلانى فى رواية ترجع الى القرن الـ ١٤م أن الناس كان يوسعهم فى ذلك الوقت التقدم بمظالمهم مباشرة الى السلطان بايزيد الأول وأنه كان يقوم بنظرها على الفور (١٣٩) . ولم يحتفظ بحق الاشتراك فى هذا المجلس غير أركان الدولة وهم قاضيا العسكر وكان أحدهما من الأناضول والآخر من الروم ، ثم أضيف اليهما بعد فتوح سليم الكبرى قاض ثالث من أفريقية وكل من باشا آسيا وباشا أوروبا وكذلك كل من الدفتردارين المنوط بهما أمر الادارة المالية فى نصف الدولة وقد أضيف اليهما ثالث فيما بعد أيضا وهناك أغا الانكشارية وذلك بوصفهم ممثلى الجيش وهناك أمير البحر (قبودان باشا) وصاحب التوقيع (نشانجى) القيم على خاتم السلطان وطغرائه (١٤٠) .

كما يؤخذ من بعض المراسيم السلطانية ، والفرمانات والوثائق الأخرى أنه اذا حدثت منازعات فى بعض القضايا مثل قضايا الرعى والماء والحدود وطلب المتنازعون تدخل الحكومة فيها منعا لحدوث

أى حادث يوفد من قبل السلطان مباشرة بإشارة الديوان رجال موثوق بكفاءتهم وخلقهم يجرون التحقيق فى مكان النزاع لاطهار الحق من المبطل وعلى ضوء نتيجة تحقيقهم يصدر الفرمان وينفذ مقتضاه وكذلك يفهم من الوثائق المشار إليها أن هذه الاجراءات كانت تتم خلال مدة قليلة (١٤١) .

ذهب بعض الفقهاء الى أن ديوان السلطان العثمانى كان بمثابة مجلس الدولة وله اختصاصات قضائية ، فقد كان يجتمع لينظر فى المسائل السياسية والادارية المهمة التى تهم الدولة ككل بالاضافة الى كونه محكمة قضائية عليا تنظر ما يعرض عليها من القضايا المهمة فهو اذن عبارة عن هيئة تجمع بين طبيعة عمل الوزارة من ناحية والمحكمة من ناحية أخرى (١٤٢) .

وكان السلاطين الى عهد السلطان محمد الفاتح يرأسون الديوان بأنفسهم وفى عهده حدث حادث أدى الى استيائه اضطرب بعده أن يحضر الديوان ويستمع للشكاوى والمداوولات من وراء حجاب وكان ذلك باقتراح من « أحمد باشا كديك » الوزير الاعظم فى ذلك الوقت وكان السلطان يستقبل أعضاء الديوان بعد انتهاء اجتماعاتهم ليعرض أعضاؤه على مسامعه تقريراً عن أعماله ومقرراته (١٤٣) .

وانتقلت رئاسة الديوان بعد ذلك الى الصدر الأعظم الذى كان قد حصل على تفويض عام من السلطان بحكم تقليد الأخير وظيفة الامامة وتأسيسا على هذا التفويض كان الصدر الأعظم يتولى القضاء بالمحكمة العليا بمساعدة قضاة الشريعة بعد أن تم تطعيم الديوان بأكبر العناصر القضائية التى تمثل الشريعة الاسلامية (١٤٤)

الصدر الأعظم ورئاسة الديوان - الدور القضائي للصدر الأعظم :

عندما اتست الدولة العثمانية اتساعا كبيرا نتيجة الفتوحات فى أوربا وأفريقيا بعد ذلك ظهر منصب الصدر الأعظم الذى أصبح بمثابة نائب السلطان فى كافة أمور الدولة كما امتدت سلطاته الى رئاسة الديوان ، مما ترتب عليه وجود اختصاصات قضائية للصدر الأعظم .

وحدد قانون نامه محمد الفاتح مركز الوزير الأول فجاء فيه « لتعلم أولا أن الصدر الأعظم هو رئيس الوزراء والأمراء وأنه أعظمهم جميعا وصاحب الصلاحية المطلقة فى إدارة شئون الدولة وللصدر الأعظم فى حركاته وسكناته وفى قيامه وقعوده حق التقدم على جميع موظفى الدولة (١٤٥) وكان معظم من شغل منصب الوزير أو الصدر الأعظم حتى فتح القسطنطينية ١٤٥٣م من المسلمين الأحرار الذين برز من بينهم أسرة جندرلى ، ولكن بازدياد الاعتماد على الدفترية أصبح الاعتماد متقطعا على أفراد فى الوزارة العظمى منذ عهد السلطان محمد الأول ثم بشكل متزايد منذ عهد السلطان محمد الثانى (١٤٦) .

وقد حفظ له نظام التشريفات الخاص بالبلاط مقامه كنائب السلطان فكان يتقبل فى أيام ثابتة من الأسبوع شأن السلطان نفسه ولاء موظفى البلاط والدولة وكان لا يظهر للجماهير الا وسط حاشية ممتازة وهكذا انتهى قصره فى الباب العالى حيث كان يجمع رؤساء الدولة للمشاورة الى أن يصبح هو مقر الحكومة الحقيقية (١٤٧) .

وكان الديوان أعلى محكمة فى الدولة العثمانية وهى محكمة من طراز فريد فليست لها اختصاصات محكمة الاستئناف أو محكمة من أول درجة أى المحاكم الابتدائية ، وكان لا يدخل فى اختصاصات

محكمة الديوان مناقشة شرعية القوانين ، ومع ذلك فان الديوان كمحكمة تشمل ولايته القضائية جميع القضايا المدنية والجنائية التي ترفع اليه من أى جزء من أجزاء الدولة وبذلك فقد كانت سلطته القضائية غير مقيدة (١٤٨) .

أما عن عرض القضايا فعندما يبدأ الديوان النظر فى المسائل القضائية كان ببوك . تذكرجى (كبير السكرتارية) يقف أمام الصدر الأعظم ويتولى قراءة الشكاوى والعرائض المقدمة للديوان للفصل فيها ثم يكتب القرار الذى يتخذه فى شأن كل عريضة أو شكوى ولكن لدى ازدحام جدول أعماله بالعديد من المسائل المتنوعة الى استبعاد المسائل الفردية وتخصيص دفتر لبحث المسائل العامة (١٤٩) .

ويذكر البعض أن اشتراك قضاة العسكر فى هذا الديوان كان ميزة لهم لم يشاركهم فيها شيخ الاسلام (١٥٠) ولكن يمكن الرد على ذلك بأن عدم تقرير عضوية شيخ الاسلام فى الديوان كان نوعا من التكريم لشيخ الاسلام تفاديا لوجوده فى موقع يكون فيه تحت رئاسة الصدر الأعظم الذى كان يرأس بحكم منصبه الديوان (١٥١) .

وبالإضافة الى القضاء الجالس (١٥٢) للصدر الأعظم فى الديوان كان له أيضا نوع من القضاء المتجول ان كان يقوم بجولات فى الأسواق أيام الجمعة والأربعاء من كل أسبوع بصحبة القضاة للتفتيش على اتباع القوانين والأعراف المتعارف عليها فى الحرف والتجارة وتوقيع العقوبة فى الحال على من يضبط مخالفا هذه القوانين والأعراف (١٥٣) .

ولكن يبرز هنا سؤال عن دور القضاة الموجودين فى الديوان فى اصدار الأحكام ؟ وهل كانت هذه الأحكام تصدر باسم الصدر الأعظم ؟ .

اننا نميل الى أن دور القضاة فى هذه الجلسات كان دورا استشاريا مقصورا على تقديم المشورة الشرعية فى القضايا التى تعرض على الديوان وكان الصدر الأعظم بحكم رئاسته الجلسات تخرج أحكامه باسمه ورأيه . ويعتبر هذا النوع من القضاء امتدادا فى جوهره لنظام قضاء المظالم فى العهد الاسلامى وبذلك يبرز الطابع العثمانى فى محاولة اتباع التقاليد الاسلامية التى جادت بها حضارة الاسلام كما يظهر حرص السلاطين على اقرار العدالة ونشرها بين الناس وردع الظالمين والظلمة .

كما يتضح أن كثرة عرض القضايا العامة والخاصة على الديوان أدت الى عجزه عن نظر هذا الكم الهائل فاقتصر فى النهاية على الأمور العامة دون الخاصة . ووجد مساعدون للصدر الأعظم فى ادارة جلسات الديوان وتطورت اختصاصاتهم القضائية مع التطور الزمنى حتى أنهم حصلوا على اختصاصات قضائية شديدة الأهمية وهؤلاء الموظفون هم جاوش باشى (١٥٤) والتذكيرية .

الجاوش باشى :

كان الجاوش باشى يقوم بمجموعة مختلفة من المهام ترجع فى أصولها على أى حال الى تولية قيادة الجاوشية فهم كانوا فى الأصل يحضرون جلسات محكمة السلطان لمراقبة تنفيذ الأحكام الصادرة من محكمة السلطان (١٥٥) وعندما تحولت رئاسة محكمة السلطان الى الصدر الأعظم أصبح الجاوش باشى تابعا له وكان له دور كبير فى اجراءات المحكمة حتى وصل به الأمر فى القرن الثامن عشر أن أصبح نائبا لرئيسها وبهذه الصبغة الجديدة التى أضيفت كان الجاوش باشا يرأس الجلسات التحضيرية فى المحكمة توفيراً لوقت الصدر الأعظم فيعد ملخصا للقضايا التى على الصدر الأعظم أن يفصل فيها (١٥٦) .

وكانت مهمة الجاوشية الخاضعين لأمرته هي ادخال الشاكين
والمدعين والمتهمين الى محكمة المصدر الأعظم وعمل الرسائل وتنفيذ
أحكام معينة ويقرر الجاوش باشي أى القضايا تقدم الى محكمة
الديوان وأيها يقدم أمام محاكم أقل أهمية (١٥٧) .

التذكرجية :

وقد أدى تطور أعمال الجاوش باشي الى الاشراف على أعمال
اثنين من الموظفين يسميان التذكرجية ويقصد بالتذكرة هذا عرض
الدعوى المقدمة وكان يطلق على أحد هذين الموظفين «بيوك تذكرجى»
أى التذكرجى الكبير بينما يطلق على الآخر «كجوك تذكرجى» أى
التذكرجى الصغير وكانا يتناوبان مهمة قراءة الشكاوى المقدمة
للمصدر الأعظم ثم كتابة القرار الذى يتخذه الأخير فى كل منها (١٥٨)

وعلى أية حال فإن وضعهما الرسمى كان متواضعا ، بحيث
أنهما فى قانون نامه محمد الفاتح يبدوان متمتعين بالأسبقية على
كتبة الرئيس وحدهم ، وبالإضافة الى ماكان عليهما عمله فى محكمة
الوزير كان عليهما أن يصوغا الأوامر التى كان يتولى إصدارها الى
الادارات الحكومية المختلفة (١٥٩) .

يتضح من ذلك أن الدولة العثمانية كدولة فنية فى أوج قوتها
عملت على الاهتمام بنشر العدالة بين رعاياها ، والاهتمام بحضور
السلطين ومن بعدهم المصدر العظام فى رئاسة جلسات الديوان
وهو أكبر محكمة قضائية فى الدولة ولأريب فى أن ذلك أضفى مزيدا
من المهابة على أحكام هذه المحكمة التى يصدرها السلطان أو نائبه
المصدر الأعظم مما أدى الى قمع المفسدين ونشر العدالة .

ولم يكن قضاء السياسة فى الدولة العثمانية مقصورا على
السلطان والمصدر الأعظم بحكم رئاستهم للديوان فقد وجد قاض
آخر للشئون المالية هو الدفتردان .

الدفتردار :

انشأت الدولة العثمانية فى أول الأمر وظيفتين شغل احدهما دفتردار شمل اختصاصه بلاد البلقان وبقية الأقاليم الأوربية التى خضعت للسيادة العثمانية ويسمى دفتردار الرومىلى وكذلك الآخر اهتم بالشئون المالية للأناضول ويسمى « دفتردار الأناضول » وكان دفتردار الرومىلى أعلى مكانة من دفتردار الأناضول وقد أصبح يتولى المسئولية عن السياسة المالية للدولة كلها (١٦٠) .

وفى مقدمة قانون نامه « محمد الفاتح » ورد ذكر له بصفته وكيلا للسلطان فى الشئون المالية شأنه فى ذلك شأن الصدر الأعظم الذى كان هو يليه مباشرة بحيث ان الصدر الأعظم كان بمثابة مفتشه (١٦١) .

ونتيجة لخطورة وأهمية عمل الدفتردار فقد وجد تحت امرته جهاز هائل من الموظفين الاقتصاديين والمحاسبين يناظر فى حجمه الجهاز الذى يعمل فى الباب العالى نفسه وكان هذا الجهاز ينقسم الى قسمين أحدهما يختص بالمرازنة والمراجعة والمحاسبة ، والقسم الآخر هو قضائى عبارة عن محكمة تفصل فى المنازعات التى تثار بين المواطنين والحكومة حول مستحقات الدولة من العائدات والضرائب (١٦٢) .

وبذلك فقد رأس الدفتردار محكمة تفصل فى المنازعات التى كانت تحدث بين الحكومة والأفراد فيما يتعلق بالمسائل المالية ، كما كانت هذه المحكمة تختص بالنظر فى الشكاوى التى يتقدم بها الأفراد ضد الدولة على سبيل المثال فيما يخص الضرائب وبهذا فقد عرفت الدولة العثمانية فى هذه الفترة المحاكم المختصة التى يختص كل منها بالنظر فى نوع معين من القضايا .

موازنة بين القضاة فى الدولتين المملوكية والعثمانية :

رأينا نظم القضاة فى الدولة المملوكية وكيف ان السلاطين اهتموا باستغلالهم كواجهة دينية لحكمهم لاكتساب الشرعية فى نظر الناس ، فى نفس الوقت الذى انهارت فيه نظم التقاضى ولاسيما قضاة الشريعة الشريفة ، وتعددت جهات التقاضى من كبار موظفى الدولة مما أدى الى الانهيار القائم للنظم القضائية ولأوضاع القضاة الشرعيين فى هذا العصر وانتشار الفساد والرشوة سواء عند التعيين فى مناصب القضاء أو عند اصدار الأحكام القضائية .

أما فى الدولة العثمانية فقد قامت على أساس دينى كامارة مجاهدين لذا اهتمت اهتماما بالغا بالنظم القضائية وتحسين أوضاع القضاة ، وكان من أهم اختصاصات الدولة عندهم نشر العدالة عن طريق اقامة جهاز قضائى قوى لذا فقد كان على القضاة أن يملوا بطريق دراسى صعب وطويل لدراسة العلوم الإسلامية ، وترتب على ذلك أن العثمانيين عملوا عند دخولهم مصر على تحسين النظام القضائى وربطه بهيئة القضاء الإسلامى فى استانبول ومنع الفوضى والمهاوى الأخلاقية التى وجدوا عليها أحوال قضاة مصر عند الفتح العثمانى لها .

* * *

هوامش الفصل الأول

(١) الماليك : ينتمى الماليك الى الرق وكان الخلفاء العباسيون هم أول من استخدم الماليك أو الرقيق البيض واعتمدوا عليهم فى توطيد نفوذهم . وفى مصر فى العصر الايوبى زادت اعداد الماليك زيادة كبيرة ذلك لأن ورثة صلاح الدين من أبنائه وأخوته اقتسموا فيما بينهم تلك الدولة الواسعة ونتيجة لازدياد الاضطرابات وسوء العلاقات بين هؤلاء الحكام لم يجد امراء المسلمين من أيوبيين وغير أيوبيين وسيلة يقفون بها فى وجه خصومهم سوى الماليك فاكثروا من شرائهم وغنوا بتدريبهم وتنشئتهم ليكونوا عدة وسندا لهم وسرعان ما غدا لأولئك الماليك كلمة مسموعة شى الأحداث حتى تولوا حكم البلاد بعد مقتل توران شاه . انظر د/قاسم عبده قاسم . دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى - عصر سلاطين الماليك . دار المعارف . القاهرة ١٩٨٣ ط ٢ ص ١١ .

(٢) د/سعيد عبد الفتاح عاشور - العصر الماليكى فى مصر والشام دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٦ . ج ٢ ص ١١ .

(٣) بيبرس البندقدارى . تولى الحكم فى ٢٣ أكتوبر ١٢٦٠م لمدة سبعة عشر عاما استطاع فى فترة حكمه أن يظهر قوة الشكيمة فى تصريف الأمور وظهر بطولات كثيرة فى صد اخطار الصليبيين والتتار عن بلاد الشام . وعمل على تخفيف الأعباء الملقاة على كواهل الأهالى ووضع النظام الادارى فى مصر والشام فى العصر المملوكى . انظر د/سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ٣٧٨ .

(٤) محمود بن محمد بن عرنوس . تاريخ القضاء فى الاسلام - المطبعة الأهلية د/ت . ص ١٠٥ .

(٥) جلال الدين السيوطى - حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة -
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة ١٩٦٨
ج ٢ ص ١٦٦ .

- د/ على ابراهيم حسن - دراسات فى تاريخ الممالك البحرية
- مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٤ . ج ٤ ص ٣٢٥ .

- د/ حسن ابراهيم حسن و د/ على ابراهيم حسن - النظم الاسلامية
- مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٠ . ص ٣٠٧ - د/ محمد جمال
الدين سرور - الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره - دار الكتب -
القاهرة ١٩٣٨ . ص ١٣٨ .

(٦) د/ عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى
مصر - الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٤ . ج ١ ص ٩٥ .

(٧) جمال جرجس يوسف - القضاء فى العصر المملوكى - رسالة
ماجستير غير منشورة - كلية الآداب جامعة عين شمس . ص ١٣٩ .

(٨) محمود رزق سليم - عصر سلاطين المماليك ونتائج العلمى
والادبى - القسم الثانى . مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٧٩ .

(٩) جلال الدين السيوطى - مصدر سابق . ج ٢ ص ١٦٤ .

- د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ٣٧٨ .

(١٠) د/ محمد جمال الدين سرور - مرجع سابق . ص ١٣٧ .

- د/ حسن ابراهيم و د/ على ابراهيم - مرجع سابق . ص ٣٠٧ .

(١١) السلطان برقوق : هو أول سلاطين المماليك الجراكسة (١٣٨٢ م :
١٥١٧ م) اختص المماليك الجراكسة بالاقتاعات والوظائف الكبيرة على
حساب المماليك الترك . وأدت هذه السياسة الى نشوب كثير من الثورات
التي اتصف بها عهده حتى عزل فى احداها ولكنه نجح فى العودة الى
السلطنة مرة أخرى فى ١٣٩٠ : ١٣٩٩ م وأوصى بالمعرش لأولاده فرج
وعبد العزيز و ابراهيم على التوالى كما أنه اختار مجلس الوصاية عليهم .
انظر د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ١٦٥ .

(١٢) ابن حجر العسقلانى - انباء الفخر بالنباء المعمر - تحقيق
د/ حسن حبشى . لجنة احياء التراث الاسلامى - القاهرة ١٩٦٩ . ج ٢
ص ٦٨ .

- (١٣) محمد بن أحمد بن إياس - بدائع الزهور في وقائع الدهور - تحقيق محمد مصطفى - الهيئة المصرية العامة - القاهرة ١٩٨٤ ج ٥ ص ٢٥ .
- (١٤) د/ أحمد عبد الرازق - البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة ١٩٧٩ ص ١٠٥ .
- (١٥) ابن إياس - مصدر سابق - ج ٤ ص ١٧١ .
- (١٦) نفسه ونفس الجزء - ص ٩١ .
- (١٧) ابن حجر العسقلاني - مصدر سابق ج ١ ص ١٧٢ .
- (١٨) نفس المصدر والجزء - ص ٣٣١ .
- (١٩) علي بن دواد الجوهري الصيرفي - نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان - تحقيق د/ حسن خبشي - القاهرة ١٩٦٩م ج ١ ص ٤١٠ .
- (٢٠) د/ أحمد عبد الرازق - مرجع سابق ص ١٠٥ .
- (٢١) سقط مخلوق : والسقط هو ولادة الولد لغير تمام وقد اسقطته أمه . والمقصود هنا سقوط الجنين غير كامل وموته لأنه سقط قبل تمام مدة الحمل .
- (٢٢) ابن حجر العسقلاني مصدر سابق - ج ١ ص ١٠٤ .
- ابن الصيرفي في - مصدر سابق - ج ١ ص ٩٧ .
- (٢٣) ابن إياس - مصدر سابق ج ٥ ص ٧٤ .
- (٢٤) د/ علي إبراهيم حسن - دراسات في المماليك البحرية مرجع سابق - ص ٣٠٤ .
- د/ عبد المنعم ماجد - مرجع سابق - ج ١ ص ١٠٢ .
- (٢٥) د/ عبد المنعم ماجد - مرجع سابق ج ١ ص ٩٨ .
- (٢٦) ابن إياس - مصدر سابق ج ٤ ص ٦٦ .
- (٢٧) د/ علي إبراهيم حسن - دراسات في تاريخ المماليك مرجع سابق ص ٣٥٥ .
- (٢٨) د/ عبد الخالق حسين - النظم القضائية في عصر سلاطين المماليك - رسالة دكتوراه غير منشورة كلية دار علوم - جامعة القاهرة ١٩٨١ ص ٢٥٦ .
- أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي - صبح الأعشى في صناعة الانشاء - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - القاهرة د/ت ج ٤ ص ٤٢ .

- (٢٩) جمال جرجس يوسف - مرجع سابق ص ٨٢ .
- (٣٠) د / قاسم عبده قاسم - مرجع سابق ص ٢٦ .
- (٣١) ابن حجر العسقلاني - رفع الاصر عن قضاة مصر ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣١٦ تيمور - ص ٥١١ - كذلك انظر لنفس المؤلف انباء الغمر - مصدر سابق ج٢ ص ١٠٢ .
- (٣٢) ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر - مصدر سابق ج١ ص ١١٣
- (٣٣) د / عبد الخالق حسين - مرجع سابق . ص ٢٧٨ .
- (٣٤) د / احمد عبد الرازق - مرجع سابق . ص ١٠٤ .
- د / عبد الخالق حسين - مرجع سابق . ص ٣٢٢ .
- (٣٥) ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر . مصدر سابق ج١ ص ٢٩٠
- (٣٦) ابن حجر العسقلاني - رفع الاصر . مصدر سابق - ص ١٧٦ .
- (٣٧) د / على ابراهيم حسن - دراسات - مرجع سابق ص ٢٦٧ .
- (٣٨) ابن اياس - مرجع سابق - ص ٢٦٧ .
- (٣٩) د / على ابراهيم حسن - دراسات مرجع سابق . ص ٣١٧ .
- (٤٠) د / عبد الخالق حسين - مرجع سابق - ص ٢٩٥ .
- د / احمد عبد الرازق - مرجع سابق - ص ١٠٥ .
- (٤١) ابن اياس - مصدر سابق ج٤ ص ١١٣ .
- (٤٢) د / سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق ص ١٥٩ .
- (٤٣) محمود رزق سليم - مرجع سابق ص ١٠٣ .
- د / على ابراهيم حسن - مصر في العصور الوسطى مرجع سابق ص ٣٥٢ .
- (٤٤) جلال الدين السيوطي - مرجع سابق . ج٢ ص ١٦٨ .
- (٤٥) ابن حجر العسقلاني انباء الغمر - مصدر سابق ج١ ص ٥٢ .
- (٤٦) جمال جرجس يوسف - مرجع سابق - ص ٦٥ .
- (٤٧) د / عبد الخالق حسين - مرجع سابق ص ٢٦٥ .
- (٤٨) الأتابك : مقدم العسكر والقائد العام للجيش المملوكي . انظر د / سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق ص ٣٨٧ .
- (٤٩) ابن اياس - مصدر سابق . ج٤ ص ٣٨ .
- (٥٠) نفس المصدر - نفس الجزء ص ٢١١ .

- (٥١) د/ قاسم عبده قاسم - مرجع سابق . ص ٢٤ .
- (٥٢) جلال الدين السيوطي - مصدر سابق . ج ٢ ص ١٦٨ .
- ابن حجر العسقلاني - رفع الأهرن مصدر سابق . ج ١ ص ٢٩٠ .
- (٥٣) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق ص ٣٧٨ .
- (٥٤) د/ عبد الخالق حسين - مرجع سابق : ص ٥٢٩ .
- د/ محمد جمال الدين سرور - مرجع سابق . ص ١٣٩ .
- د/ علي إبراهيم و د/ حسن إبراهيم - مرجع سابق ص ٣١٩ .
- (٥٥) ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر مصدر سابق . ج ١ ص ١٢١ .
- (٥٦) نفس المصدر ونفس الجزء . ج ١ ص ١١ .
- (٥٧) من القواعد التي توجد في قانون الياسه أن من زنى قتل ومن أعان أحد خصمين على الآخر قتل ومن بال في الماء قتل ، وبها حدود ربما وافق القليل منها الشريعة الإسلامية وأكثرها مخالف . انظر . القلقشندي مصدر سابق ج ٤ ص ٣١١ .
- (٥٨) تقى الدين المقرئى - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - مكتبة الثقافة الدينية القاهرة - ١٩٨٧ ط ٢ ج ٢ ص ٢٣٠ .
- القلقشندي - مصدر سابق . ج ٤ ص ٣١٠ .
- (٥٩) د/ عبد المنعم ماجد . مرجع سابق . ج ١ ص ٩٢ .
- (٦٠) د/ عبد الخالق حسين . مرجع سابق . ص ٤٠١ .
- (٦١) د/ حكيم أمين عبد السيد - قيام دولة المماليك الثانية - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٩٦٧ ص ١١٩ - محمود رزق سليم . مرجع سابق . ص ٥٤ .
- (٦٢) عبد الخالق حسين . مرجع سابق . ص ٤٠٢ .
- د/ حكيم أمين - مرجع سابق . ص ١١٩ .
- (٦٣) جلال الدين السيوطي - مصدر سابق . ج ٢ ص ١٣٣ .
- د/ علي إبراهيم حسن - دراسات في عصر المماليك . مرجع سابق ص ٣٥٥ .
- (٦٤) د/ عبد المنعم ماجد - مرجع سابق . ج ١ ص ١١١ .
- (٦٥) المقرئى - مصدر سابق . ج ١ ص ٢٢١ وما بعدها .
- (٦٦) د/ أحمد عبد الرازق مرجع سابق ص ٥٥ .

(٦٧) ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر مصدر سابق . ج١ ص ١٩٤ .

(٦٨) د/ عبد الخالق حسين - مرجع سابق . ج٢ ص ١٤٢ .
- ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر مصدر سابق ج٢ ص ١٤٢ -
وعن جهل الحاجب بالأمور الشرعية انظر ابن اياس - مصدر سابق . ج٢ ص ٣٤٠ .

(٦٩) جمال جرجس يوسف - مرجع سابق . ص ٥٠ .

(٧٠) الأستاذ دار : وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والغلمان وهو الذي يمشى بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب داره وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاج اليه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي - انظر القلقشندي . مصدر سابق . ج٢ ص ٢٠ .

(٧١) ناظر الخاص : هو من كبار الموظفين الذين شاركوا الوزير في تصريف أعماله ومهمة ناظر الخاص أن ينظر في خاص اموال السلطان .
انظر د/ سعيد عاشور . مرجع سابق ص ٤٨٠ .

(٧٢) المشير : الوظيفة من الوظائف الكبرى في الدولة المملوكية جعلها القلقشندي في الترتيب بعد نيابة السلطنة والوزراء ومع ذلك لا نجد تحديدا لاختصاص صاحب هذه الوظيفة في المراجع المعاصرة وان كان من الثابت أنه تولاهما عادة بعض كبار رجال الممالك وان صاحبها كان يحضر مجلس المشورة . انظر د/ سعيد عاشور مرجع سابق ص ٤١٢ .

(٧٣) الدوا دار : أي ممسك الدواة والوظيفة اسمها الدوا دارية وصاحبها يحمل دواة السلطان أو الأمير ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه ويقدم القصص والشكاوى اليه . انظر د/ سعيد عاشور - مرجع سابق . ص ٤٣٨ .

(٧٤) ابن اياس - مصدر سابق . ج٢ ص ٧٦ .

(٧٥) ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر مصدر سابق . ج٢ ص ١٤٢ .

(٧٦) ابن اياس - مصدر سابق . ج٢ ص ٢٠٩ .

(٧٧) ابن اياس - مصدر سابق ج٢ ص ٤٤ وقال فيه ابن اياس :
أقول له اذا طيشته رياسته
رويدك لا تعجل فقد غلط الدهر
تفرق يراجع فيك دهره رأيه
فما سرت الا والزمان به سكر

(٧٨) يذكر المؤرخون أن أول من أفرد يوماً خاصاً لقضاء المظالم هو الخليفة عبد الملك بن مروان وكان إذا وقف منها على أمر يحتاج إلى مراجعة راجع فيه قاضيه أبا إدريس الأودي .

(٧٩) المارودي - الأحكام السلطانية والولايات الدينية دار الفكر . القاهرة ١٩٨٣ . ص ١٥١ .

(٨٠) المقرئ - مصدر سابق ج٢ ص ٢٠٧ .

(٨١) د . حسن إبراهيم ود . على إبراهيم - مرجع سابق . ص ٢٩٤

(٨٢) السلاحدار : حامل السلاح بين يدي السلطان .

(٨٣) الجمدارية : وهو الذي يتصدر للباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصله جاما دار فحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استثقلا وقيل جمدار وهو في الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما ومعناها الثوب والثاني دار ومعناها ممسك كما تقدم فيكون المعنى ممسك الثوب . انظر القلقشندي . ج٥ ص ٤٥٩ .

(٨٤) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ٣٨٠ .

(٨٥) د . عبد المنعم ماجد . مرجع سابق . ج١ ص ١١٣ .

(٨٦) ابن الصيرفي . مصدر سابق . ج١ ص ٤١٠ .

(٨٧) د . مخفود رزق سليم - مرجع سابق . ص ٥١ .

(٨٨) ابن أياس - مصدر سابق - ج٤ - ص ٣٢٩ .

(٨٩) نفس المصدر ونفس الجزء . ص ٣٦٨ .

(٩٠) القرآن الكريم . آل عمران آية ١٠٤ .

(٩١) د . حسن إبراهيم ود . على إبراهيم حسن - مرجع سابق . ص ٣١٣ .

- د . سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ٣٨١ .

(٩٢) د . عبد المنعم ماجد - مرجع سابق ج١ ص ١٢٨ .

(٩٣) د . على إبراهيم حسن - دراسات في تاريخ الماليك مرجع سابق . ص ٣٥٢ .

(٩٤) د . عبد المنعم ماجد - مرجع سابق - ج١ ص ١٢٩ .

(٩٥) نفس المرجع ونفس الجزء . ص ١٢٧ .

(٩٦) هو السلطان فرج بن برقوق الذى جعل شرب الخمر من شعائر
الملكة وذلك منذ عام ٧٩٦هـ - ١٣٨٩ م .

(٩٧) الهيئة الاسلامية الحاكمة كانت هذه الهيئة تضم بين صفوفها
جميع رعايا الدولة المسلمين الأحرار بما انضم اليهم من مسيحيين اعتنقوا
الاسلام طوعا فاضبحوا بدورهم مسلمين أحرارا . وأفراد الهيئة الاسلامية
متساوون جميعا . وهيات لهم الدولة مبدأ تكافؤ الفرص بمعنى ان الذين
حصلوا منهم على قسط وافر من التعليم فى علوم الشريعة وأصول الدين
وما يتصل بها من دراسات كانوا يشغلون المناصب فى سلك القضاء
والافتاء والتدريس وما الى ذلك ، أما افراد الهيئة الاسلامية الذين لم
يصلوا فى تعليمهم لنهاية الشوط فكانوا يشغلون المناصب الصغرى فى
القطاع الدينى وفى وظائفه الادارية - انظر د/ عبد العزيز الشناوى -
الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها - الأنجلو المصرية - القاهرة
١٩٨٠ . ج١ ص ٣٩٦ .

(٩٨) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٣٩٨ .

(٩٩) هاملتون جب . ومارولديريون - المجتمع الاسلامى والغرب
ترجمة د/ احمد عبد الرحيم مصطفى - دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
ج١ ص ١٧٠ .

(١٠٠) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٤٠١ .

(١٠١) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية - ترجمة نبيه أمين
فارس منير البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت د/ت ص ١٠١ .

(١٠٢) Ismail Hakki, uzuncarsili Osmanli Dvltinin
Ilmiye Teskilate, Ankara, 1984, C, P. 459. (١٠٢)

(١٠٣) د/ عمر عبد العزيز - تاريخ المشرف العربى ١٥١٦/١٩٢٢م .
دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٥ . ص ٥٩ .
- جب وبووين - مرجع سابق . ج١ ص ١٧١ .

(١٠٤) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٣٩٩ .

(١٠٥) عين على أفندى - قوانين آل عثمان - ترجمة وتعليق خليل
ساحلى اوغلو - مجلة دراسات - عمان - المجلد ١٤ - شعبان ١٤٠٧ هـ
ص ١١٣ .

(١٠٦) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٤٠٨ .

(١٠٧) على همت اقسكى - العاهل العثماني ابو الفتح السلطان محمد الثاني وحياته العدلية - ترجمة محمد احسان عبد العزيز - مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٣ ص ١١٠ .

(١٠٨) Ismail Hakki, Uzuncarsili, P. 14.

(١٠٩) السلطان مراد الاول هو ابن السلطان اورخان تولى الحكم في عام ٧٦١ هـ ١٣٦٠م وكانت فاتحة أعماله اجتلال مدينة انقرة قتل اثناء قتاله مع الصرب في موقعة قوصوه عام ١٣٨٩م وبذلك فقد كانت مدة حكمه ثلاثين سنة نجح خلالها في مد رقعة الدولة العثمانية في أجزاء كثيرة من أوروبا . انظر محمد فريد - تاريخ الدولة العثمانية - دار الجيل - بيروت ١٩٧٧ ص ٤٨ .

(١١٠) على همت اقسكى - مرجع سابق ص ١٠٥ .

(١١١) أحمد جودت - تاريخ جودت - ترجمة المجلد الأول عبد القادر الدنا - جريدة بيروت - لبنان - ١٣٠٨ هـ . ص ١٢٢ .

(١١٢) الطوغ « ذيل الحصان » استعمل للدلالة على المرتبة والنفوذ - وهو تقليد قبلي استمدته الأتراك من بيئتهم الأصلية وكان الوزراء وحكام الولايات يحمل كل منهم « طوغ » والبكوات وشيخ الاسلام كان له اثنان وقضاة العسكر يحملون طوغ انظر :

S.J. Shaw. Ottoman Egypt In Eighteenth Century Harvard, 1962 P. 38.

(١١٣) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ص ١٢٢ .

(١١٤) جب / بويون - مرجع سابق ج١ ص ١٦٨ . د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ص ٤١ ، ٤٢ .

- على همت اقسكى - مرجع سابق ص ١٠٦ .

(١١٥) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٤٢٥ .

(١١٦) جب / بويون - مرجع سابق ج١ ص ١٧٥ .

(١١٧) كان قاضى عسكر الروميلي اعلى راتبا من قاضى عسكر الأناضول فقد كان يحصل على ٥٧٢ أقة يوميا بينما قاضى الأناضول يحصل على ٥٦٣ أقة - انظر عين على افندى - مرجع سابق ص ١١٣ .

(١١٨) على همت اقسكى - مرجع سابق ص ١٠٦ .

- (١١٩) جب / بويين - مرجع سابق . ص ١٧٤ .
 (١٢٠) على همت اقسكى - مرجع سابق . ص ٩٣ .
 S.J. Show. Op. Cit. P. 33.

- (١٢١) جب / بويين مرجع سابق ص ١٧٩ .
 (١٢٢) د / عبد العزيز الشناوى مرجع سابق ص ١٧٩ .
 - عين على افندى مرجع سابق ص ١١٣ .

(١٢٣) السلطان محمد جلبى الأول - بعد هزيمة السلطان بايزيد الأول في موقعة انقرة امام تيمور لك عام ١٤٠٢ م وبعد وفاته في الأسر حدثت المنازعات بين أبنائه الثلاثة على العرش الى أن استطاع السلطان محمد جلبى الأول القضاء عليهما وتولى أمور البلاد . وكانت مدة حكم السلطان محمد كلها حروبا داخلية لارجاع الامارات التي استقلت في مدة الفوضى التي اعقبت موت السلطان بايزيد وتوفى السلطان محمد جلبى في عام ١٦٢١ م - انظر محمد فريد - مرجع سابق ص ٥٣ .

- (١٢٤) على همت اقسكى - مرجع سابق . ص ١٣٤ .
 (١٢٥) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ص ٤٢٩ .
 (١٢٦) نفس المرجع والجزء . ص ٤٣٢ .

(١٢٧) طبقة القبوقولارى - وهى تعنى عبيد السلطان وكانوا في نشاطهم الأولى مسيحيين أنتزع عنهم الدولة من ضمن أسرى الحرب وحولوا الى الاسلام لا يعرفون لهم أبا الا السلطان ولا حرفة الا الجهاد في سبيل الله وكانوا هم أدوات الحرب والحكم في الدولة بدأ ذلك منذ عهد السلطان اورخان . انظر محمد فريد - مرجع سابق . ص ٤٢ .

(١٢٨) عثمان الأول : هو المؤسس الحقيقى للدولة العثمانية ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه أرطغرل في ١٢٨٨م منحه الملك علاء الدين لقب بسك وأجاز له ضرب العملة وان يذكر اسمه في الخطبة وبعد وفاة علاء الدين ب (باديشاه آل عثمان) وجعل مقر ملكه مدينة « يكي شهر » انظر محمد فريد مرجع سابق - ص ٤٠ .

- (١٢٩) د / محمد نور فرحات - التاريخ الاجتماعى للقانون في مصر الحديثة - القاهرة ١٩٨٦ . ص ٢١ .
 (١٣٠) د / عمر عبد العزيز - مرجع سابق . ص ٥٧ انظر ايضا .

- (١٣١) د / عبد العزيز المشناوى مرجع سابق ج١ ص ٤٠٢ .
- (١٣٢) قانون نامه مصر : وضع هذا القانون فى عهد السلطان سليمان القانونى ١٥٢٥م لتنظيم أمور ولاية مصر وهو ينظم الادارة العثمانية فى مصر واختصاصات الموظفين بدءا من الباشا والديوان وكيفية انعقاده . وتوجد نسخة محفوظة من هذا القانون بالتركية - دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤ طلعت - وقام د / أحمد فؤاد حتولى بترجمته ونشره بالعربية - انظر قانون نامه مصر - ترجمة د / أحمد فؤاد حتولى - الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨٢ .
- (١٣٣) د / عمر عبد العزيز - مرجع سابق ص ٥٨ د / محمد نور فرحات - مرجع سابق . ص ٩٦ .
- (١٣٤) جب / يورين - مرجع سابق . ج١ ص ٣٦ .
- (١٣٥) د / عبد العزيز المشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٣٩٤ .
- (١٣٦) جب / يورين - مرجع سابق - ج ص ١٦٠ .
- (١٣٧) كارل بروكلمان - مرجع سابق . ص ٤٧٧ .
- (١٣٨) على همت اقسكى - مرجع سابق . ص ٤٩ .
- (١٣٩) د / محمد نور فرحات - مرجع سابق . ص ٢٢ .
- (١٤٠) كارل بروكلمان - مرجع سابق - ص ٤٧٦ .
- (١٤١) على همت اقسكى - مرجع سابق . ص ٥٤ .
- (١٤٢) د / محمد نور فرحات - مرجع سابق . ص ٤٦ .
- (١٤٣) على همت اقسكى - مرجع سابق . ص ٥١ . جب / يورين - مرجع سابق . ج١ ص ١٦٦ . كارل بروكلمان - مرجع سابق . ص ٤٧٧ .
- (١٤٤) د / عبد العزيز المشناوى - مرجع سابق . ج ص ٣٩١ . جب / يورين - مرجع سابق . ج١ ص ١٦٠ .
- د / محمد نور فرحات - مرجع سابق . ص ٢٢ .
- (١٤٥) د / عبد العزيز المشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٣٥٩ .
- (١٤٦) د / عبد الكريم رافق - بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت - دمشق د / ت . ج١ ص ٦٣ .
- (١٤٧) كارل بروكلمان - مرجع سابق . ص ٤٧٤ .
- د / عبد العزيز المشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٣٦٢ .

- (١٤٨) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٣٩٣ .
 - د / محمد نور فرحات - مرجع سابق . ص ٢٣ .
- (١٤٩) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٣٩١ .
 - د / محمد نور فرحات - مرجع سابق . ص ٤٨ .
- (١٥٠) جب / بووين - مرجع سابق . ج١ ص ١٧٣ .
- (١٥١) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٤٢٥ .
- (١٥٢) يقصد بالقضاء الجالس أى القضاء المستقر فى المحاكم بعكس القضاء اثناء السير مثل قضاء المحتسب اثناء جولاته أو قضاء الصـرـر الأعتظم فى جولاته .
- (١٥٣) د / محمد نور فرحات - مرجع سابق . ص ٢٣ - جب / بووين - مرجع سابق . ج١ ص ١٦٠ .
- (١٥٤) جاوش باشى - تولى قيادة فرقة الجاوشية وكانت تقسم هذه الفرقة الى خمس عشرة فصيلة يقود كل منها ضابط وكان قوام كل فصيلة ٤٢ رجلاً وكانوا يشتركون فى مواكب السلطان العامة بصفتهم جزءاً من الحرس السلطانى ويصحبونه حين يخرج الى ساحات الحرب - انظر د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٢٨٢ .
- (١٥٥) جب / بووين - مرجع سابق - ج١ ص ١٦٩ .
- (١٥٦) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق - ص ٥٢ .
- (١٥٧) على همت اقسكى - مرجع سابق . ص ٥٢ جب / بووين - مرجع سابق - ج١ ص ١٧٠ .
- (١٥٨) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق - ج١ ص ٣٨٢ .
- (١٥٩) جب / بووين - مرجع سابق . ج١ ص ١٧١ .
- (١٦٠) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٣٨٤ .
- (١٦١) جب / بووين - مرجع سابق . ج١ ص ١٨٤ .
- (١٦٢) د / محمد نور فرحات - مرجع سابق . ص ٤٤ .
- جب / بووين - مرجع سابق . ج١ ص ١٨٢ .
- د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٣٨٥ .



الفصل الثانى

الاختصاصات القضائية للقضاة

- ١ - قاضى العسكر
- ٢ - قضاة الأقاليم
- ٣ - القسم
 - (أ) القسم العسكرى
 - (ب) القسم العربى
- ٤ - قضاة الأخطاط فى القاهرة
- ٥ - الباشا واختصاصاته القضائية
- ٦ - انحسار الولاية القضائية للقضاة
 - (أ) الأشراف
 - (ب) الانكشارية
 - (ج) أهل الذمة
 - (د) الأجانب

الاختصاصات القضائية للقضاة

تمهيد :

عندما فتح العثمانيون مصر وجدوا الاضطرابات تسيطر على كافة الأمور في البلاد سواء أكانت في النواحي السياسية أم الاقتصادية أم القضائية . غير أن الناحية القضائية كانت أكثر هذه الأوضاع ترديا وسوءا ، فقد حدثت اعتداءات كثيرة على القضاة في نهاية العصر المملوكي وضاعت سلطات قضاة الشرع نتيجة لتدخل قضاة السياسة في اختصاصات قضاة الشرع حتى لم يعد هناك فاصل بين الاثنين . لذا عمل العثمانيون على ادخال بعض الإصلاحات على هذا النظام المتهاك بغية اصلاحه .

ومن طبيعة الحكم العثماني الابقاء على الوضع القائم في البلاد للاستفادة من خبرة من سبقوهم في تسيير الأمور ، ثم بعد ذلك يقومون بوضع النظام بشكل تدريجي ومنظم .

ولم يبلغ السلطان سليم الأول قضاة المذاهب الأربعة فقد أبقاهم في مناصبهم (١) وإن كان قد أخذ يعمل على تقليل سلطاتهم بأن أدخل من جانبه قاضيا سماه قاضي العرب كان بمثابة الرقيب على قضاة مصر ونواحيها ، ولا يستطيع أحدهم القيام بأمر من الأمور إلا بعد العرض عليه (٢) .

وأستمرت هذه الإصلاحات فى طريقها المرسوم حتى ربيع الأول ٩٢٤هـ ١٥١٨م وجد «محضر» كان يجلس على نكة بباب المدرسة الصالحية وحوله جماعة من الانكشارية فكان لايقضى أمر من الأحكام الشرعية حتى يعرض عليه وكان يزعم أنه مستوف على القضاة فى الأمور الشرعية (٣) .

وبعد ذلك تتابعت الخطوات الإصلاحية فى مصر وأدخلت نظم جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل القسم العسكرى ، غير أن أهم خطوة فى هذا المجال كانت إلغاء القضاة من المذاهب الأربعة والعمل بالمذهب الحنفى وجمع السلطة القضائية فى شخص واحد هو قاضى العسكر الذى يعين من قبل السلطان العثمانى مباشرة .

قاضى عسكر واختصاصاته القضائية

تعين قاضى العسكر :

كان قاضى العسكر هو رئيس الهيئة القضائية فى القاهرة فى العهد العثمانى فهو صاحب الولاية القضائية على قضاة محاكم القاهرة ، وإن لم يكن له سلطة على قضاة الأقاليم .

ويأتى قاضى عسكر مصر فى البروتوكول العثمانى من حيث الترتيب بعد قضاة استانبول ومكة المكرمة والمدينة وادرنه وبروصة (٤) . بذلك يتضح أنه كان فى مقدمة قضاة الدولة العثمانية .

وكان قاضى العسكر يعين بموجب براءة سلطانية بناء على ترشيح قاضى عسكر الأناضول وهو بالتالى مسئول أمامه ، ويسجل

قرار تعيين قاضى العسكر فى سجلات المحاكم على النحو التالى
« يوم اربعاء (١٦ شهر شوال سنة ١٠٠٤ هـ مايو ١٥٩٦ م) وفيه
ورد الأمر الشريف الخاقانى ٠٠٠٠ بتولية شيخ الاسلام ٠٠٠٠
حضرة سيدنا ومولانا أحمد أفندى الانصارى قاضى العسكر
المنصورة بروم ايلى سابقا ادام الله تعالى معدلته نظارة الأمور
الشرعية بالمديار المصرية جعل الله قدومه مباركا وحفظه فى حركته
وسكناته » ٠٠٠ (٥)

وبعد صدور البراءة السلطانية بتعيين قاضى العسكر (٦)
كان يرسل الى قائم مقام يحل محله حتى وصوله ، وأعيانا كان يختاره
من بين العلماء المصريين مثل القاضى « عثمان بن محمد باشا »
الشهير بقادن زادة فى ولايته الثانية عندما أرسل للشيخ « البدر
القرافى » يقول له فالمرجو من مكارمكم انجاز الوعد الموعود والقيام
بنفسكم فى استماع كلام الخصام والشهود (٧) .

وفى حالة وفاة قاضى العسكر وهو فى الخدمة أو عند انتهاء
مدته كان الباشا يصدر فرمانا بتعيين قائم مقام عنه حتى يصل
القاضى الجديد من استانبول فعندما توفى شيخ الاسلام
« السيد محمد أمين » جلس عرضا عنه « محمد أفندى قيرمى »
بموجب فرمان من « أبو بكر باشا حاكم مصر » (٨) وفى هذه الحالة
كان القائم مقام يطلع الى الديوان ويلبسه الباشا كركاسجا على كرخ
احمر وينزل ويتولى أعمال القايمقامية حتى قدوم قاضى العسكر الى
مصر (٩) .

وعندما كان يقدم قاضى العسكر يأتى معه أهله وأولاده وغالبا
ما يتولون أعمالا قضائية بجانبه مثل قاضى العسكر فى عام
(١١٣٨ هـ - ١٧٢٥ م) الذى كان له من الأولاد ثلاثة أحدهم قسام
عسكرى والثانى قسام عربى والثالث نايب الباب العالى (١٠) .

وفى حالات السفر أو الغياب يختار قاضى العسكر من يحل محله حتى يعود مثل « أحمد أفندى الناظر فى الأحكام الشرعية بالخانقاة السرياقوسية أصالة وبالديار المصرية خلافة (١١) وكذلك « محمود جلبى الناظر فى الأحكام الشرعية بمدينة بلبيس أصالة والديار المصرية خلافة » (١٢) .

ويختار قاضى العسكر له نائبا وهو دائما يأتى معه من استانبول ويكون تعيين النائب دائما مصاحبا لتعيين قاضى العسكر نفسه ويتمتع بمكانة كبيرة فقد كان يقوم بأعمال قاضى العسكر فى حالة عدم تواجده .

وأحيانا ما يتولى بعض النواب منصب قاضى العسكر مثل « موسى أفندى » الذى كان نائبا بالباب فى زمن « قاسم أفندى الكردى » (عام ١٠٣٤ هـ ١٦٢٤ م) وتولى قاضى عسكر مصر فى (١٠٥٣ هـ ١٦٤٣ م) (١٣) .

واضافة الى النائب فقد كان فى المحكمة أربعة من النواب على المذاهب الاسلامية الأربعة حتى يلجأ اليهم أتباع مذاهبهم وان كان فى بعض الأحيان وجد بعض قضاة العسكر الذين منعوا العمل بالمذاهب الأربعة الا من محكمة الباب العالى (١٤) .

مدة تولية قضاة العسكر :

يلحظ أنه فى بداية الفتح العثمانى له يكن هناك مدة محددة لتولية قضاة العسكر فقد تولى « مصطفى أفندى الرومى » من عام ٩٢٩ هـ - ١٥٢٢ م حتى ٩٣٦ هـ - ١٥٢٩ م ومنذ نهاية القرن السادس عشر كانت المدة التى يقضيها قضاة العسكر تتراوح بين عام وثلاثة أعوام . وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادى

كانت المدة غالبا عاما واحدا مثل « كمال أفندى » بل وصلت تولية بعض القضاة الى ثلاثة أشهر مثل «مصطفى أفندى محمد البكرى» .

وكثيرا ما كان يتولى قاضى العسكر مرتين أو ثلاثا فى فترات مختلفة . وعلى ذلك فلم تكن هناك مدة محددة لتعيين قضاة العسكر فقد تدرجت هذه المدة الطويلة حتى قصرت فيما بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر الذى وصلت فيه مدة القاضى أدناها مما ترتب على ذلك العديد من المساوىء(١٥) .

مقر قاضى العسكر :

ويبدو من خلال كتابات ابن اياس المعاصر لبدایات الفتح العثمانى لمصر أن أول قاضى عسكر عثمانى وهو « جابى أفندى » قد جلس فى محكمة الصالحية النجمية وهى التى يصفها بقلعة العلماء والتى كان لها الصدارة والأهمية خلال العصر المملوكى(١٦) ولكن يبدو أن فترة اتخاذ قاضى العسكر للصالحية كمقر له لم تكن فترة طويلة فقد انتقل الى مقعد(١٧) مامای أزيك السيفى .

وتوجد كتابة تاريخية على ازار خشبى أسفل السقف تدل على أن الأمير مامای السيفى كان يشغل وظيفة عسكرية كان أمير مائة مقدم ألف وهى تعنى أن صاحب هذه الوظيفة من حقه أن يكون مالكا لمائة من الممالك ويتقدم ألفا من العسكر فى حالة الحرب ، ويطل المقعد على فناء من المرجح أنه كان يمثل حوش القصر نفسه وتتكون واجهة المقعد من خمسة عقود مدببة على شكل حدوة(١٨) .

وأحيانا كان قاضى العسكر يجلس بالديوان العالى للنظر فى القضايا التى تعرض عليه .

الاختصاص القضائي النوعى لقاضى العسكر :

يقصد بالاختصاص النوعى تحديد أنواع معينة من القضايا دون غيرها .

وكان لقاضى العسكر اختصاصات نوعية وكذلك اختصاصات قيمى . وكانت المراسيم تصدر من قاضى العسكر الى قضاة أخطاط القاهرة تحدد الاختصاص النوعى لهم . ولكن يلاحظ أن هذه المراسيم كانت قليلة فى القرن الـ ١٦م وأول مرسوم يقابلنا فى ٨ ذى القعدة ٩٨٨هـ (ديسمبر ١٥٨٠م) (١٩) .

وان كان فى القرنين السابع عشر والثامن عشر قد زادت هذه المراسيم والتحذير من الاعتداء على هذه الاختصاصات ، ويفهم من ذلك وجود اعتداءات على اختصاصات قاضى العسكر من قبل قضاة محاكم القاهرة .

وهذه الاختصاصات هى :

ابطال العقود : فأمام قاضى العسكر أبطال عقد التواجر المتصادق عنيه للشيخ « يحيى بن الشيخ محيى الدين » من جهة وقف السعدى على مدرسته الكائنة بحدرة البقر وما هو موقوف عليها من قبل السلطان « الظاهر جقمق » ان عقد التواجر المتصادق عليه بالحجة المؤرخة فى ٢٦ ذى القعدة فى عام ١٠٠٣ هـ . لم يسند الا بموجب العقد المعين وبمقتضى مضى معظم استيفا المنفعة فى المدة المؤجرة ولكون الأرض اشتغلت بزراعة الغير ولكون الأجرة المعينة بالحنة دون أجرة المثل ابطالا شرعيا وذلك لما وضح لديه (٢٠) .

الكتابة على الأرض الرزقة (٢١) :

اختص قاضى العسكر بالنظر فى الأمور الخاصة بالأراضى الرزقة . فقد أبقي قاضى العسكر على « على بن حسن الحمامى » من اهالى مذية عفيف بالمنوفية على تواجده فى جميع الرزقة الطين السوداء الكاينة بالناحية المذكورة ومساحتها عشرون فدانا والمؤجرة عليه لواجب (سنة ١٠٠٣ هـ - ١٥٩٤ م) بستة وعشرين دينارا (٢٢) .

كتابة التواجد الطويلة :

فقد استأجر « أحمد أوده باشا » طائفة مستحفظات بمصر المدروسة الشهير بالعنتلى بن درويش محمد بن المرحوم الدرويش يوسف شديخ تكية قصر العينى وناظرها حالا جميع الحاصلين المتلاصقين لبعضهما بعضا لينتفع المستأجر بالحاصلين المذكورين سكنا واسكانا وأجرة واجارة . وكيف شاء الانتفاع الشرعى لمدة ثلاثين عقدا عدة كل عقد فى ذلك ثلاث سنوات مشتملة على تسعين سنة (٢٣) .

الاسقاطات فى القرى (٢٤) :

ولم يكن يسمح بالاسقاطات فى القرى وتوثيقها الا أمام قاضى العسكر « فلديه أشهد على نفسه فخر الأكابر الأمير عمر أغا كتحدا الجاويشية بمصر الاشهاد الشرعى أنه فرغ ونزل وأسقط حقه لفخر الأمثال الأمير « حسين أفندى بن المحترم الأمير عمر أفندى كاتب خليفة المتفرقة فى التصرف والتحدث والالتزام بجميع الحصص التى قدرها الربع سبعة قراريط شايعا ذلك فى كامل أراضى ناحية كفر بوريج (٢٥) تابع ولاية الغربية المعلوم ذلك عندهما شرعا والجارى

الحصنة المذكورة فى الناحية المرموقة فى تصرف وتحدث والتزام
الأمير « عمر أغا المسقط المرقوم عن حلوان قدره خمس أكياس
مصرية كل كيس منها ٢٥ ألف نصف (٢٦) .

الاستبدال فى الأوقاف :

وحفاظا على الأوقاف ومنع التلاعب فيها كانت أمور الاستبدال
(أى بيع جزء من الأوقاف مقابل ثمن نقدى أو استبدالها بأوقاف
أخرى) لا تتم الا بين بدى قاضى العسكر وبإذنه فعندما طلب
الأمير مامى بك أن المتضمن بيده وتصرفه وملكه النصف من كامل
المكان الخرب المقهيم المسلوب المنفعة الكاين خارج بابى زويلة
والخرق بخط حدره الكما حين وقف المرحومان الأخوان عبد الفتاح
وكمال الدين المناذلى على أولادهما وذريتهما وقد سألوا فى استبدال
ذلك لفقرهم وعجزهم عن عمارة ذلك وليس فى الوقف ما يعمر به .
وثبت ذلك أيضا لدى شيخ الاسلام ، لذا سمح لهم بالاستبدال (٢٧) .

الحكم على الغائب :

ولا يسمح بنظر الأمور بالفسخ على الغائب (أى فسخ زواجه)
الا أمام قاضى العسكر وذلك لمنع التلاعب فى هذه الأمور البالغة
الحساسية . « فعندما ادعت الحرمة ستيتة بنت حجازى أن زوجها
عيسى بن محمد البلاصى سافر وغاب عنها الغيبة الشرعية المسوغة
لسماع الدعوى والحكم على الغائب وتركها بلا نفق ولا نفقة مدة
تزيد على عشرة أشهر وهو مستمر الغيبة وهى متضجرة من ذلك
وحلفت بالله العظيم على جميع الصفات المشروحة أعلاه . وسألت
أن يمكنها من فسخ عقد نكاحها وخيرها مرارا فأبت الا الفسخ ثم
سألها ثانيا فقالت بصريح لفظها فسخت نكاحى من عصمة عيسى
المذكور لوجود المسوغ المشروح أعلاه الحكم الشرعى (٢٨) .

كما اختص قاضي العسكر بالنظر في قضايا ذات اختصاص
نوعى اضافة الى ما سبق :

هى :

- ١ - فسخ الانكحة (الطلاق) .
- ٢ - مبايعة الأنقاض .
- ٣ - الكتابة على المواقف بما له من الشرط .
- ٤ - الكتابة على أوقاف الدشمايش (٢٩) (٣٠) .

وكان القضاة يراعون القواعد الفقهية فى أحكامهم . فكان
سلوكهم خاضعا لنوعين من الرقابة أحدهما خارجى والآخر
داخلى ، وكان الخارجى لا توفره الاجراءات الرسمية الخاصة
بالرقابة سواء كانت على أيدي السلطات المدنية أو الموظفين فى
الإدارة القضائية بقدر ما توفره المنافسة الفورية من جانب منافسيهم
المحتملين من العلماء (٣١) .

أما عن الرشوة فى الأحكام (المقدمة لقضاء العسكر) فلم
تدلنا المصادر الا على مثال واحد من هؤلاء القضاة (٣٢) لذا لا يصح
أن نعمم عليه، أن المغالبية كانوا مرتشين فقد كانت السمة الغالبة على
هؤلاء القضاة التقوى والورع وغلبة الدين عليهم والعمل بالقواعد
الفقهية التى أرساها الفقهاء من قبل والتحرى فى القضايا التى
تعرض عليهم بغية اظهار الحق فيها .

دور قضاء العسكر فى القضايا الجنائية :

يلاحظ أن القضاة فى القضايا المدنية كقضايا الدين مثلا كانوا
يستخدمون القاعدة الشرعية « أن المعسر يسجن » وأمدتنا الوثائق

بالكثير من هذه الحالات وان كانت لم توضح مدة السجن ولا كيفية قضائها . أما القضايا الخاصة بالجنايات فنحن أمام رأيين أولهما : ان القاضى كان يملك سلطة التعزيز كما تمدنا الوثائق لكنها لا توضح كيفية تنفيذ التعزيز ولا من ينفذها . والرأى الآخر : ان تنفيذ الحدود والأمور الجنائية كانت فى أيدي الباشا (٣٣) بحكم اختصاصه القضائى . وبذلك يقتصر دور القاضى فى هذا المجال على التحقيق فقط ، وهو ما نميل اليه .

الاختصاص القيمى لقاضى العسكر :

أختص قاضى العسكر كذلك باختصاص قيمى وهو الذى ترجع قيمة الدعوى موضوع النزاع فيه وتحديد بها بقيمة مالية معينة . فقد حدد قانون نامه سليمان فى المادة « ٣٥ » ذلك بقوله « والقاضى فى مصر مخول سماع قضايا بيت المال التى تقل عن ١٠٠٠ ر ١٠٠٠ أجرة والفصل فيها (٣٤) » .

كما حددت الأوامر الصادرة من قاضى العسكر الى قضاة محاكم القاهرة الاختصاص القيمى لقاضى العسكر فى مختلف القضايا ، ففى قضايا التواجر (الايجار) مازاد على ثلاثة آلاف نصف خاص بقاضى العسكر وأقل من ذلك خاص بالقضاة فى المحاكم الأخرى (٣٥) أما ايجارات الأوقاف فهى كذلك محددة بثلاثة آلاف نصف (٣٦) غير أن هذا التحديد لم يكن ثابتا فقد خضعت القيمة المالية للتغير فقد صدر أمر آخر بتحديد القيمة الايجارية التى توثق أمام قاضى العسكر بستة آلاف نصف (٣٧) .

وربما يكون مرد هذا التغير هو الانخفاض فى قيمة العملة وتغيرها تبعا للاحوال الاقتصادية فى البلاد .

أما في المبيعات فقد حددت بأنه ما زاد على خمسمائة ريال لا يوثق الا أمام قاضي العسكر (٣٨) كذلك فقد خضعت هذه القيمة للتغير بعد ذلك فحددت بـ ٨٠٠ ريال حجر بطاقة بدلا من ٥٠٠ ريال (٣٩) أما الاسقاطات في القرى فقد حددت بما زاد على خمسة أكياس (٤٠) والاستبدال بما زاد على مايتبين (٤١) .

ويتضح من ذلك اختصاص قاضي العسكر بالنظر في العقود ذات النصاب المالى الكبير حماية للمتعاقدين ومنعا للتدليس والغش في هذه المعاملات وكذا حماية الأوقاف وأموالها . كما نلاحظ أن قاضي العسكر هو الذى كان يحنس نفسه بهذه الاختصاصات وذلك بحكم ما له من ولاية قضائية على قضاة أحياء القاهرة . وكانت هذه القيمة متغيرة من وقت لآخر تبعا لتغير القيمة النقدية .

الطعن في الأحكام القضائية :

بعد أن أبرزنا أهم الاختصاصات المنوطة بقاضي العسكر يمكننا التساؤل عن أحكام القضاة وهل كانت تنقض أو يمكن استئناف الأحكام أو الطعن فيها أمام قاض آخر ؟ .

اتفق الفقهاء عامة على أن قضاء القاضى لا ينقض حتى اذا قضى القاضى قضاء ثم ظهر له خطؤه لا يرجع عن القضاء الأول وعللوا ذلك بأن تبدل الرأى كنسخ النص لا يظهر أثره الا فى المستقبل وعلى ذلك اذا قضى القاضى المجتهد فى حادثة برأى أداه اليه اجتهاده ثم رفعت اليه حادثة مماثلة لها وكان قد رأى غير الرأى الأول فإنه يقضى بالرأى الثانى ولا ينقض القضاء الأول لأنه بنسب على اجتهاد صحيح (٤٢) .

وفى مصر فى العصر العثمانى لم يكن لأية محكمة من الناحية النظرية وضع يفوق وضع المحكمة الأخرى (٤٣) .

ولم نعثر فى وثائق المحاكم الشرعية - التى اطلعنا عليها - على أى حكم ينقض حكم قاض آخر أو إعادة الحكم فى قضية حكم فيها مرة سابقة أمام قاض مختلف . كما أن القضاة لم يكونوا يميزون فى أحكامهم بين القضايا المتعلقة بشخصيات الطبقة الحاكمة وقضايا الرعايا المصريين فكثيرا ما حكم لصالح أحد الرعايا ضد خصمه من العسكريين وعالية القوم (٤٤) .

وبذلك نجد أن عدم وجود نظام للطعن القضائى فى هذه الفترة يعود الى المفهوم الاسلامى الذى يفترض فى القاضى أن يحكم وفقا لتعاليم مفهومة واضحة ، وهى مصادر التشريع الاسلامى ، والاستعانة بقتاوى المفتين . أما عندما تتحكم الأهواء وتتعدد القوانين وتتداخل فيما بينها فعندئذ تظهر الأحكام الخاطئة والنقض فى أحكام القضاة .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - خضع القضاة فى أحكامهم - التى كانت معتمدة بصفة أساسية على الشريعة الاسلامية - لمراقبة العلماء ، لذا فلم يكن هناك ضبط فى الأحكام . وكذلك وفرت هذه الرقابة نوعا من الحرص والحذر من الوقوع فى الأخطاء مثل قبول الرشاوى وغيرها .

٢ - تمتع قضاة العسكر فى هذه الآونة بمكانة عالية بين المصريين لما اشتهروا به من نزاهة وحرص على مصالح الناس وتسهيل إجراءات التقاضى وعدم الاجحاف بهم فى الرسوم القضائية .

٣ - تدرجت مدة قضاة العسكر من المطول الى القصير ابتداء من القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر الذى وصلت فيه مدة القاضى الى أدنى مدة مما ترتب على ذلك العديد من المساوىء .

الاختصاصات القضائية لقضاة الشرع في الأقاليم

تعيين قضاة الأقاليم :

قسم الاقليم المصرى الى ستة وثلاثين قضاء يضم ست رتب ،
وكانت المرتبة الثانية فى كلا القسمين تسمى موصلة « تمهيدية » (٤٥)
وكان القضاة فى الأقاليم درجات أعظمهم قضاة المديريات البحرية
والثغور (٤٦) .

ويعين قاضى عسكر الأناضول قضاة الأقاليم ولا توجد سلطة
لقاضى عسكر مصر عليهم فهم مستقلون عنه تماما ، كما أن كل
إقليم مستقل من الناحية القضائية عن الآخر . وتسجل قرارات
التعيين فى سجلات المحكمة كالتى « مفاخر النواب ٠٠٠٠ نواب
الشرع الشريف بقضاء دمياط وما معه وفقهم الله تعالى ، نعلمهم
أنه أحضر الى الديوان مكتوب من حضرة شيخ الاسلام ٠٠٠٠
مولانا محمد أفندى قاضى العسكر المنصور ولاية أناضولى خطابا
لأقضى قضاة المسلمين مولانا ابراهيم أفندى ٠٠٠ مؤرخ فى ١٢
شعبان سنة ١٠٢٨ هـ (يولية ١٦١٨ م) مضمونه أن الصداقات
الشريفة الخنكارية أنعمت عليه بقضاى دمياط والبريون وسلمون
ورأس الخليج والعادلية مع عملها ٠٠٠ وقد رسمنا أن يتقدم النواب
بالقضا المذكور مع القرى المذكورة ويجرون بذلك الأحكام الشرعية
والقضايا الدينية مع النظر فى المصالح السلطانية والتعلقات
الديوانية ويبادروا الى ذلك من غير تأخير ولا عذر ولا نقض قولا
واحدا وامرا نافذا جازما (٤٧) .

وقبل قدوم القاضى الى الاقليم الذى تولى قضاءه كان يرسل عنه « قائم مقام » « مسلما » ليتسلم قضاء الاقليم نيابة عنه ويقوم بتوجيه العمل فيه الى حين حضوره ويسجل ذلك فى الوثائق كالاتى « فى ١٦ ذى القعدة ١٠٢٨ هـ وفيه جلس مسلم سيدنا ومولانا قاضى القضاة شيخ الاسلام : مولانا ابراهيم أفندى الحاكم الشرعى بثغر دمياط أدام الله تعالى أيامه الزاهرة ٠٠٠ هو فخر الأماثل والأعيان الأمير عمر جاويش بمصر المحروسة » (٤٨) .

وكان المسلم يحمل معه عند حضوره الى الاقليم خطابا من المديوان العالى بتولية القاضى الذى حضر مسلما عنه للاقليم (٤٩) وأحيانا أخرى كان القاضى يرسل الى نائب المحكمة يثبته فى نيابته عنه ويأمره بالعمل على تنفيذ الأحكام والنظر فى الأمور بمقتضى الشرع الشريف ، حتى حضور القاضى الى الاقليم (٥٠) .

كما يبدو من سجلات محاكم الأقاليم أن المحكمة الكبرى فى الاقليم التى كانت مقرا لقاضى الاقليم وهى غالبا فى عاصمته كان يطلق عليها محكمة الباب العالى (٥١) وكانت تتم حركة تنقلات قضائية بين قضاة الأقاليم على سبيل المثال : « نقل السيد عبد الفتاح أفندى قاضى بلبيس الى قضاء دمياط وشيخى أفندى قاضى دمياط الى بلبيس (٥٢) .

وجرت العادة على أنه فى حالة فراغ اقليم من الاقاليم المصرية من قاضيه كان يتولى عليه النيابة من طرف ولاية مصر المحروسة الى حين يحضر القاضى من استانبول ، فعندما فرغ ثغر دمياط من القاضى عين الباشا قائم مقام من طرفه ليتولى ضبط الأحكام الشرعية حكم المعتاد الى أن يحضر القاضى من استانبول (٥٣) . ويظهر أن هذه السلطة انتقلت الى امام الباشا فتذكر الوثائق ذلك كالاتى : .

« هو أن سيدنا ومولانا . . . محمد أفندى امام حضرة مولانا الوزير المعظم الواضع خطبة الكريم أعلاه قرر الفهامة الشيخ حسن بن المرحوم القاضى عبد الله الدمهورى فى منصب القضا والاحكام الشرعية بمدينة دمهور البحيرة وباقى ولاية البحيرة بما آل اليه حسب المعتاد وما جرت عليه العوايد بالديار المصرية ليكون نافذ الاحكام وشليه بتقوى الله تعالى فى جميع الأحوال (٥٤) » .

وعندما يشتكى الناس من قاضى اقليمهم الى قاضى عسكر الأناضول بوصفه رئيسه القضائى ، كان يتم عزله على الفور مثلاما حدث مع « مصطفى أفندى بن تاج الدين أفندى قاضى دمياط » فقد زادت شكاوى الناس منه لأجل ذلك عزل وعين قاض آخر محله (٥٥) .

وأحيانا كثيرة كان يتولى قضاء الشرع بالأقاليم بعض كبار القضاة الذين سبق توليتهم فى قضاء أقاليم كبيرة مثل الروم ايلى ، بل منهم من تولى أعمال المفتى فى السلطنة العثمانية نفسها ، وبعد ذلك تولى قضاء الجيزة (٥٦) .

ووجد بكل محكمة من محاكم الأقاليم أربعة نواب من المذاهب المختلفة بجانب قاضى الاقليم الرئيسى وكان النائب الحنفى يتميز بكونه نائبا للقاضى ، ويعين هؤلاء النواب من قبل قاضى الاقليم (٥٧) ولكن لا ينظر النواب فى القضايا الا بعد الاذن من القاضى الحنفى وهو القاضى الرئيسى للاقليم (٥٨) فبعد الحكم فى القضية من جانب النواب تعرض على القاضى الحنفى ليمضيها ويلزم العمل بمقتضى ما جاء فيها (٥٩) ويظهر من خلال أسماء النواب أنهم كانوا جميعا من العلماء المصريين طوال فترة الحكم العثمانى مثل الشيخ « عبد السلام الفارسكورى » (٦٠) والشيخ « جمال الدين عبد الله الديروطى المالكي » (٦١) .

الأقاليم القضائية :

كان يتبع كل إقليم من هذه الأقاليم عدد من النواحي التابعة له ، وكان القاضي يمارس عمله من عاصمة الإقليم ويعين نوابا عنه للنظر فى القضايا فى هذه النواحي فتذكر السجلات « العمدة الفاضل السيد على نايب الشرع الشريف بناحية سنهور بولاية البحيرة (٦٢) وكذلك « علم الأنكحة التى وردت عن أهالى ومال أبى قير من يد مولانا الشيخ على الخطيب والامام بجامع قلعة أبى قير » (٦٣) .

وكثيرا ما كان يحدث خلاف بين قضاة الأقاليم على القرى المختلفة ومدى تبعيتها لكل منهم ، وقد تنازع القاضي على بن صافى قاضى محلة أبى على والقاضى « محمد بن سنان » قاضى النحرارية بسبب بلدة جناح ومنية جناح وسباس شهدا ومنسولين وشيرابيون وصا الحجارة ، وذكر القاضى محمد أن ذلك متعلق بقضائه المذكور وعارضه على أفندى بن صافى بأن ذلك موجود فى تمسكاته المعمول بها شرعا ، واتضح أن النواحي المذكورة تتعلق بقضاء محلة أبى على وكفر جعفر ما عدا ناحية صا الحجارة وكفرها ، فأن الأمر أستقر بينهما على أن محمد أفندى بن سنان يتصرف لهما فقط ويدفع من محصول تقرير شهودها ثمانماية نصف وتراضيا على ذلك . وكان هذا فى ٣٠ ذى القعدة ١٠٠٣ هـ . يولية ١٥٩٥ م (٦٤) .

كما حدث خلاف بين أحمد أفندى بن تاج الدين قاضى بنى سويف ومصطفى أفندى بن محمد القاضى بقمن العروس ، بسبب النواحي التابعة لقضاء قمن المذكورة ، وطال الخصام بينهما وتدخل المصلحون من قضاة الأقاليم الأخرى وتصادقا على البلاد التابعة لكل منهما وتم تحديدها بينهما (٦٥) .

وفى حالات الحاق بعض البلاد الى أحد قضاة الاقاليم كان ينص على ذلك قرار التعيين لقاضى الاقليم مثل « القاضى بثغر دمياط وفارسكور ومضافاتها » وأحيانا يطلق عليها وتوابعها « أو القاضى « بالثغر المرقوم ولواحقه » (٦٦) وتتم هذه المضافات بقرار صريح من قاضى عسكر الأناضول مثلما حدث عندما أضيف الى قاضى دمياط « قرى السروى (٦٧) وبرمون المضافتين اليه فحصل ورود هذا الأمر عليه بالتصرف فى الناحيتين المذكورتين وتجهيز الأحكام الشرعية والقضايا الدينية بهما » (٦٨) .

ويتضح من ذلك عدة أمور هي :

١ - أن الأقاليم القضائية كانت مختلفة عن الأقاليم الادارية فأحيانا مكان الاقليم القضائى يجمع بين أماكن فى اقليمين اداريين ، فهى فى الأغلب الأعم أوسع من الأقاليم الادارية .

٢ - أن قضاة اقاليم عرفوا بالولاية المحلية لمحاكمهم على الأقاليم والقرى التابعة لهم بدليل ما كان يحدث من خلافات بينهم على حدود اقاليمهم ومدى تبعية البلاد لهم .

٣ - أن هذه الأقاليم القضائية لم تكن ثابتة فقد حدث فيها تغيرات كثيرة على مدى الحكم العثمانى ، وربما كان ذلك بسبب المضافات والتوابع واللواحق التى كانت تضاف لهذا الاقليم أو ذلك .

الاختصاصات القضائية لقضاة الأقاليم :

نظر قضاة الشرع فى الأقاليم فى كافة أنواع القضايا التى تعرض عليهم ، فلم تكن هناك قضايا مخصصة لهم ومرد ذلك أن القاضى فى الاقليم كان رئيس الهيئة القضائية بهذا الاقليم ، لذا فلم

تكن هناك نوعية محددة من القضايا أو اختصاص قضائي نوعي .
ومن حق الناس اللجوء الى المحاكم فى أى وقت ورفع الدعوى على
خصومهم وطلبهم أمام الشرع . فقد « ذهب لمجلس الشرع الشريف
السيد عبد الله جوريجى الجركسى بالثغر والتمس احضار الشيخ
رجب بن الشيخ محمد بن عبد الكريم لدعوى شرعية تسمع منه عليه
كونه تعدى عليه بالسب وتداوله بألفاظ قبيحة ، فأرسل القاضى
اليه قصاد الشرع فلم يجدره وعاق عليه الدعوى بذلك لحدين حضوره
وصدورها وجهه » (٦٩) . ويقدم مقدمو الأدراك - وهم المسئولون
عن الأمن فى الأقاليم - من يقبضون عليه من المفسدين الى القاضى
الذى يقوم بالنظر فى حالته أو الأمر بسجنه حتى يظهر من أمره
ما تكشف عنه التحريات (٧٠) .

واعتمد القضاة على البيئة كدليل لاقامة الدعوى عملا بقول
الرسول الكريم : « البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر » ،
واذا لم يستطع المدعى احضار البيئة الدالة على صحة دعواه أمهل
ثلاثة أيام فان لم يحضر بما يثبت هذه الدعوى يمنع المدعى المذكور
من معارضة المدعى عليه المنع الشرعى . وفى حالة البيئة فى الدعوى
كان ينص على ذلك فى آخر الدعوى بقوله : « وحكم بموجبية
ما قامت به البيئة الحكم الشرعى المستوفى لشرايطه الشرعية
والواجبات المحررة المرعية » (٧١) ومن حق المدعى أن يلتمس يمين
المدعى عليه ويقوم القاضى بسماع يمينه (٧٢) .

وفى حالة ما اذا ادعى شخص على خصمه أمام القاضى
وأرسل اليه قصاد الشرع ثم تبين أن هذا مجرد افتراء عليه لاحضاره
وتغريمه حق الطريق للقصاد وفى هذه الحالة يقوم القاضى بتأديبه
الشرعى . (٧٣) لمنع تكرار مثل هذا الأمر حماية للمتقاضين من
الحيل التى قد يلجأ اليها بعضهم لتغريم خصومهم .

ووجد سجن تابع للشرع الشريف فى الأقاليم يطلق عليه
« سجن الشرع الشريف » وله أوقاف خاصة به (٧٤) وكذلك وجد
مستودع شرعى تابع للشرع الشريف وذلك لوضع المواشى المسروقة
والغلال المتنازع عليها فيه حتى يتم الحكم فيها وتسليمها لمن له
الأحقية فى ذلك (٧٥) .

ولم يكن القضاة يقبلون الأمر على علته بل يقومون بالتحقيق
فى أمور تبعا لموافقتها للشرع الشريف ، فعلى سبيل المثال فى حالة
تضارب شهادة الشهود تسقط الدعوى ولا تقبل شهادتهم . وفى
أحدى القضايا ردها القاضى « لأن شاهدها شهادته مردودة غير
مقبولة لاختلاف اللفظ والمعنى والمكان » (٧٦) وطلب منهم القاضى
أحضار شهود آخرين كشرط لصحة الدعوى .

واختص قضاة الشرع بالمطب الشرعى والكشف عاى الجثة
قبل دفنها وذلك بمساعدة الجرايحية (٧٧) .

وكان القاضى يلزم أرباب الأدراك متضامنين برد قيمة الأشياء
المسروقة فى حالة سراققتها فى أثناء خفارتهم (٧٨) وفشلهم فى البحث
عن السارق .

أما عن أهل الذمة فى الأقاليم فتعيج سجلات محاكم الأقاليم
بوجود العديد من أنواع القضايا الخاصة بهم حتى فى أشخاص
أمرهم المرتبطة بإجراءات كنسية معينة مثل الزواج (٧٩)
والطلاق (٨٠) وكذلك كانوا يلجأون الى القاضى المسلم فى تقسيم
مواريثهم بالفريضة الشرعية (٨١) وفى هذه الحالات كان القاضى
المسلم يحكم بينهم تبعا للشرع الإسلامى والقواعد الفقهية
الإسلامية .

يتضح من هذا الآتى :

١ - يقوم قاضى عسكر الأناضول بتعيين قضاة الأقاليم ولا يتدخل قاضى عسكر مصر فى ذلك اطلاقا لعدم وجود سلطة قضائية له عليهم . أما فى حالة فراغ المنصب لأى سبب يقوم الباشا (حاكم مصر) بتعيين قائم مقام على الاقليم حتى يصل المعين الجديد من استانبول .

٢ - تمتع قضاة الأقاليم بالولاية القضائية على اقاليمهم وتوثيق كافة أنواع القضايا التى تعرض عليهم دون تحديد لها .

٣ - تعرض قضاة الأقاليم للعزل فى حالة اساءة استخدام مناصبهم وشكوى الناس منهم .

٤ - كانت الأقاليم القضائية تختلف عن الأقاليم الادارية ففى بعض الأحيان كان الاقليم القضائى يضم بلادا تقع فى أكثر من اقليم ادارى .

٥ - كان قاضى الاقليم يعين نوابا عنه فى البلاد المختلفة التابعة لاقليمه ويحدد لهم اختصاصاتهم القضائية من الناحية النوعية والقيمية .

القسام (٨٢)

وجد في مصر في العصر العثماني قاضيان عرف كل منهما بالقسام . أحدهما هو القسام العسكري ، والآخر هو القسام العربي .

والقسام هو القاضي المختص بقسمة التركات وتعيين الأوصياء على القصر من أبناء المتوفى وبيع التركات ومحاسبة الأوصياء على القصر . ولكن اختلف عمل كل من القسام العسكري عن القسام العربي من ناحية الاختصاص الفئري (٨٣) لكل منهما وان اتفقا في الاختصاص القضائي لكليهما .

ولم يكن عمل القسام معروفا من قبل في مصر ابان الدولة المملوكية . وان كان هذا المنصب قائما في الدولة العثمانية وطبق في مصر امتدادا لما هو قائم في الدولة العثمانية وكذلك لربط قضاة مصر بهيئة قضاة استانبول .

كذلك فان القسامين سواء العسكري أو العربي في ممارستهم لأعمالهم - وخاصة قسمتهم التركات - كانوا يتبعون القواعد الشرعية التي أقرها الفقهاء من قبل وكانت لهم رسوم مالية لا يتعدونها .

واختلف تعيين القسام العسكري عن القسام العربي فالأول كان يعين بقرار من قاضي عسكر الأناضول بينما يعين الآخر بقرار من قاضي عسكر مصر ، وبذلك فالقسام العسكري أعلى درجة من زميله القسام العربي .

أولاً : القسم العسكرى واختصاصاته القضائية :

نشأة منصب القسم العسكرى (٨٤) :

يعتبر القسم العسكرى من مستحدثات الحكم العثمانى فى مصر فلم يكن معروفا من قبل فى الدولة المملوكية . وأول اشارة ترد عنه فى (جمادى الآخرة ٩٢٨ هـ ابريل ١٥٢٢ م) فيذكر ابن اياس ذلك بقوله « أشيع أن حضر صحبة العسكر شخص من العثمانة ، يزعم أنه قاض من قضاة ابن عثمان ، وعلى يده مراسيم من السلطان سليمان بأن يستقر متحدثا على جميع الترك قاطبة ، الأهلية وغير الأهلية ولا يعارضه أحد من الناس فى ذلك وأن يأخذ ما يتحصل من كل تركة العشر لبيت المال ، أهلية كانت أو غير أهلية ، وأن فى مراسيمه أن أحدا من الممالك الجراكسة وأولاد الأتراك قاطبة وأرباب الدولة والأصبهانية (٨٥) والانكشارية لا يعقدون عقد نكاح بكر وثيب قاطبة الا عند ذلك القسم (٨٦) . »

تعيين القسم العسكرى :

يبدو من الوثائق أن قرار تعيين القسم العسكرى يصدر من قاضى عسكر الأناضول مثل قاضى عسكر مصر تماما وفى ذلك دلالة على أهميته ومكانته المرموقة وتنص على كونه نائبا لقاضى عسكر الأناضول .

ويسجل قرار تعيينه فى سجلات المحكمة على النحو التالى « لما كان فى اليوم المبارك ٢٣ من شهر محرم الحرام ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) حضر الى المحكمة الشرعية المشهورة بالقسمة العسكرية سيدنا ومولانا قاضى قضاة المسلمين . . . مولانا شمس الدين ابن سيدنا ومولانا الياس وجلس بالمحكمة المشار اليها أعلاه قساما نايبا

عن سيدنا ومولانا أقضى قضاة الاسلام ٠٠٠ مولانا أفندي محمد
بن نور الله قاضى العسكر المناصور بأناضولى « (٨٧) » .

كما كان قرار التعيين ينص على تولية « النظر فى أمور
القسمة العسكرية بمصر المحمية ونواحيها » (٨٨) وينص كذلك على
كونه « خادما الى جانب أعلم العلماء الموحدين ٠٠٠ قاضى القضاة
بمصر » (٨٩) وشغل القسم العسكرى الى جانب عمله كقسم
أعمالا قضائية فى محاكم أخرى من محاكم أخطاط القاهرة مثل
« خضر أفندى قاضى الديوان العالى والقسم العسكرى بالديار
المصرية » (٩٠) ومولانا « عبد الله أفندى القاضى بالخانقة
السرياقوسية والقسم العسكرى بمصر المحمية » (٩١) وشغل القسم
كذلك بجانب عمله رئاسة القضاء فى مدن أخرى بعيدة عن القاهرة
مثل « محمد أفندى القسم العسكرى والقضاة بمنف العليا
مؤقتا » (٩٢) و « محمد أفندى القاضى بالمحلة الكبرى مؤقتا والقسم
العسكرى بمصر المحروسة » (٩٣) و « محمد أفندى القسم العسكرى
بمصر المحروسة حالا وقاضى ولاية المنصورة مؤقتا » (٩٤) .

ولكن لاندري ما اذا كان القسم فى هذه الحالة يقيم فى القاهرة
ليمارس عمله كقسم أو يقيم فى الاقليم لرئاسة قضائه . وربما
يكون السبب فى تعيين القسم العسكرى لرئاسة القضاء فى الأقاليم
إضافة الى عمله أن قرار تعيين قضاة الأقاليم والقسم كان يصدر من
قاضى عسكر الأناضول لذا فهو يعينه حتى قدوم قاضى الاقليم من
استانبول .

وبعد صدور قرار تعيين القسم العسكرى يقوم بإرسال خطاب
الى قائم مقام يحل محله الى حين وصوله مثل « محمد أفندى رفاعى »
الذى أرسل خطابا لـ « قاسم أفندى قاضى المحمل بالنظر فى
مصالح المحكمة لحين حضوره » (٩٥) .

ويلاحظ في بعض الحالات أن قاضي عسكر الأناضول كان يرسل الى أحد العلماء المصريين لضبط أمور القسمة العسكرية الى حين حضور القسم ولاسيما في حالات الصداقة بينهما مثل « حسين أفندي قراجلبى قاضي عسكر الأناضول الذي أرسل الى صديقه الشيخ البدر القرافى ليقوم بضبط أمور القسمة العسكرية الى حين حضور القسم العسكرى » (٩٦) .

وأحيانا يوجه النظر في أمور القسمة العسكرية بمصر الى نجل قاضي عسكر مثل « اسحاق أفندي بن مولانا اسماعيل أفندي قاضي عسكر مصر » (٩٧) و « أسعد محمد أفندي القسم العسكرى بمصر ونجل شيخ الاسلام عبد الله أفندي قاضي عسكر مصر حالا » (٩٨) ولكن يجب أن نعلم أن هذه المناصب لا توجه الى نجل قاضي العسكر بوصفه ابنه بل بوصفه أحد العلماء المؤهلين لتولى هذا المنصب القضائى بحكم تعليمهم .

وابتداء من أول القرن الثامن عشر بدأ قاضي عسكر مصر يتولى مهام القسم العسكرى الى جانب أعماله القضائية ، وأول اشارة تقابلنا فى الوثائق عن ذلك فى (عام ١١٣٨ هـ ١٧٢٥م) عندما وجه « صالح أفندي القاضى بعساكر الأناضول أعمال القسم العسكرى الى عبد الرحيم أفندي قاضى عسكر مصر » (٩٩) .

ويتضح من خلال سجلات المحكمة أن قضاة العسكر بمصر قد تولوا أغلب فترات القرن الثامن عشر النظر فى أمور القسمة العسكرية وأصبح يضاف الى ألقابهم « الناظر فى الأحكام الشرعية وأمر القسمة العسكرية بمصر قاضى القضاة يومئذ » (١٠٠) وساعدهم على تولية أعمال القسم بمصر فى هذه الفترة :

(١) كثرة النزاعات المملوكية والمنازعات داخل الفرق العسكرية العثمانية وبذلك فقد كثرت رسوم القسم العسكرى عن

ذى قبل مما جعل قاضى العسكر يتطلع الى الرغبة فى الحصول على هذا الدخل الكبير والسعى لتوليته هذا المنصب بما لسه من علاقات داخل استانبول .

(ب) كذلك ساعد على ذلك ما تمدنا به المصادر المعاصرة لهذه الفترة عن قلة ورود القضاة خاصة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر من استانبول ، فأراد قاضى العسكر نظرا لأهمية أعمال القسم أن يسعى فى توليه بنفسه .

وفى هذه الآونة عندما كان قاضى العسكر يرسل الى قائمقامه ليحل محله الى حين حضوره كان ينص على توليه أعمال القسم العسكرى (١٠١) .

مقر القسم العسكرى :

وكان مقر القسم العسكرى فى المدرسة الظاهرية (١٠٢) . وهذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط بين القصرين كان موقعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم ، وقد أمر بهدمها السلطان الظاهر بيبرس البندقدراى وبنى موضعها مدرسة فابتدأ بعمارته فى ٢ ربيع الآخر ٦٦٠ هـ ٢٥ فبراير ١٢٦٢م وفرغ منها فى ٦٦٢ هـ ١٢٦٣م ووجد بها خزانة كتب تشمل امهات الكتب فى سائر العلوم وبنى بجانبها مكتبا لتعليم ايتام المسلمين كتاب الله (١٠٣) .

الاختصاص الفئوى للقسم العسكرى :

وقد اختص القسم العسكرى بالنظر فى قضايا وأمور فئات معينة . والفئات التى اختص بالنظر فى أمورها هى :

١ - الفرق العسكرية السبعة وأتباعهم وأيتامهم ومن يلون

بهم .

٢ - السادة الأشراف وأتباعهم وأيتامهم .

٣ - أرباب الوظائف والعلماء وحفظة كتاب الله العظيم .

٤ - أرباب العلوفات والجرايات والعثمانة (١٠٤) .

ولكن ابتداء من النصف الثانى من القرن السابع عشر بدأت تزيد الفئات المنضمة الى اختصاص القسم العسكرى . وهم من أصحاب العلوفات . فقد أدت زيادة بيع العلوفات على اقبال أهل الحرف من أصحاب الدخول المتواضعة ومن مختلف الحرف على شراء العلوفات لتكون موردا مهما لتحسين أوضاعهم ولقد انتسب أرباب العارفات الى مختلف الأوجاقات دون مشاركة فعلية فى العمل العسكرى ، وهم ينتمون الى فئات اجتماعية مختلفة (١٠٥) ، وفي القرن الثامن عشر يبدو حدوث خرق لهذه الفئات فنلاحظ وجود حالات لتركات من التجار وغيرهم دون اشارة الى فتويتهم ، أو أنهم من أصحاب العلوفات أو العسكريين « مثل ضبط وتحرير وتقويم مخلفات الحاج سعد العقاد فى البلدى الشهير بالحداد » (١٠٦) .

وبالتدريج فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر كانت تحوى قضايا لكافة الطبقات من المسلمين حتى وصل الأمر الى ذروته فى المرسوم الذى أصدره قاضى العسكر الى العاملين بمحاكم مصر المحروسة وبولاق ومصر القديمة فى (١٠ ذى الحجة سنة ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م) « انكم تنسبون جميع التركات والكتابات الموثوقة وما يتبعها المتعلقة بالرجال المسلمين من الأدنى للأعلى للقسمة العسكرية لأننا تجاوزنا عن بعض تعلقاتنا فى القسمة العربية وهى تعلقات الرعايا وعامة الفلاحين الذين لم ينسبوا للعلماء والأشراف وجهة الديوان والوجاقات بأن تنسب تعلقات الرعايا المذكورين من الذكور المسلمين للقسمة العسكرية على طريق التجاوز من قبلنا

لتعب الوقت «(١٠٧) بذلك فقد ضمت اختصاصات القسام العسكرى من هذا الوقت كل فئات الشعب تقريبا فيما عدا النساء المسلمات وأهل الذمة .

الاختصاص القضائى النوعى للقسام العسكرى :

كما اختص القسام العسكر بالنظر فى أمور فئات معينة فقد كان له أيضا اختصاص نوعى فى قضايا محددة هى :

- ١ - ضبط التركات والأيلولات
- ٢ - التصاريقات والأشهاد والوصايا .
- ٣ - الكتابة على المريض من أشهاد واسقاط ووقف وبيع وشراء واستبدال ووصايا وعق .
- ٤ - الكتابة على الوصى والوارث ووكيل الوارث .
- ٥ - الكتابة على القيم وما يتعلق بالقصر (١٠٨) .
- ٦ - عقد عقود الأنكحة وسائر الوقائع العسكرية (١٠٩) .

ومن أهم الاختصاصات المنوطة بالقسام العسكرى تقسيم التركات بين الوارثين بالفريضة الشرعية وكان القسام اذا توفى انسان وليس فى ورثته قاصر ولم يطلبوا القسام فلا يطالبهم القسام بقسمة بغير سؤلهم ولا بغير رضاهم اما فى حالة وجود قاصر فيضبط التركة ويعين وصيا على القاصر (١١٠) .

وينزل القسام الى محل سكن المتوفى ويضبط ممتلكاته بحضور وكلاء الورثة . فعندما قتل سليم أفندى أحد قادة الانكشارية عام ١١٠٠ هـ بعد دفنه ضبط كامل ما وجد فى منزله بمعرفة القسام

وسد ما عليه من ديون (١١١) . وعندما توفى « محمد بن أحمد »
بمكة المشرفة نزل القسام العسكرى « خير الدين بن محيى الدين »
وصحبه عدد من المسلمين الى حانوت المتوفى وضبط ما فيها
وكتب ضبطا للواقع فى ٢ ربيع الآخر سنة ٩٨٢ هـ ١٢ يولية
١٥٧٥م (١١٢) .

وفى التركات كان القسام العسكرى يقوم بتحديد من له حق
الورثة فى المتوفى بعد أن يثبت له ذلك بمعرفة شهوده ، فعندما
توفى محمد أفندى قاضى ولاية المنصورة وانحصر ارثه فى زوجته
المصونة صالحة خاتون بنت عبد الله البيضاء وبنته منها الست
فاطمة البكر البالغ من غير شريك ولا حاجب ثم تم تقويم ما وجد
من مخلفات المرحوم التى بيعت بمبلغ قدره ١٣٦٦٥ نصفاً (١١٣)
والنقدية التى وجدت ١٣٩٨٣٥ نصفاً فيكون جمعه عن المخلفات
مع المضاف ١٥٣٥٠٠ نصف ، وبعد ذلك وقبل تقسيم الميراث بين
الورثة كان يتم تجهيز المتوفى وتكفينه وأداء الديون التى عليه
وكذلك دفع مؤخر الصداق للزوجة ومصاريف القسمة والدلالة
وبعض المصاريف ثم توزع الأنصبة فحصلت الزوجة على حقها بحق
الثلث من التركة ١٩٥٩٩ نصفاً وحصة ابنتها الباقى ١١٩١٧٨
نصف فضة (١١٤) .

وبذلك نلاحظ أن القسام كان يراعى الشروط الفقهية التى
وضعها الفقهاء كحقوق الامتوفى على التركة وهى حسب الترتيب :

- ١ - نفقات تجهيز الميت وتكفينه ودفنه .
- ٢ - قضاء ديون المتوفى .
- ٣ - تنفيذ وصاياه .
- ٤ - انصبة الورثة ، وهى حقوق مرتبة فى الأداء بحيث او

استغرق الحق صاحب الأداء كل التركة ، فلا يتبقى شيء لأصحاب بقية الحقوق الأدنى منه فى مرتبة امتياز الأداء (١١٥) .

أما فى حالات المتوفين دون وارث فكان بيت المال يرثهم ولا تضبط تركتهم الا بمعرفة أمين بيت المال (١١٦) وفى هذه الحالة كان يحضر أمين بيت المال القسمة فى المحكمة هو أو مندوب عنه ، وبيت المال فى العصر العثمانى هو الجهة القائمة على تحصيل الرسوم المفروضة على التركات وجميع أنصبة بيت المال من الموارىث وهو ينقسم الى قسمين ، الأول هو : « بيت مال الخاصة » وهو يختص برجال الجهاز الحاكم سواء كانوا من رجال الادارة أو المالية أو الأجناد والثانى هو : « بيت مال العامة » وهو الخاص بطبقة المحكومين (١١٧) . وفى حالات وجود الورثة خارج البلاد مثل حالات العسكريين كان يتم بيع المخلفات بوجود الوصى المختار من قبل المتوفى بعد وفاته فهو فى غالب الاحوال من طائفته أو بحضور سردار الطائفة وبعد أن يتم استيفاء الحقوق التى على التركة بوضع المبلغ المتبقى بيد الوصى وعليه الخروج من عهدة ذلك لجهة المستحقين (١١٨) :

وبعد تقسيم التركة يعين القسم وصيا على القصر من قبله وذلك لينظر فى مصالحهم وأحوالهم وتنص حجة الوصاية أمام القسم العسكرى أن يقوم الوصى بالتصرف بالبيع والشراء والأخذ والعطاء والقبض والصرف بسائر وجوه التصرفات الشرعية الى حين بلوغ القاصر رشيدا صالحا لدينه وماله (١١٩) .

وغالبا ما كان يختار المتوفى قبل وفاته وصيا على ثروته وأولاده من بعده مثل « فاطمة بنت عبد الله عتاقة الخواجة عن الدين الحموى » (١٢٠) كما كان الوصى يتنازل عن الوصاية لشخص آخر

إذا أراد ذلك تحت أى ظرف من الظروف التى تطرأ عليه • أما فى حالات النزاع على الوصاية ، فكان يتم الفصل فى الأمر بين يدي القسم ويكلف المتداعون باثبات دعواهم وفى النهاية يفصل فيها لصالح من تثبت صحة دعواه ويوليه الوصاية ويكلفه بالقيام بما تقتضيه واجباتها (١٢١) •

ولم يكن الأمر يقتصر على تعيين الأوصياء بل كان القسم العسكرى يقوم بمحاسبته فى كل فترة عما أنفقته الوصى على القاصر وعما آل اليه كذلك من أرباح من مال سواء من تجارة أو التزامات زراعية ، وهذه المناسبة تشبهه فى الوقت الحاضر ما يسمى بالمجلس الحسبى على الأوصياء (١٢٢) •

وبين يدي القسم العسكرى كانت تتم الاشهادات فقد أشهد على نفسه الأمير حمزة بن عبد الله من طائفة الكوملية بلك ١٩ وعلوفة (١٢٣) ٢٤ شهادة الاشهاد الشرعى وهو فى صحته وسلامته وجواز الاشهاد عليه شرعا انه قبض وتسلم ووصل اليه من قدوة الأكابر ٠٠٠ الأمير سليمان أمين بيت المال الخاصة بمصر مبلغا قدره من الفضة العديدة معاملة تاريخه بمصر الف نصف فضة واحدة وسبعماية نصف وست عشر نصف وأقر بأنه لم يتأخر له شيء قل ولا جل (١٢٤) •

الولاية القضائية للقسم العسكرى فى الأقاليم :

تؤكد الوثائق على وجود نائب للقسم العسكرى فى الأقاليم فيوجد « العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد المحنقى نايب القسم العسكرى بثغر دمياط » (١٢٥) كذلك فقد كان القسم العسكرى يرسل الى قضاة الأقاليم - أحيانا - بالتفويض لهم فى

تحرير تركات العسكريين بالأقاليم « مثلما أرسل الى الحاكم
الشرعى بشغل دمياط بتحرير تركات العسكريين وقبض الرسوم
التي جرت بها العادة ويأخذ لنفسه الخمس منها فى مستهل ذى
القعدة (١١٠٩ هـ ١٦٩٧ م) .

ولكن فى غالب الأوقاف كان القسم العسكري يعين وكيله
عنه ويطلب من الحاكم الشرعى بالأقاليم مساعدة وكيله فى ضبط
أعماله ، فقد أرسل القسم العسكري بمصر حسين بن نور الدين الى
الناظر الشرعى بدمياط بنبأ توليه القسم العسكرية وأنه أقام الشيخ
العمدة شمس الدين الدنجيهى نايباً فى الأمور العسكرية بدمياط
وما يتعلق بذلك من العتق والنكاح والحجة والسجل والرسم
والدعوى وغير ذلك على الوجه الشرعى المعتبر المرضى وأن يتعاطى
فعل ذلك وأن يضبط ما يقع وما يتحصل من ذلك . يكتب بذلك دفتر
شهر ٠٠٠ والمأمول من همة مولانا معاونة الشيخ محمد على
ما هو بصدد منع ورفع من يتعرض له فى ذلك ، واسط ذى
الحجة ٩٨٣ هـ ١٥٧٦ م (١٢٦) .

يتضح من هذا وجود نائب للقسم العسكري كان يقوم فى
الأقاليم بالنظر فى أمور العسكريين وتوثيقها وتقييد ذلك فى سجلات
خاصة بهم وإرسالها الى القسم العسكري فى القاهرة ، ولكننا مع
ذلك لا ندرى ان كانت تقييد فى سجلات القسم بعد ذلك أم لا .

ويبدو أن القسم العسكري كان يقوم فى بعض الأحيان
بالسفر الى الأقاليم للاطمئنان على وكلائه والاشراف عليهم وتذكر
السجلات على سبيل المثال « سفر القسم العسكري حسين بن نور
الله فى يوم الأحد ١٨ ربيع الآخر ٩٨٤ هـ يولية ١٥٧٦ م الى المنصورة
وغيرها من جهات الوجه البحرى (١٢٧) كما تسجل كذلك عودته

ففى يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة ٩٨٤هـ سبتمبر ١٥٧٦م من
المنصورة والمحلة بالوجه البحرى (١٢٨) .

وبذلك يتضح أن الولاية القضائية للقسام العسكرى كانت
تشمل مصر وأقاليمها فيما يخص الفئات المندرجة تحت اختصاصه
ولذا كان ينص قرار تعيينه على تولية أمور القسمة العسكرية بمصر
ونواحيها بينما كان اختصاص القسام العربى مقصورا على القاهرة
فقط ، وبذلك فقد كان القسام العسكرى هو القاضى الوحيد فى
مصر - فى هذه الآونة - الذى كانت سلطاته وولايته القضائية
ممتدة على مصر بكاملها فيما يختص بالفئات المندرجة تحت
اختصاصه . وبذلك فقد كان من حقه أن ينيب عنه نوابا فى أقاليمها
المختلفة .

وبعد أن عرضنا لأعمال القسام العسكرى يمكن أن يرد على
ما يقال « بأن سبب انشاء هذه الوظيفة يرجع الى تنبه العثمانيين
منذالسنوات الأولى لفقدهم مصر الى أهمية احكام القبضه والرقابة
على ايلولة التركات ومايتفرع عنها من حقوق باعتبار أن ذلك هو
مقدمة ضرورية للتحكم فى مصادر الثروة وخاصة ثروة الطبقة
الحاكمة (١٢٩) » فالقول بذلك مجاف للحقيقة لأن العثمانيين انشأوا
هذه الوظيفة فى بداية حكمهم، للبلاد اتباعا لما هو قائم فى الدولة
العثمانية ، وكنوع من الاصلاح القضائى للوضع المتردى الذى
وصلت اليه الحالة القضائية فى أواخر العصر المملوكى . كما أن
الخلافات بين الأمراء المماليك أو فى القوى العثمانية لم تظهر على
سطح الحياة السياسية الا مع بداية القرن السابع عشر ، وكما
رأينا فان القسام يقوم بتقسيم الميراث بالفريضة الشرعية بين الورثة
وله أجر معين لايتعداه ، فكيف يصل عائد الايلولات الى الحد الذى
يجعل منه مصدرا من مصادر الثروة ؟ .

ويوضح مما سبق :

١ - عرف القضاة في هذه الآونة التقسيم الفتوى القائم على تقسيمهم تبعاً للفئات المندرجة تحت اختصاصهم . بعكس التقسيم القائم على درجات القضاة .

٢ - كانت الولاية القضائية للقسام العسكرى شاملة مصر بكاملها ومن حقه أن ينيب عنه نواباً في الأقاليم لينظروا فى أمور الفئات المندرجة تحت اختصاصه .

٣ - يقوم القسام العسكرى بتقسيم الموارىث بين الورثة تبعاً للقواعد الفقهية التى نصت عليها الشريعة الإسلامية وهو فى ذلك له أجر محدد لا يتعداه .

٤ - فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر جمع قاضى العسكر الى جانب عمله القيام باختصاصات القسام العسكرى .

٥ - فى نهاية القرن الثامن عشر زادت الفئات المندرجة تحت اختصاص القسام العسكرى وذلك تبعاً للأوامر الصادرة بذلك حتى غدا يشمل اختصاصه كل فئات السكان ما عدا النساء المسلمات وأهل الذمة من اليهود والنصارى الذين بقوا تحت اختصاص القسام العربى .

(ب) القسام العربى واختصاصاته القضائية :

نشأة منصب القسام العربى :

لا نعرف على وجه التحديد البداية الزمنية لنشأة هذه الوظيفة فلم يرد لها ذكر فى المصادر المعاصرة لقلبك الفترة ، مما أدى الى ارجاع الباحثين لنشأتها الى بداية التدوين الزمنى لسجلات هذه

المحكمة التي يبدأ السجل الأول منها بعام ٩٧٠ هـ - ١٥٦٢ م ،
ولكن هذا السجل مكمل لما قبله فهو لا يوجد فيه ما يبرر بداية عمل
المحكمة ولا بداية تعيين القسام العربى . ولكن استطعنا العثور
فى وثائق المدشت على وثائق ترجع الى القسام العربى وتعود الى
قبل ذلك التاريخ منها : « فى يوم الخميس رابع جمادى الثانية
سنة ٩٦٥ هـ ٢٥ مارس ١٥٥٨ م جلس القاضى داود قاضى الخانقاه
بالكاملية » (١٣٠) .

كما وجدت اشارات فى ثنايا المحاكم الأخرى عن القسام
العربى فتذكر احدى القضايا الصادرة بمحكمة جامع « بدلالة مستند
الاىصال المسطر بالمحكمة الشرعية بالمدرسة الكاملية المؤرخ برابع
عشر شوال سنة ٩٦٥ هـ يولية ١٥٥٨ م » (١٣١) .

وبذلك يتضح خطأ القول بأن نشأة هذه الوظيفة ترجع الى
بداية التسجيل الزمنى لسجلاتهم ، كما انا عثرنا بين سجلات
محكمة القسمة العسكرية على سجلات تابعة للقسام العربى
ووضعت خطأ فى سجلات القسمة العسكرية ومن بينها سجل كامل
يتناول الفترة من ٩٦٨ هـ ١٩٦٢ م ويعتبر هذا السجل أول سجل
كامل للقسام العربى » (١٣٢) .

تعيين القسام العربى :

ويعين القسام العربى من قبل قاضى العسكر ويسجل قرار
تعيينه فى سجلات محكمة القسمة العربية كالاتى : « يوم الأربعاء
المبارك ٣ جمادى الآخرة من شهور سنة ألف واثنين وأربعين هـ جلس
سيدنا ومولانا فخر ٠٠٠٠ أفندى على بن محمد أيد الله تعالى
أحكامه وأحسن اليه قساما عربيا بالقسمة العربية بالقاهرة المحمية
بموجب التذكرة الواردة له فى شأن ذلك من سيدنا ومولانا أعلم

العلماء المتبحرين مولانا موسى أفندى الناظر فى الأحكام
الشرعية بالديار المصرية جعل الله جلوسه مباركا « (١٣٣) » .

وتلقب الوثائق القسم العربى بنائب قضاى القضاة
ومخدومه (١٣٤) وجمع القسم العربى الى جانب عمله كقسم
أعمالا قضائية أخرى مثل « الحاج على الرومى الحنفى قاضى
الديوان العالى قساما عربيا » (١٣٥) وفى هذه الحالة كان عليه
رئاسة القضاء فى المحكمتين وهناك أيضا من تولى « قساما عربيا
وقاضيا للديوان العالى وقاضى الصالحية النجمية » (١٣٦) . وفى
هذه الحالة كانت الأمور الخاصة بالقسم العربى تنظر فى غالب
الأحيان بالصالحية النجمية وتذكر الوثائق « بالمحكمة الشرعية
بالصالحية النجمية المتعلقة بالقسمة العربية وكذلك بمحكمة
الصالحية النجمية القسمة العربية » (١٣٧) .

وأحيانا كثيرة كان قاضى العسكر يعهد الى أحد أبنائه بالقيام
بأعباء القسم العربى مثل « قاضى عسكر عبد الله أفندى الذى عهد
بذلك الى نجله يحيى أفندى » (١٣٨) .

وكثيرا ما كانت تحدث حركة تنقلات قضائية بين محاكم
أخطاط القاهرة وبين محكمة القسمة العربية فقد انتقل « مصطفى
أفندى قساما عوضا عن صالح أفندى الذى انتقل بدلا منسه الى
محكمة بولاق » (١٣٩) . ويبدو أن هذا كان أمرا مفيدا للمتقاضين
ولأعمال القضاء بوجه عام .

وكان من حق القسم العربى أن يعتزل عمله اذا ما أراد ذلك
لأى ظرف من الظروف التى يمر بها مثل : « عبده أفندى بن ابراهيم
الذى عزل نفسه من القسمة اختيارا لتزايد المرض عليه » (١٤٠)

و « سعد بن حسن الرومى الحنفى الذى تولى عوضا عن مولانا أفندى درويش لارادته السفر الى الديار الرومية » (١٤١) .

ووجد بجانب القسام العربى الحنفى نواب من المذاهب الأخرى يخضعون لرئاسته وذلك كعادة المحاكم فى تلك الآونة من وجود قضاة على المذاهب الأربعة حتى يلجأ اليهم أتباع مذاهبهم ، وكان العمل يستمر طوال أيام الأسبوع بما فيه يوم الجمعة بلا عطلة حتى لا يتم تعطيل أعمال الناس .

ويلاحظ أن قائم مقام قاضى عسكر كان يتولى القيام بأعمال القسم العربية لحين حضور قاضى عسكر (١٤٢) الذى يعين قساما بعد عزل القسام المعين من قبل القاضى السابق وفى النادر كان يبقيه فى عمله ويرسل اليه تذكرة بذلك .

وقد تولى قاضى عسكر القيام بأعمال القسام العربى . إضافة الى أعماله القضائية وأول حالة تقابلنا فى الوثائق عندما تولى « عثمان أحمد أفندى قاضى القضاة أعمال القسام العربى فى رمضان ١١٣٥ هـ يونية ١٧٢٣م » (١٤٣) وتنص الوثائق أنه « بمحكمة القسم العربية بمصر المحمية لدى متوليها سيدنا قاضى القضاة بمصر المحمية » (١٤٤) ولكن ابتداء من عام ١١٨٢ هـ ١٧٦٨م تولى قاضى القضاة القيام بأعمال القسام العربى بصفة مستمرة حتى الفترة نهاية الدراسة . وأصبح لقبه الناظر فى الأحكام الشرعية وأمور القسم العربية ، وربما يكون السبب فى ذلك قلة ورود القضاة من استانبول فى هذه الفترة فأراد قاضى عسكر أن يسيطر على المناصب القضائية المهمة التى تدر دخلا كبيرا ويجمعها فى شخصه .

مقر القسم العربى :

وكان مقر القسم العربى فى المدرسة الكاملية (١٤٥) وهذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية انشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن ايوب بن شادى بن مروان فى سنة اثنتين وعشرين وستماية وهى ثانية دار عملت للحديث فان أول من بنى دارا للحديث الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق . ثم بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم الفقهاء الشافعية وكان موضع المدرسة سوقا للرقيق ودارا تعرف بابن كستول (١٤٦) .

ويبدو أن هذا المقر لم يكن ثابتا فقد أصدر قاضى عسكر مصطفى أفندى أمرا الى القسم العربى يحىى أفندى فى غرة محرم ١١٣٧ هـ ٢١ سبتمبر ١٧٢٤م . بأن يجلس مع كتبتة باودة الخياط المجاور لباب الدخول لحوش منزل شيخ الاسلام لتعاطى القسمة العربية والنظر فى ضبط الموارد لاربابها وسماع الدعاوى المتعلقة بالقسمة العربية (١٤٧) .

مدة عمل القسم العربى :

تميزت مدة القسم العربى بالقصر وفى الغالب تتراوح ما بين شهر وأربعة شهور . وكان يتم تعيين القسم بصورة دورية ومستمرة ، ففي عام ٩٨٨ هـ ١٥٨٠م تولى خمسة من القسامين العرب وبلا شك كان ذلك يؤثر على العمل القضائى فى محكمة القسمة العربية كنتيجة للتغيرات السريعة فى منصب القسم العربى .

كما وجد من تولى منصب القسم العربى عدة مرات مثل
« أحمد أفندى بن جلبى » الذى تولى أمور القسمة مرتين و « جمال
الدين عبد الله بن محمود الرومى » .

وربما يرجع السبب فى قصر مدة القسم العربى مقارنة
بالقسم العسكرى هو أن قاضى عسكر مصر هو الذى يعين القسم
العربى أما القسم العسكرى فيعين من قاضى عسكر الأناضول
وكان بعد المكان سببا فى ذلك أيضا (١٤٨) .

الاختصاص الفئوى للقسم العربى :

اختص القسم العربى بالنظر فى قضايا الرعايا وعامة
الفلاحين الذين لم ينتسبوا للعلماء والأشراف وجهة الديوان
والأوجاقات وأهل الذمة من النصارى واليهود الذين يبدو أن عمل
القسم كان منصبا عليهم حتى قيل ان محكمة القسمة العربية
خصصت لأهل الذمة فى العصر العثمانى (١٤٩) .

وأتسعت أعمال القسم العسكرى بمرور الوقت على حساب
القسم العربى وذلك لصدور مرسوم من قاضى عسكر بأن ينسب
الرعايا وعامة الفلاحين من الذكور المسلمين من الأدنى للأعلى
للقسمة العسكرية وبقي اختصاص القسم العربى بالنظر فى الأمور
المتعلقة بالنساء المسلمات جميعهن من الأدنى للأعلى وكذلك أهل
الذمة رجالا ونساء من الأدنى للأعلى (١٥٠) .

الاختصاص القضائى النوعى للقسم العربى :

اختص القسم العربى بالنظر فى القضايا ذات الاختصاص
النوعى وهى :

١ - قسمة المواريث بين أهل العرب من المسلمين والنصارى واليهود .

٢ - التصادقات والاشهادات .

٣ - الوصايات على الأيتام .

٤ - الكتابة على القاصر وما يتعلق به من بيع وشراء وغيره .

٥ - الكتابة على المريض من اشهادات وغيره (١٥١) .

ويبدو أن اختصاصات القسم العربى قد تعرضت للاعتداء من قبل قضاة محاكم الأخطاط لذا كان قاضى عسكر يصدر التحذيرات لهم من تعاطى هذه الأمور وتهديدهم بالعزل والعقاب وفى أحيان أخرى كان القسم العربى يخاطبهم طالبا منهم ألا ينظروا فى القضايا المتعلقة باختصاصه ان وردت عليهم ويردوها اليه (١٥٢) .

وفى حالة الوفاة كان القسم العربى ينزل بنفسه الى دار المتوفى أو حانوته لضبط المخلفات ، فقد توجه القسم العربى الى بيت سكن المرحوم أحمد بن مرعى الأمواسى النكاين بالربع الذى بخط الراكن الملحق وفتح الصندوق الذى كان مختوما بختم الحاكم المشار اليه وضبط ما فيه من مخلفات المتوفى المذكور (١٥٣) .

واذا ما خالط القسم شك فى سبب الوفاة بأنها جنائية كان يتوجه للتحقيق فى سبب الوفاة على الفور ، وضبط المخلفات وحوزها وتقسيمها بين الورثة ، فقد توجه الى حمام الصاغة الكاينة بين القصرين للكشف عن سنان بن عبد الله الرومى المتوفى بالحمام المذكور وذكر المعلمين بالحمام بأن سنان المذكور مات

بقضا الله وقدره ، ثم ذكر جميع المخلفات الخاصة بسننان المذكور (١٥٤) .

ومن أهم الاختصاصات المنوطة بالقسام العربى قسمة التركات « فعندما توفى خليل بن نصير النصرانى الملكى الطورى وانحصر ارثه الشرعى فى زوجته عمايم بنت اسحاق وأولاده منها خليل وبدر الدجى المرأة زوجة بركات وستيله البكر البالغ وتاج المراهقة من غير شريك ولا حاجب فتم حصر جميع مخلفات المتوفى وديونه وحساب المصاريف التى أنفقت فى تجهيزه ورسم القسمة والديون التى على المتوفى وبعد ذلك قسمت التركة بالفريضة الشرعية كل حسب نصيبه » (١٥٥) .

وعندما توفى « الحاج محمد بن الحاج حسن الصعيدي وانحصر ارثه فى زوجته الحرمة شعبانية ووالده الحاج حسن من غير شريك ولا مانع فتم ضبط ما وجد للمتوفى المذكور بطاحون سكنه ببولاق وقوم ذلك بمعرفة أهل الخبرة بمبلغ ٣٥٠٠ نصف فضة وأضيف الى ذلك ما وجد بالطاحون ٤٨١ نصف يكون جميع ذلك ٣٩٨١ نصف وضع من ذلك فى التجهيز والتكفين وكافة المصاريف ١٩١٤ نصفاً ، فتصبح حصة شعبانية بحق الربع من قبل زوجها ٤٧٨ نصفاً وحصة الحاج حسن الأب من قبل ولده ١٤٣٥ نصف فضة (١٥٦) .

. وبذلك فقد كان القسام العربى يقوم بتحديد الورثة طبقاً لما وضعه الفقهاء المسلمون .

ولقد تعرض أهل الذمة لبعض المظالم نتيجة لطمع فى الجوالى (١٥٧) فصدرت الأوامر من الباشا برفع ذلك الظلم وبأن

يغسل المتوفى من أهل الذمة ويكفن ، وبعد ذلك تحضر جماعة القسام ويضبطون التركة ثم يقسمونها بين الورثة بالفريضة الشرعية (١٥٨) وفي الحالات التي يكون بيت المال فيها هو الوارث يحضر مندوب عنه ويقوم بضبط وبيع المخلفات بعد الاذن من القسام العربي (١٥٩) .

وينظر القسام العربي في حالات النزاع حول الميراث ويقوم بالتحقيق في سبب الخلافات وعندما يثبت الحق لأحد الأطراف يمنع الطرف الآخر من معارضته ويعطيه حقه (١٦٠) .

ويبدو من الوثائق أنه بعد نظر النزاع كانت تعطى حجة بالمنع لطرف صاحب الحق يستخدمها كدليل في يد صاحبها في حالة اذا ما تجدد النزاع مرة أخرى واستخدمها في كافة المحاكم وتقابل بكل التبجيل والاحترام ، وكانت أدلة الاثبات المستخدمة في كافة المحاكم هي اليمين والشهادة . ويكلف القسام المدعى ببيان ما ادعاه فان عجز عن ذلك يمهل وفي حالة مرور المهلة ولم يستطع الاتيان ببينة تسقط الدعوى ، ويعطى القسام العربي للمدعى عليه حجة بعدم جواز تعرض المدعى له في الأمر موضع الدعوى .

كما اختص القسام العربي بتعيين الوصى للانظر فيما آل الى الأيتام من مال وينظر في مصالحهم ويتصرف لهم وعليهم بالبيع والشراء وسائر التصرفات الشرعية وأن يفعل بالأوصياء ما يجوز فعله شرعا الى حين بلوغهم رشدا (١٦١) .

ولا يقتصر عمل القسام على مجرد الوصاية بل يقوم بتقرير النفقة اللازمة للموصى عليه ، فقد قرر لنفقة القاصرة ابنة المرحوم درويش التاجر بسوق الشرب كان عن طعام ولوازم شرعية خلا

الكسوة عن كل يوم من الفضة السليمانية معاملة تاريخه نصف واحد وأذن القسام للوصية عليها بصرف ذلك من مالها الآيل اليها بالارث الشرعى من قبل والدها «(١٦٢) ثم بعد ذلك يقوم القسام العربى بمحاسبة الأوصياء عما أنفقوا على القصر وعما آل اليهم من مال سواء من تجارة أو زراعة ويقدم الوصى الحجج الشرعية الشهادة له بصديق ما أنفقه وما آل اليه من أموال(١٦٣) وعند بلوغ القاصر سن الرشد يتسلم التركة من الوصى عليه ويقر أمام القسام العربى بخلو يد الوصى المذكور وبراءة ذمته من جميع ما دخل تحت يده(١٦٤) .

واختص القسام العربى بتعيين القيم ، فقد أقام الحاج سليمان بن أيوب قيما شرعيا على ولد عمه أحمد الغايب بطرابلس الغرب ليضبط ويحرر ويقبض ما هو للغايب المذكور بالارث الشرعى من قبل أخيه على بن المرحوم ابراهيم المغربى المتوفى قبل تاريخه ويبقيه تحت يده الى حين وصول ذلك اليه بالطريق الشرعى(١٦٥) .

وبين يدى القسام العربى كانت تجرى الاشهادات الشرعية : فبين يديه أشهد على نفسه المعلم على أبى الصباغ شهادة الاشهاد الشرعى وهو بحالة الصحة والسلامة والطواعية أن فى ذمته بحق صحيح شرعى للمسمى محمد بن هاشم من الذهب السلطاني ٦ دنانير على الحلول فصدق على ذلك المعلم على أبى العذب المذكور التصديق الشرعى(١٦٦) .

وكانت تجرى بين يدى القسام العربى التصادقات . « فقد تصادق المعلم يوسف بن داود بن بهنا النصرانى الرومى الأرمنى الخمار بخط قناطر السباع الوصى الشرعى على أيتام الهالك

سنان بن بهنا النصراني هن بهنا وروم وخاتون على أن الذي ترتب
بذمة مراد المذكور لبهنا وخاتون وروم ما جملته من الذهب
السلطاني الجديد مائة دينار واحدة وثمانية وأربعون دينارا وربع
دينار «(١٦٧)» .

واختص القسم العربي بالكتابة على المريض (١٦٨) وكذلك
توثيق عقود الشراء (١٦٩) والعقود (١٧٠) وتوثيق أمامه هذه
التصرفات وينظر فيها طبقا للشريعة الإسلامية أيا كانت ديانة
المتقاضين .

وكان من حق الناس أن يتقدموا بقضاياهم مباشرة الى
القسم العربي للاظر فيها ، ولا ينزل القسم الى ضبط التركية
الا باستدعاء أما لو كان فيها قاصر فيقوم بضبط التركية وتعيين
الأوصياء عليهم . وكانت بعض القضايا تحول الى القسم العربي
ببيور لدى (١٧١) من الباشا وبعضها يحول اليه عن طريق قاضي
العسكر (١٧٢) .

وبذلك يتضح أن القسم العربي اختص بقضايا ذات
اختصاص نوعي وفي نفس الوقت فقد كان له اختصاص فتوى ،
وانحصر الاختصاص المكاني للقسم العربي في القاهرة وتابعيتها
بولاى ومصر القديمة ، وكان له أجر معين لآيتعداءه ، وهو في
أحكامه وتوثيقه للامور كان يراعى القواعد الشرعية المعمول بها .

قضاة الاخطاط (١٧٣) فى القاهرة

تعيين قضاة الاخطاط (١٧٤) :

انتشرت المحاكم فى القاهرة فى العصر العثمانى وخصصت لها أماكن خاصة بها ولم يكن ذلك معروفا من قبل فى العصر المملوكى . وكان لقضاة محاكم أخطاط القاهرة مكانة كبرى فى ذلك الوقت ، فقد قسمت المراتب القضائية الى ست درجات اعلاها هى محاكم مصر المحروسة وتابعتها بولاق ومصر القديمة ، وكان القضاة لا يتوصلون الى هذه الرتبة الا بعد المرور فى الرتب الأقل منها والترقى والوصول اليها (١٧٥) .

وربما كان الهدف من هذا التقسيم هو ضمان ازدياد خبرة القاضى بالأمور الشرعية وتمرسه على الحكم فى الأمور القضائية حيث نجد أنهم طبقا لهذه المراتب أصبح القاضى لا يصل الى منصب القضاء فى محاكم الأخطاط بالقاهرة إلا بعد مروره بخمس مراتب أدنى من محاكم القاهرة (١٧٦) .

وقد اعتبر قضاة الأخطاط فى القاهرة نوابا لقاضى عسكر مصر وهو الذى يصدر قرارات تعيينهم وعزلهم من مناصبهم وتسجل فى السجلات بداية عمل القاضى كالاتى ٠٠٠٠ من حضرة سيدنا ومولانا ٠٠٠ الناظر فى الأحكام الشرعية قاضى القضاة ٠٠ خطابا لفخر الأشراف المكرمين السيد الشريف يوسف أننا أذناكم وأقمناك نايبا حنفيا بمحكمة الصالحية النجمية بمصر لتتعاطى الأحكام الشرعية وامضاء التمسكات وسماع الدعاوى على مذهب الامام أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه من تاريخه أدناه وعليك فى ذلك بتقوى الله العظيم وطاعته فانه من سلك طريق الحق نجا

ومن يثق الله يجعل له مخرجا . تحريرا فى ١٠ ذى القعدة الحرام
سنة ١١٧١ هـ ١٧ يولية ١٧٥٨ م » .

وكان قضاة الأخطاط يجمعون العمل فى أكثر من محكمة فى وقت واحد مثل « مصطفى أفندى نايب الباب العالى ونايب محكمة باب الشعرية » (١٧٧) و « السيد الشريف عبد الله أفندى القاضى بالمنصورة مؤقتا نايبا حنفيا بمحكمة بولاق » (١٧٨) و « فيض الله عفيف أفندى الذى تولى نايبا حنفيا فى محكمة الصالحية النجمية ومحكمة باب الشعرية ومحكمة جامع الزاهد ومحكمة جامع الصالح بخط باب زويلة ومحكمة طولون ومحكمة قناطر السباع بمصر المحروسة ومحكمة مصر القديمة » (١٧٩) و « محمد أمين أفندى نايبا حنفيا بمحكمة الصالحية النجمية ومحكمة باب الجامع الحاكمى ومحكمة باب الجامع القوصونى ومحكمة باب الجامع الطولونى ومحكمة قناطر السباع ومحكمة مصر القديمة » (١٨٠) و « عارف منلا زاده أفندى نايبا حنفيا بمحكمة الصالحية النجمية ومحكمة جامع الصالح بباب زويلة ومحكمة الجامع القوصونى ومحكمة قناطر السباع كل منها بمصر المحروسة » (١٨١) .

وما لاشك فيه أن الجمع بين هذه الأعمال القضائية فى وقت واحد كان يؤدى الى خلل فى الأعمال القضائية واجراءات التقاضى لأنه لا يعقل أن يتولى قاض واحد العمل فى سبع محاكم فى وقت واحد وأدى ذلك بالتالى الى ازدياد سلطة الكتاب والباش كتبة فى نظر الدعاوى القضائية وأعمال المحاكم نظرا لأنشغال القاضى فى أعمال المحاكم المختلفة وفى الحقيقة لم يكن ذلك بصفة مستمرة وإن ظهرت بصورة واضحة فى القرن الثامن عشر .

وكان قائم مقام قاضى عسكر يرسل الى المحاكم قبل وصول شيخ الاسلام يعلمهم بقدوم قاضى عسكر مصر الى الاسكندرية

وبقاء الذواب الحنفية في مناصبهم لحين وصوله (١٨٢) وعذ قدومه كان يقوم بتغيير قضاة الأخطاط ويولى آخرين من طرفه أو يقيهم .

وكان يوجد بكل محكمة من محاكم الأخطاط ثلاثة من القضاة على المذاهب الأخرى بجانب القاضى الحنفى حتى يلجأ اليهم اتباع مذاهبهم وكان قاضى عسكر هو الذى يعينهم وكانوا فى الغالب الأعم طوال فترة الحكم العثمانى يختارون من بين العلماء المصريين ، وكانت تقيد قرارات تعيينهم فى السجلات . وهى تصدر من قاضى عسكر مصر (١٨٣) .

وأحيانا كان يعين القضاة فى المحاكم بناء على طلب الكتاب والعاملين بالمحكمة وفى هذه الحالة ينص مرسوم تعيينهم « على عفته وفضيلته وحسن سيرته » (١٨٤) ويتعرض الذواب للعزل اذا ما بدت منهم أمور مخالفة مثلما حدث عندما عزل الشيخ « محمد الشرنوبى المالكى من الريادة والقضا من محكمة جامع الحاكم ومن غيرها لأمر ظهرت منه غير لايقة ومن الآن لا أحد يجالس السيد أحمد المذكور ولا يرافقه ولا يكاتبه » (١٨٥) .

وتمتع القاضى الحنفى برئاسة المحكمة فيذكر قاضى عسكر فى أحد مراسيمه « انا لا نعرف اصلاح كل محكمة الا من نايبها الحنفى فانه قايم بمقامنا فيها وأمرها منوط بسه » (١٨٦) وكان الشهود لا يتوجهون لقضاء المصالح خارج المحكمة ، الا بعد الاذن من القاضى الحنفى (١٨٧) كما كان أمر الموظفين فى المحكمة مفوضا لنايب الحنفى فكل من اعتقد فيه اصلاح من الشهود والخدم أبقاه بها واكل من يراه على غير ذلك طرده عنها (١٨٨) وان عجز عن تأديب المخالف وعقابه يرفع ذلك لقاضى العسكر ليعاقبه بما يستحق من

الزجر والتأديب * وبذلك يتضح أن رئاسة المحكمة كانت منوطـة بالقاضي الحنفى وهو المسئول عن موظفيها من الكتاب والشهود *

وبالرغم من وجود أماكن محددة للمحاكم فقد يمكن أن يأذن قاضى عسكر لأحد القضاة بالجلوس فى زاوية أو غيرها لنظر القضايا لتسهيل أمور المتقاضين ، فقد اذن قاضى العسكر لقاضى قناطر السباع بالجلوس فى زاوية عبد الجواد رأس نوبة للنظر فى الأحكام الشرعية بين البرية (١٨٩) *

وغالبا ما كان يحدث خلاف بين أئمة الباشوات وقضاة العسكر على أحقية كل منهما فى نيابة محكمة الصالحية النجمية ، وربما كان الخلاف على هذه المحكمة بالذات بسبب أنها من كبريات المحاكم فى تلك الآونة وتنافسها على إيرادها العالى ، ولم يكن هذا النزاع فى صف الأئمة دائما فقد نجح علمى أحمد أفندى قاضى عسكر مصر فى انتزاع نيابة الصالحية من امام الوزير أبى بكر باشا وينصح علمى أفندى قضاة العسكر القادمين بعده بالآيوجهوا للأئمة نيابة المحكمة المذكورة لما فيه من راحة المسلمين وذلك لأن الأئمة كانوا يستندون الى الباشوات يتشبه بهم أرباب التزويرات فيظهرون الفساد ويضرون المسلمين (١٩٠) *

ويبدو أن هذا المنع لم يستمر طويلا لأن قاضى عسكر مصر محمد سعيد أفندى أرسل خطابا لنائبه فى المحكمة - الصالحية النجمية - وهو عبد الله أفندى النائب الحنفى بها يأمره بدفع المحصول حكم المعتاد لامامى حضرة قايمقام الحاج محمد بك مير اللوا بمصر هما فخر السادة الأشراف المكرمين السيد الشريف مصطفى أفندى ورفيقه الشيخ أحمد أفندى على وجه الاشتراك فى كل شهر والحذر من المخالفة (١٩١) *

ووجدت المسئولية الجماعية للعاملين فى المحكمة عن أعمالها فعندما يخطئ أحدهم يجب أن يمنعوا ولا تعرضوا للعقاب ، فيذكر قاضى عسكر « أنه ان لم يمنع أهل المحكمة المخطئ منهم لتحصل عليهم مالم يكن فى حسابهم ومالا يستدركون فارطه » (١٩٢) .

الولاية المحلية لقضاة الأخطاء : (١٩٣) .

وقد وزعت المحاكم فى القاهرة توزيعا عادلا من الناحية الجغرافية ، فأدى ذلك الى سهولة اجراءات التقاضى وكثرة لجوء الناس الى المحاكم فى اخص وأدق أمورهم اليومية لقربها منهم (١٩٤) .

ولكن يتبادر الى الذهن سؤال عن الولاية المحلية لهذه المحاكم وهل كانت كل محكمة خاصة بالحى التى توجد فيه ؟

ان الأوامر الصادرة من قاضى عسكر الى قضاة الأخطاء تؤكد وجود الاختصاص المحلى لأعمال المحاكم وعدم الكتابة من حى الى حى وتلزم الكتاب فى المحكمة بالألا يمضوا أو يختموا المواد الشرعية من محكمة غير التى يعملون بها (١٩٥) وتتعهد الكتاب الذى يفعل ذلك بالمطرد وتوقيع العقاب عليه وأن لا أحد من كتبة المحاكم يتعاطى كتابه من حى الى حى وأنه اذا وردت على أى ريس كان بمحكمة من المحاكم حجة من كاتب من غير كتبة محكمته الجالس بها فلا يمضيها ويردها له (١٩٦) . وزيادة فى التأكيد منع القضاة من امضاء الشهادات من خارج محاكمهم وكل نايب سمع شهادة شاهدين من غير شهود مجلسه بقضية ما وأمضى له حجة بغير خط شهود محكمته وشهادتهم كان معزولا (١٩٧) .

وعلى الرغم من هذه الأوامر فانها من الناحية الفعلية لم تنفذ تماما فقد كانت محاكم أخطاء القاهرة تنظر وتوثق القضايا

التي ترد اليها والتصرفات المختلفة ممن يلجأ اليهم ضاربين عرض الحائط بالأوامر السابقة بغض النظر عن أماكن إقامة المتداعين وبذلك نجد أنه لم يكن لحل إقامة المتقاضين أثر في تحديد أى المحاكم تختص بالفصل والتوثيق فيظهر من الوثائق العديد من الأمثلة على صحة ما نقول ، ففي محكمة الصالحية النجمية « استأجر الحاج أحمد المعروف بمس الوكالة الكاينة ببولاق القاهرة بحارة المقدم طعيمة بخط المواز » (١٩٨) وفيها أيضا « حضر الى المجلس الشرعى المشار اليه المكرم الأستى محمد الخياط بوكالة الخياطين بالغورية » (١٩٩) وكذلك « أقر محمد بن يحيى الشهير بابن الترجمانى الدميلى الحلوانى القاطن ببولاق اقرارا شرعيا ٠٠٠ » (٢٠٠) وبها أيضا « أشتريت الحرمة فاطمة بنت أحمد كوسه من بايعها شقيقها الأمثل الأستى محمد المدعو السفراوى الحلاق ببولاق جميع الحصة ٠٠٠٠ من كامل المكان الكاين ببولاق بحارة النقلي » (٢٠١) .

ولم يكن الأمر مقصورا على أهالى القاهرة بل كان يلجأ اليها الكثير من سكان الأقاليم مثل « لدى الحنفى أشهد على نفسه الشيخ منصور الرفاعى من أهالى ناحية منية حسان بولاية الشرقية » (٢٠٢) و « أشهد على نفسه شيخ العرب هيكى بن بدلان شيخ ناحية كفر جمره بالقليوبية » (٢٠٣) وكذلك « أشهد على نفسه الحاج منصور بن المرحوم نصار شيخ ناحية سسنديون بولاية القليوبية » (٢٠٤) بذلك نجد أن القضاة ينظرون ما يعرض عليهم من قضايا أفراد خارج دائرة محاكمهم ويتلشى بذلك ما يعرف بالاختصاص المحلى للمحاكم فى هذه الآونة رغم قرارات قاضى عسكر التى تلزم بذلك .

الضعيف أو الشخص العادي ضد الأمير أو لصالح امرأة ضد زوجها . وكان ذلك بالأخص الدافع للأشخاص العاديين للجوء الى المحاكم في كثير من الاحوال بلا تردد (٢٠٩) .

ويلاحظ أن اختصاصات القضاة كانت منظمة منذ بداية العصر العثماني وكان لكل قاض اختصاصات خاصة به مثل القسم العسكري والقسم العربي وقاضي العسكر ، حيث كان قضاة الأخطاء يستأذنون من قاضي العسكر في نظر القضايا التي كانت خاصة به مثل الحكم على الغائب والاستبدال وغيره (٢١٠) .

وهناك قرارات يصدرها قاضي عسكر الى قضاة الأخطاء بعدم النظر في بعض التصرفات الخاصة عندما يكون هناك نزاعات - وهي مثل القرارات التحفظية في الوقت الحالي - مثل عدم بيع مكان كاين بالجامع الأزهر لأن عليه نزاعا (٢١١) وعدم كتابة المبايعة الخاصة بحانوت في خان الخليلي والمكان بحارة برجوان تعلق ورثة الحاج علي لاشين لحدوث نزاع بين الورثة (٢١٢) وعدم كتابة التواجد في المكان المعروف بالبנוفرى الكاين بالمديدار بخط الأزهر (٢١٣) وعدم كتابة الاجارة المتعلقة بالأمير محمد بن بغداد (٢١٤) وكان هذا الايقاف حتى يتم فصل النزاع في هذه القضايا .

أما عن كيفية سير العمل في محاكم الأخطاء فقد كانت القضايا تمضى وتختتم كل ثلاثة أيام من قاضى عسكر (٢١٥) وإذا تأخرت عن ذلك لا تمضى ولا تقيد بتاريخين (٢١٦) وكانت هذه التمسكات الشرعية تدفع الى باشكاتب التقارير ليمضيها من قاضى عسكر (٢١٧) وكانت سجلات محاكم الأخطاء تخضع للتفتيش من قبل موظف خاص تابع لقاضى عسكر حتى يتأكد من خلوها من

الاختصاصات القضائية لقضاة الأخطاء :

اختص قضاة الأخطاء بالنظر فى القضايا التى تخرج عن الاختصاص النوعى لقاضى عسكر والقسام العسكرى وكذلك القسام العربى وهى بذلك الزواج والبيع والشراء .

ولكن كان من حق قضاة الأخطاء أن ينظروا فى الأمور الخاصة بقاضى عسكر بعد استئذانه أو فى حالة توجيهها اليهم من قاضى عسكر نفسه مثل « لدى سيدنا الحاكم الحنفى بعد الاذن الكريم من حضرة سيدنا أعظم قضاة الاسلام ... الناظر فى الأحكام الشرعية بالديار المصرية لنايبه المشار اليه فى فعل ما سيذكر فيه ... وامتثل النايب أمر مستنبيه المشار اليه » (٢٠٥) .

وفى حالة الدعوى على أحد سكان الحى الموجود به المحكمة فى الديوان كان الباشا يرسل بيورلدى الى قاضى الحى ومحافظ الأمن فيه الى منزل المدعى عليه والختم عليه وضبط وتسمير الأبواب الى حين حضوره والدعوى عليه بالديوان « (٢٠٦) » .

ويعطى قاضى العسكر الى قضاة الأخطاء فى القاهرة الأوامر بتنظيم أعمالهم ، فقد أرسل اليهم فى ١٦ ربيع الآخر ١١٢١ هـ ٢٦ يونية ١٧٠٩ م « بعدم تعاطى عقد الأنكحة الا بعد التأمل والاحتياط الكلى والنظر فى الكفاءة والولاء ومهر المثل عند عقد الصغيرة وتوافر الشروط الشرعية والتحذير من الخلل بها » (٢٠٧)

كما أمر قاضى العسكر قضاة الأخطاء « بعدم كتابة التواجر فى الأبنية الا بعد الكشف بمعرفة الشرع الشريف وثبوت تخرب العين التى يصدر فيها التواجر » (٢٠٨) .

ومع أن السلطة التى يتمتع بها البعض كانت تضعهم فوق القانون فان تحليل القضايا يبين أن المحكمة كثيرا ما تحكم لصالح

القضايا المنوع تعاطيهم اياها (٢١٨) وكان من حق قاضى عسكر
أن يطلب احضار هذه السجلات له فى أى وقت (٢١٩) وتحفظ هذه
السجلات فى الخزانة الخاصة بالباب العالى تحت مسئولية موظف
خاص بقاء وحفظ السجلات حتى يسهل استخراجها بسهولة (٢٢٠) .

وتقابلنا فى سجلات محكمة الباب العالى قضايا صادرة عن
محاكم الأخطاء ولكنها مقيدة بهذه السجلات وتفسير ذلك أن
سجلات محكمة الباب العالى أكثر حفظا ونظاما وأضبط من محاكم
الأخطاء وبعيدة عن التلاعب فيها (٢٢١) .

ومن حق الناس استخراج صور من المستندات الخاصة
بقضاياهم حتى تكون مستندا فى أيديهم وعندما تتعرض بعض هذه
السجلات للحرق مثلما حدث فى سجل الصالحية النجمية عام
١١٥٩ هـ ١٧٤٦ م فصدر أمر من قاضى العسكر بأن من يأتى من
الناس لطلب حجة كانت مقيدة بالسجل المحروق فإن باشكاتب
المحكمة يأتى بها الباب العالى ويعرضها على النائب ويعمل الصح
عليها وتقيد بهذا السجل (٢٢٢) .

وبحكم رئاسة قاضى العسكر كان يرسل الى قضاة الأخطاء
يوصيهم بالرفق بالمرعية ورحمة الفقراء وعدم الالتفات الى العرض
الفانى والمشى بالانصاف وعدم الاجحاف واجتناب ما فيه الضرر
على الناس (٢٢٣) فان المقصد والغاية هو النظر فى مصالح
المسلمين وأمور الرعايا على الوجه القويم والنهج المستقيم مع غاية
الشفقة عليهم والنظر بعين الرحمة والرافة اليهم (٢٢٤) كما يطلب
منهم اجراء الشرع على النهج المستقيم والنظر فى أمور الرعية
والتحرى فى القضايا الدينية وملاطفة الفقراء فان المقصد النهائى
هو الرفق بالمسلمين استجلابا لمصالح دعواتهم (٢٢٥) .

يتضح من هذا مدى حرص قاضى العسكر بصافته رئيس
الهيئة القضائية فى القاهرة آنذاك ، على الرفق بامور المتقاضين
وعدم الاجحاف بهم . وانطلاقا من هذا الحرص على مصالح
الناس وسهولة اجراءات التقاضى كان قاضى عسكر يوقع العقاب
على أى مخطيء من العاملين بهذه المحاكم اذا ما شكك منه
الناس (٢٢٦) وكذا كان يحذر من الحيل التى يلجأ اليها بعض
المتقاضين مثلما يحدث عندما تكون لخصمين دعوى شرعية
بديون ومعاملات ونحو ذلك فيبادر أحدهما ويدعى على الآخر بما
يوجب التغريم أو نحوه دفعا للخصومة المالية لذا صدر الأمر
بالألا ينظر الى الدعاوى الموجبة للتعزير قبل تمام الدعوى المالية
وبعد ذلك ينظر فى الدعوى الموجبة للتعزير (٢٢٧) .

وعندما شكك الناس من الشهود لأنهم يكتبون القضايا
بالسجلات ولا يكتبون رسم شهادتهم أدناها وفى هذا ضياع لأموال
المسلمين عندما يقع التنازع فيها مرة أخرى فلا يجدون شاهدا
يشهد بها ، لذا فقد أمر قاضى العسكر بعدم حدوث ذلك بل تهديده
النواب بالعزل فى مثل هذه الحالات (٢٢٨) .

وبذلك فقد كان قضاة محاكم القاهرة يخضعون لمراقبة شديدة
هم والعاملون معهم من شهود وكتاب من قاضى العسكر بغية
تسهيل اجراءات التقاضى وكان لهذا وقع على الناس الذين كانوا
يلجأون اليها فيجدون فيها بغيتهم وهذا ما يفسر لنا أن الناس كانوا
يلجأون الى القضاة فى أدق الأمور اليومية .

كذلك دفعت المراقبة الشديدة من قاضى العسكر لقضاة
الأخطاط الى نزاهة القضاة فى هذه الآونة فلم يكن هناك أحد فوق
قانون الشريعة الذى يحكم به ، ولم تكن مناصب المتقاضين ذات

أثر على طبيعة الحكم فكثيرا ما حكم لصالح فرد من الرعية ضد
آخر من الطبقة الحاكمة .

ولم يكن قضاء الأخطاء يحصلون على نسبة أعلى مما حدد
لهم من رسوم القضايا المختلفة التي حددت بمراسيم من قاضى
العسكر .

كان قضاء الأخطاء فى معظم فترات الحكم العثمانى - ولاسيما
فى القرنين السابع عشر والثامن عشر - من العلماء المصريين بعد
أن قل ورود القضاء من استانبول ولهذا كان القضاء من خريجى
الجامع الأزهر . بعد أن كانوا فى بداية الفتح من الأتراك .

الاختصاصات القضائية للباشا العثمانى :

كان القضاء منذ صدر الإسلام جزءا من الولاية العامة
للخليفة وكان من حق صاحب هذه الولاية أن يخص القاضى ببعض
أنواع القضايا دون غيرها ، ولذا فإن عمر بن الخطاب حينما فصل
القضاء عن الولاية جعل القضاء مقصورا على فصل الخصومات
المالية ، أما الجنايات وما يتعلق منها بالقصاص أو بالحدود فإنها
بقيت فى أيدي الخلفاء وولاة الأمصار (٢٢٩) .

وفى مصر فى العهد العثمانى كان الباشا يجلس فى الديوان
وبجانبه قاضى العسكر للنظر فى الخصومات التى تعرض عليه
وكان هذا امتدادا لاختصاصه القضائى فى النظر فى الأموال
والدماء ، وكذلك امتدادا للتقليد العثمانى الذى كان يجعل السلطان
ثم من بعده الصدر الأعظم يجلس فى الديوان للمحاكمات بين الناس
وبجانبه أحد قضاة العسكر ، ويعتبر هذا التقليد فى حقيقته
امتدادا لقضاء المظالم فى العهد الإسلامى .

ومنذ بداية العصر العثماني وفي عهد الحاكم الأول خاير بك كان يجلس للمحاكمات « ويجهر النداء في القاهرة بأن كل من ظلم أو قهر عليه بباب ملك الأمراء » (٢٣٠) وكان هذا قبل صدور قانون نامة مصر الذي صدر بعد ذلك في عصر السلطان سليمان والذي قنن حكم الباشا في أمور خاصة لايتعداها مثل الدماء والخراج كالتقليد الاسلامي تماما .

فعلى الرغم من أن قانون نامه « منع الوالى من فصل الخصومات ما لم يكن ذلك بمعرفة القاضي والا يقدم على تنفيذ عمل دون علم القاضي ومن يصير على مخالفة ذلك بعد هذا التنبيه يعزل » (٢٣١) .

ولكن قانون نامه أعطاه الحق في معاقبة ناظر الأموال في حالة اختلاسه الأموال السلطانية (٢٣٢) وفي حالة التقصير من جانب الكشاف في الأموال السلطانية أو عدم تجهيز الأرض للزراعة أو خراب القرى من أثر الظلم يعطيه القانون الحق في الحكم عليه بأشد العقوبات وهي الاعدام (٢٣٣) وهذا يدلنا على أن قانون نامه أعطى صلاحيات قضائية للباشا في أمر الخراج ، بل أنه أعطاه الحق في معاقبة المذنب بأشد العقوبات « الاعدام » .

ووجد من الباشوات من عرف بتفحصه للأمور ومراجعتهم للاخصام المرات عديدة . ففي عهد أحمد باشا الدفتردار (ربيع الثانى ١٠٢٤ / صفر ١٠٢٧ هـ - مايو ١٦١٥ / يناير ١٦١٩ م) كان يفحص فى الأمور ويراجع الخصم المرات العديدة فاذا رأى ثباته حكم بما يراه من الحق . وكان يجلس فى أيام الديوان الكبير الى ما بعد الظهر ومع ذلك يعمل ديوان العصر فى مقعد قايتباى ويقف اصحاب الشكاوى أمامه فى آخر الديوان وكل منهم قصته فى يده

وأمامه شطر من الجاوشية يعرض الديوان ويطلقونهم واحدا بعد واحد . فيتفق كثيرا أذان المغرب قبل فراغ الناس فيأمر بانصرافهم وفى غد يحضرون (٢٣٤) ومما حمد به هذا الوزير أنه كان يجرى الأحكام على مقتضى الشريعة . ويعطى لكل صاحب حق حقه حتى لو كان خصمه أحد كبار الصناجق (٢٣٥) .

ومن الباشوات من كان ضعيف العلم بالشرع مما يؤدي الى وقوع اخطاء فى محاكماتهم من ذلك ما حدث فى عهد داود باشا الخادم (١٧ محرم ٩٤٥ / ربيع الأول ٩٥٦ هـ ١٦ يونيه ١٥٣٨ / ابريل ١٥٤٩ م) فقد حدث أن قتل صبي امرء من أولاد المتعممين وكان يتيم الأب رجلا فقتله ، فأمسكه أهل المقتول وعرضوه على الباشا فلما رآه أشفق عليه لأجل والدته فارضى الورثة بثلاثماية دينار دية المقتول ، ثم ان الوزير قال للغلام هل تحفظ القرآن ؟ فقال الغلام نعم فقال اقرأ ما تيسر ، فاستفتح الغلام بقوله تعالى « يا داود أنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » فقال الوزير صدق الله العظيم وأمر بقتل الغلام فقتلوه . وهذا خطأ شرعى بعد رضا الورثة بعدم القتل (٢٣٦) .

كما يظهر أن بعض الباشوات كان يلجأ قبل اتخاذ الحكم الى أخذ حجة على المتهم بما فعله أمام القاضى ثم يصدر هو الحكم . وعلى ذلك يكون القاضى هنا هو أداة التحقيق والباشا هو سلطة تنفيذ الأحكام واصدارها (٢٣٧) .

واشتهر بعض الباشوات بالتعصب فى أحكامهم وعدم التحرى عن القضايا المختلفة والقسوة فى اصدار الأحكام ، مثل محمود باشا (شوال ٩٧٣ هـ - جمادى الاول ٩٧٥ هـ / ابريل ١٥٦٦ - نوفمبر ١٥٦٧) فيذكر عنه « أنه اراق دماء كثيرة بحيث اذا وصل

اليه الصوباشى فى الديوان وعرض عليه من معه من المتهمين يشير اليه بمروحة فى يده الى الصليب أو التوسيط أو رمى الرقبة وغير ذلك من أنواع العذاب والقتل بإشارات خاصة من غير أن يتكلم بلسانه «(٢٣٨) .

كما كان بعض الباشوات يصدرن حججا بأحكامهم ، وأخذ بعضهم افتتاحيات خاصة بهم فى بداية الحجة مثل سليم باشا الخادم . فقد كان يأمر كتبة المراسيم بأن يكتبوا على الأحكام «أنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم تفلحون ، اجتهدوا فى دين الله واعملا بشرية الله» (٢٣٩) .

ونتيجة لأن معظم الحكام العثمانيين على مصر كانوا ينتمون لطبقة القبوقولاوى كانت تحدث خلافات بينهم وبين العلماء المصريين وذلك لعدم جواز اصدار الرقيق الأحكام . من ذلك ما حدث من خلاف بين الشيخ ابن عبد الحق وداود باشا فى عام ٩٥٠ هـ ١٥٤٣ م ، فقد اتهم الشيخ الباشا بأنه لا يجوز له اصدار الأحكام لأنه رقيق (٢٤٠) .

وعندما أرسل الباشا الى السلطان أرسل اليه السلطان أنه اعتقه . وأوصاه بالرعية وأن يعدل فى الأحكام ولا يقتل الا بعد التأكد من اقتراف الذنب (٢٤١) .

وكنتيجة لتداخل الاختصاصات القضائية بين الباشا وقاضى العسكر كانت تحدث الخلافات بينهما من ذلك ما حدث بين قاضى القضاة قاسم الكردى أفندى والباشا من خلاف حول سجن أحد الجند فقال الباشا للقاضى حكمك فى الطلاق والزواج والارث أما الدماء والخراج فمن حق الباشا (٢٤٢) .

وبهذا يتأكد لنا أن الاختصاصات الجنائية كانت هي والنزاع في أموال الخراج من اختصاص الباشا طبقا لحدود الولاية العامة التي يتمتع بها بحكم نيابته عن السلطان العثماني بوصفه سلطان المسلمين ، وقد قابلنا في الوثائق جرائم قتل وكانت سلطة القاضي فيها مقصورة على التحقيق فقط ، أما سلطة إصدار الأحكام فقد كانت مخولة للباشا وامتد هذا بالتالي الى حكام الكاشفيات في مصر .

فعندما « تقدمت السيدة الشريفة مكية زوجة السيد الشريف أحمد بن عطا الله وأنهت أن مرقوق زوجها بلال الأسود وضع السم لسيدة في الطعام فمات من أثر ذلك واعترف بلال المذكور بذلك طائعا مختارا من غير اكراه ولا اجبار » وذلك لأنه زوجه بجارية له وكان يطؤها بعد زواج بلال منها . فعند ذلك سلم العبد بلال الى الأمير على كتحدا ليخرج من حقه بالسياسة ليرتدع أمثاله (٢٤٣)

ولكن في القرن الثامن عشر وازاء الضعف في كل النظم العامة بسبب تعدى السلطة العسكرية اتسعت سلطاتهم باستمرار بشكل ضار ، فقد كان القادة العسكريون وضباط البوليس وأحيانا صغار الموظفين يأمرؤن بتوقيع العقوبات وحكم الاعدام دون أى محاكمة ولو صورية ، ولم تكن توجه اليهم أى مساءلة في أعمالهم في الأغلبية العظمى من القضايا (٢٤٤) .

وفي القرن الثامن عشر ونتيجة لزوال السلطة الفعلية للباشا وبزوغ سلطة الأمراء المماليك الذين بدأوا يحلون محل الباشا في المحاكمات الخاصة . فقد كانوا يعقدون مجالس للحكم في قصورهم وكان ذلك مرتبطا بمكانتهم العالية وقدراتهم على استخلاص الحقوق تبعا لمكانتهم السياسية .

من هؤلاء « عثمان بك ذو الفقار » الذى يذكر عنه انه انتهت
اليه الرياسة وشمخ على أمراء مصر ، ونفذ أحكامه عليهم قهرا
عنهم وعمل فى بيته دواوين لحكومات العامة وانصاف المظلوم من
الظالم ، وجعل لحكومات النساء ديوانا خاصا ولايجرى أحكامه
الا على مقتضى الشريعة ولا يقبل الرشوة ويعاقب عليها (٢٤٥) .

ومن هؤلاء أيضا اسماعيل بك بن ايواظ « وكان يحضر اليه
الناس حتى من الأقاليم وكان يقوم بالتحقيق فى الشكاوى التى تقدم
اليه (٢٤٦) » .

وهذا النوع من المحاكمات هو النتيجة الحتمية لازدياد سلطة
الأمراء المماليك على حساب السلطة الشرعية للباشا التى ضعفت
بحيث لم تعد قراراته ملزمة للامراء والجند ، وحكم الأمراء هذا
كان سائدا فى الدولة المملوكية من قبل .

كذلك يتأكد لنا أن الباشا العثمانى فى مصر تمتع بسلطات
قضائية فى الأمور الخاصة بالخراج والدماء ، وهذا امتداد للتقليد
الاسلامى . كما نخلص من ذلك أن الحكم العثمانى لم يخالف
القواعد التى وضعها الفقهاء فى أصول التقاضى وحدود الولاية
الخاصة والولاية العامة .

انحسار الولاية القضائية للقضاة :

يتضح من المصادر المعاصرة للحقبة العثمانية فى مصر أن
السلطة القضائية للقضاة لم تكن ممتدة على جميع فئات السكان
فى مصر . وأدى هذا بالتالى الى وجود فئات تخضع قضائيا
لسلطة أخرى غير قضاة الشرع مثل رؤسائهم ، بل فى حالات
الأجانب الى قوانينهم الخاصة وترتب على ذلك خرق لمبدأ اقليمية
الشريعة الاسلامية وانحسارها . وهذه الفئات هى :

(أ) الأشراف ،

(ب) الانكشارية •

(ج) أهل الذمة •

(د) الأجانب •

البيان

(أ) الأشراف :

والأشراف هم الذين ينتمون لآل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وكانوا يتجمعون في نقابة خاصة بهم ، وهذه النقابة موضوعة على صيانة نوى الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى (٢٤٧) والنقابة على ضربين : خاصة وعامة ، فأما الخاصة : فهي أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم ، وإقامة حد • فلا يكون العلم معتبرا في شروطها ، أما في الولاية العامة فمن حقه أن يقوم بالحكم فيما تنازعوا فيه والولاية على أيتامهم وإقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه وتزويج الأيتام وإيقاع الحجر على من سفه منهم وفكه إذ أفاق ورشد ولا بد في ولايته هذه أن يكون عالما من أهل الاجتهاد ليصح حكمه وينفذ قضاؤه (٢٤٨) •

البيان

وفي هذه الحالة يجوز للقاضي والنقيب الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه وفي تزويج أيتامهم • ولم يكن لأحدهما نقض حكم الآخر وإن اختلفا متنازعا فدعا أحدهما إلى حكم النقيب ودعا الآخر إلى حكم القاضي فيكون الداعي إلى حكم النقيب أولى بخصوص ولايته (٢٤٩) •

وقد منح العثمانيون للأشراف امتيازات شخصية أو فردية أكثر منها مالية كتمتعهم بعدم الخضوع للعقاب الشديد كما كانت لهم محاكمهم الخاصة وكان نقيب الأشراف يعين من قبل السلطان مباشرة ويرأس الهيئة القضائية الخاصة بالأشراف كما كانت له سلطة مطلقة على هؤلاء الأشراف (٢٥٠) .

وكان نقيب الأشراف في استانبول يتمتع بسلطة على كل نقباء الأقاليم وهو الذى يعينهم (٢٥١) وانتظم الأشراف فى مجموعات قوية ولكن فى نفس الوقت ضعيفة التنظيم . وتمتع الأشراف عموما بالانتفاع بالامتيازات التى منحها العثمانيون لهم احتراماً لأسرة النبى وأيضاً لتثبيت مراكز العثمانيين أنفسهم باعتبارهم من أنصار السنة وخول نقيب الأشراف سلطات قضائية (٢٥٢) .

ويعد نقيب الأشراف فى مصر من كبراء مصر ومن أصحاب الكلام ، وحكمه ماش على الأشراف وكل من وقع منه ذنب يقاضيه بقدر ذنبه وله بلاد اعطاها له السلطان ومكنه فيها لأجل معاشه واعانته على ذلك (٢٥٣) .

وفى حين كانت ولاية نقيب الأشراف فى مصر عامة فقد كان يعين نقباء الأقاليم نقابة خاصة وعلى ذلك فلم يكن يحق لهم القضاء بين الأشراف فى الأقاليم وان كان من حقهم اقامة الحدود والتعزير فيذكر فى قرار تعيينه « ليتقيد بأمور السادة الأشراف وينظر فى مصالحهم ومهماتهم واذنه بفعل ما يراه من حبس واقامة حدود وتعزير بموجب الشرع الشريف خلا ما يتعلق بأمر ثبوت الأنساب كسماع الدعاوى واقامة البينة . . . فانه لم يؤذن له فى ذلك لكون أن المتصرف فيه مختص بحضرة نقيب أفندى المومى اليه ولم يفوض الأمر فى ذلك لاحد قط » (٢٥٤) .

(ب) الانكشارية ؛

اعتبرت فرقة الانكشارية أهم الفرق العسكرية فى مصر وهى المنوط بها حفظ القلعة كذا اطلق عليها فرقة مستحفظان • ونيط برجالها حفظ الامن فى القاهرة •

وقد خصت الدولة الطوائف الانكشارية بعدة امتيازات منها منحهم حصانة تمنع القبض عليهم أو قيام السلطات المدنية بتوقيع العقاب عليهم • وكان ضباط الانكشارية دون سواهم يقومون بتنفيذ العقوبات التى يحكم بها عليهم • كانت العقوبات تتفاوت بين الجلد والسجن والاعدام (٢٥٥) •

وعندما يقبض على انكشارى فى احدى القضايا يقول أنا انكشارى فيطلق سراحه •

وقد أدى دخول العسكريين من هذه الفرق الى الطوائف الحرفية الى تعقد اجراءات العقوبة فبالرغم من أنهم كانوا جنودا بالاسم فقط فانه عندما يمثل أحدهم أمام القاضى فى المحكمة متهما ببعض الاتهامات فان القاضى كان مضطرا لتسليمه الى ضباطه فى فرقته الأصلية وكانت العقوبة غالباً للمذنبين هى الضرب ، فكان المذنب يجلد على الفور أمام حانوته وذلك فى الذنوب البسيطة أما بالنسبة للذنوب الكبيرة والتى تكرر وقوعها من العضو فقد كان العقاب هو السجن مع الأشغال اليدوية أو بدونها لمدة شهرين أو ثلاثة أو بدون تحديد (٢٥٦) •

وبذلك فقد كان لهذا الامتياز ضرره الكبير وخاصة خلال القرن الثامن عشر حيث انهارت الفرق العسكرية بما فيها فرقة الانكشارية وأدى ذلك الى دخولهم الطوائف الحرفية وبالتالى

استخدام كافة أساليب التلاعب والغش لتأكيدهم من اعفائهم من
المثول أمام القاضى الشرعى ، ومجاملة رؤسائهم لهم فى حالة
محاكمتهم أمامهم .

(ج) أهل الذمة :

لما كان الشرع الإسلامى خاصا بالمسلمين فقد خلت الدولة
الإسلامية بين أهل الملل الأخرى ومحاكمهم وكانت هذه المحاكم
محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام
كبار القضاة أيضا ، وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون ولم تقتصر
أحكامهم على مسائل الزواج بل كانت تشمل الى جانب ذلك مسائل
الميراث وأكثر المنازعات التى تخص المسيحيين وحدهم (٢٥٧) .

وقد اعترف العثمانيون بالطوائف المالية الأخرى بحقوقها
القضائية فعندما دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية جمع
أئمة دينهم (النصارى) لينتخبوا بطريركا لهم فاختاروا جورج
سيكولادىوس واعتمد السلطان هذا الانتخاب وجعله رئيسا لطائفة
المسيحيين ومنحه حق الحكم فى القضايا المدنية والجنائية بكافة
أنواعها المختصة بالاروام وعين معه فى ذلك مجلسا مشكلا من
أكبر موظفى الكنيسة وأعطى هذا الحق فى الولايات للمطارنة
والقسوس (٢٥٨) .

وفى مصر منذ بداية العصر العثمانى كان البطارقة ينظرون
ويحكمون فى مسائل الأحوال الشخصية بين أفراد الطائفة كما
كانوا ينظرون ويحكمون فى المسائل المدنية والإدارية والجنائية
فكان لهم حق الحبس وحق النفى (٢٥٩) وبذلك فقد قامت الكنيسة
على كافة مستوياتها بدور قضائى مهم فى حياة الأقباط . فعلى
مستوى البابوية وصفت بعض الوثائق القبطية البابا بأنه (الناظر

فى الأحكام الشرعية لطائفة المسيحية اليعقوبية (وهو نفس الملقب الذى كان يتخذ القاضى المسلم (الناظر فى الأحكام الشرعية) فكان البابا يقوم بتطبيق أحكام الشريعة المسيحية على المتقاضين أمامه . كما لعب الأسقف نفس الدور بين أهالى الأسقفية (٢٦٠) .

لكن حكم البطريرك لم يكن نهائيا إذ يمكن للطراف المتنازعة ، باتفاق فيما بينها ، أن ترفع الأمر الى القاضى الذى يقر عادة حكم البطريرك ، أما الجناح والجرائم فتعامل بطريقة أخرى فالبطريرك لا يفصل الا فى الجرائم الصغيرة التى لا تتطلب الا عقابا اصلاحيا (٢٦١) .

وتقوم الكنيسة بجهود على كافة مستوياتها فى اجراء المصالحات بين المتخاصمين وفض المنازعات بينهم . ولم يستنكف البابا النظر الى بعض الأمور المخالفة للشريعة المسيحية مثل حالات الطلاق التى كان يحاول فيها اصلاح ذات البين واعادة الأمور الى نصابها وهى من الأمور التى تميزت فيها الكنيسة بدرجة عالية من المرونة (٢٦٢) .

ومن أشهر البابوات الذين اشتهروا بالعدل فى قضائهم البابا يوانس الخامس عشر سنة ١٦١٩م وكان هذا البابا لا يحابى الناس وكانت لا يحدد عن الحق مهما كان مركز المتقاضين أمامه ، ولذلك نال بجدارة واستحقاق لقب القاضى العادل (٢٦٣) وايضا البابا متاوس الرابع سنة ١٦٦٠م الذى جلس على الكرسي المرقسى داخل القلاية البطريركية بكنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة وبدا فى الأحكام الشرعية والأمور البيعية (٢٦٤) .

وفى حالة ترفع أهل الذمة أمام القاضى المسلم فانه كان يحكم بينهم طبقا للشرع الاسلامى ، وهم غير مجبرين على اللجوء

للقاضى المسلم الا بمحض ارادتهم . وقد حافظ الحكم العثمانى على التقليد الاسلامى بالحفاظ لأهل الذمة على كياناتهم الدينية الخاص واحترام أحكامهم فيما لا يضر بالنظام السائد فى البلاد فى نفس الوقت فقد كانت أحكام البابا تنفذ على رعاياه الذين يلجأون اليه ، وكذلك الأحكام اليهودى الذى كان له دور مماثل لدور البطرك على رعاياه من اليهود .

(د) الأجانب :

عندما نزح التجار الأجانب بكثرة الى مصر عمل حكامها منذ الدولة الايوبية على منحهم امتيازات خاصة لتشجيعهم على البقاء فى البلاد وممارسة تجارتهم ولاسيما بعد فترة الحروب الصليبية واستمرار العداء بين الشرق والغرب ، ومن هذه الامتيازات التى حصل عليها الأجانب الحق فى التقاضى أمام قناصلهم وتبعاً للقوانين السائدة فى بلادهم لا القوانين السائدة فى مصر . وفى هذا قضاء على مبدأ اقليمية القانون . وعندما دخل العثمانيون مصر وجدوا هذا الوضع السائد فلم ينكروه بل عملوا على استمرار الامتيازات الأجنبية وعملوا على تشجيعهم من جانب الفاتح الجديد حتى لايعاملوا بشدة فيهربوا ويؤدى ذلك الى خسارة اقتصادية .

وقد قام السلطان سليم الأول بتجديد الامتيازات التى كانت تتمتع بها جمهورية البندقية فى العصر المملوكى وذلك فى ١٤ فبراير سنة ١٥١٧م وأهم ما تضمنته هذه المعاهدة أن قنصل البندقية هو الذى كان يحق له وحده محاكمة مواطنيه ، وليس للقاضى المسلم أن يتدخل فى هذا الشأن (٢٦٥) وإذا رفض أحدهم الانصياع الى حكم القنصل ولجأ الى القاضى المسلم للطعن فى هذا الحكم أو لكى يستشكل فى تنفيذه فان القاضى المسلم لا يستمع

الى دعواه ، وعليه أن يحيل الموضوع الى القنصل وعلى القاضى
مساعدة القنصل مساعدة قوية (٢٦٦) .

غير أن أهم المعاهدات التى عقدت مع الدولة العثمانية هى
معاهدة سنة ١٥٣٥م المعقودة بين السلطان القانونى وفرانسوا
الأول ملك فرنسا ، ومن أهم ما جاء بهذه المعاهدة من الناحية
القضائية أن يكون لقناصل فرنسا سلطة قضائية واسعة ، فهم
يستمعون لشكاوى مواطنيهم ويقضون فى شؤونهم المدنية والجنائية
بحسب دينهم وقانونهم ودون أن يمنعهم من ذلك حاكم أو قاض
وإذا لم يستطع تنفيذ القرارات التى يصدرونها على رعاياهم ،
فعلى الصوباشية وغيرهم من الموظفين الأتراك ان يستخدموا
سلطتهم ويقدموا المساعدة اللازمة وإذا ما قضى قضاة الدولة
العثمانية فى خلاف حدث بين رعايا الملك الفرنسى ، فان حكمهم
يحتسب ملغى وغير ذى قيمة حتى لو كان التجار أنفسهم هم الذين
طلبوا ذلك (٢٦٧) .

ويلاحظ أن الدولة العثمانية عندما منحت هذه الحقوق لملك
فرنسا كانت فى أوج قوتها ويتقرب اليها ملوك الدول الأخرى ولم
يكن هذا المنح الا جريا على المنح والامتيازات التى كانت سائدة من
قبل -- بل من قبل نشأة الدولة العثمانية ذاتها -- وكذلك لتشجيع
التجارة والتجار . وسعت الدول الأخرى الى عقد معاهدات مع
الدولة العثمانية على فترات مختلفة للحصول على مثل هذه
الامتيازات لرعاياها ، فى الوقت ذاته كان هناك بعض التجار
التابعين للحماية الفرنسية داخل البلاد التابعة للدولة العثمانية مما
أدى الى حصولهم على نفس المزايا الخاصة بالفرنسيين .

وقد كانت الامتيازات الى عام ١٧٣٩م امتيازات مؤقتة
يمنحها السلاطين وتنتهى بموتهم أو بتركهم العرش . ولكن فى عام

١٧٣٩م وقفت فرنسا الى جانب تركيا تعضدها أدبيا فى دفع نتائج اعتداء دهمها به الروس والنمساويون وساعدت على حصول تركيا على صلح شريف ، فى نظير هذه الوساطة حصلت على امتيازات نصت صراحة على أن تبقى أحكامها نافذة المفعول غير محتاجة الى اجازة كل سلطان (٢٦٨) .

ولقد كان من بين معاونى القنصل فى القاهرة القضاة الذين يعملون معهم وكانت مهمتهم الرئيسية هى الاشراف على التجار (٢٦٩) ومن المؤكد أن وجودهم كان بغرض تقديم المشورة للقنصل فى القضايا التى تعرض عليه .

واستخدم القناصل سلطاتهم القضائية على أتباعهم ومعاقبتهم اذا لزم الأمر مثل القنصل بيليرون الفرنسى الذى أمر بترحيل الطبيب الفرنسى « شاربير » لأنه اتصل بجارية سوداء عمرها خمسة عشر عاما ، كذلك قام القنصل « مورفى » عام ١٧٨٤م بطرد التاجر الفرنسى « لازار ماتين » لاقامته علاقة مع جارية مسلمة (٢٧٠) .

وقد ارتبط بالامتيازات الأجنبية ما يعرف بالبراءات فالفرنسيون والأمم الأخرى التى دخلت فى مواد المعاهدة كان يسمح لها ببيع أوراق خاصة تدعى براءات للافراد العثمانيين المحليين وبناء عليه تمنحهم نفس الامتيازات التجارية والحصانة القضائية باعتبارهم أجناب ودخل عديد من غير المسلمين تحت هذه الحماية (حماية السلطات الأجنبية) (٢٧١) .

ويجب أن نعترف بأن هذه المعاهدات لم يكن لها أى اثر مادامت الدولة العثمانية قوية ومحافظة على نظمها أما فى حالة الضعف فقد استغل الأجانب كل ما اثر فى هذه المعاهدات من

شروط وفسروها كيفما يحلو لهم . وكان هذا هو الاساس الذى قام
عليه القضاء القنصلى الذى برز بوجهه القبيح فيما بعد فى القرن
التاسع عشر ، غير أننا يجب الا نتجاهل هذا التساهل العثمانى
فى المعاهدات والذى لم يحتفظ على الأقل ببعض الحقوق التشريعية
والقضائية بخصوص الأجانب المقيمين على الأراضى العثمانية مما
أدى الى القضاء شبه التام على مبدأ اقليمية الشريعة الاسلامية .
وكذلك أدى الى الخلل التشريعى والقضائى .

* * *

هوامش الفصل الثانى

- (١) ابن اياس - مصدر سابق . ج ٥ ص ١٦٥ .
(٢) نفسه ونفس الجزء . ص ١٦٦ .
(٣) نفسه ونفس الجزء . ص ٢٤٤ .
(٤) Yilmaz Oztuha, Osmanli Devlet Turihi Istanbul, P. 2.

١٩٨٦

- (٥) المشهور العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٦٤ ص ٤٤ .
س ٣٧ ص ٣ ، س ٨٤ ق ١٣١٥ ص ٣٠٢ ، س ١٤٩ ص ٩ .
(٦) يذكر ابن اياس أن أول من ولى قضاء عسكر مصر هو جلى افندى
فى رجب ٩٢٨ هـ ١٥٢١م وذلك بعد المناء قضاء المذهب الأربعة . بينما يذكر
ابن أبى السرور أن أول من ولى قضاء عسكر مصر هو مصطفى افندى
الرومى فى محرم سنة ٩٢٩ هـ ١٥٢٢م وعلى الرغم من تناقض الروايتين
فإننا نميل الى رواية ابن اياس لأنه معاصر للاحداث اضافة الى اهتمامه
بتسجيل المتغيرات التى أدخلها العثمانيون على النظام القضائى . انظر
ابن أبى السرور البكرى : الروضة المأنوسة فى اخبار مصر المحروسة .
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٦١ تاريخ ورقة ٤٤ .
(٧) أحمد الدميرى - قضاء مصر فى القرن العاشر والرابع الأول من
القرن الحادى عشر الهجرى مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٦٣ تيمور
ص ١١٠ .
(٨) المشهور العقارى سجلات محكمة القسمة العسكرية - ش ١٣٠
ص ١٦٧ . سجلات تقارير النظر س ١٨ ص ٢١٦ - سجلات محكمة
الصالحية النجمية - س ٥٣٤ ص ٣٢٤ .

(٩) أحمد شلبي عبد الغنى - أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة
من الوزراء والباشات - تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - مكتبة
الخانجي - القاهرة ١٩٧٨ . ص ٤١٩ .

(١٠) نفس المصدر - ص ٤٥٣ .

(١١) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى س ٧٠ ف ٤٥٢
ص ١٠٩ .

(١٢) الشهر العقارى - سجلات الباب العالى س ٤٦ ف ٦٦١
ص ١١٥ .

(١٣) محمد بن ابي السرور البكرى - مصدر سابق ورقة ٤٧ .

(١٤) الدميرى - مصدر سابق ص ١٠١ .

(١٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - تعيين قضاة
العسكر انظر ملحق رقم ١ تعيين قاضى العسكر ونائبه .

(١٦) ابن اياس - مصدر سابق ج ٥ ص ٤١٨ .

(١٧) يسمى هذا المقعد بيت القاضى ويعتبر مقعد بيت القاضى أجمل
مثال للمقعد فى العمارة الاسلامية وهو فى الأصل جزء من قصر انشاء
الأمير مامائ السيفى سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥م كما هو منقوش على العضادة
اليسرى للمدخل وذلك فى عهد السلطان الناصر ابن قايتباى . وكلمة المقعد
تطلق عادة على المكان المخصص لاستقبال الرجال فى البيوت فى مصر منذ
العصور الوسطى . كما أطلق على الميدان التى أمامه ميدان بيت القاضى
بالمنحاسين التابع لقسم الجمالية . انظر د/ سعاد ماهر . القاهرة القديمة
واحياؤها : سلسلة المكتبة الثقافية رقم ٧٠ القاهرة - ١٩٦٢م ص ٩٣ .

(١٨) تمت بزيارة لمقعد بيت القاضى بالمنحاسين وهو مازال يحتفظ
ببنائه ومنظره الى حد كبير ولكنه تعرض للاهمال الشديد ولا يلقى العناية
الملائمة .

(١٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة مصر القديمة . س ٩٤ ق ١١٢٥
ص ٢٣٠ عام ٩٨٨ هـ - ١٥٨٠ م .

(٢٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى س ٦٣ ف ١٦٨٥
ص ٤٠٦ ، س ٨٤ ف ١٤٩٨ ص ٣١٧ ، س ١٤٩ ف ٩٠٥ ص ٢٤٢ ، س ٢٦٧
ف ١ ص ١ .

(٢١) اراضى الرزقة - هى مساحات واسعة من الأراضى فى جهات عديدة من البلاد وأنعم بها السلاطين السابقون على بعض الناس وأصبح حق الانتفاع بها ينتقل بالميراث للورثة وهى معفاة من الضرائب ولا يدفع عنها للورثانمة الا ضريبة رمزية باسم « مال حماية » نظير حماية رجال الادارة لهذه الأراضى من المعبث بها - انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - الريف المصرى فى القرن الثامن عشر - مكتبة مديولى القاهرة ١٩٨٦ ص ٨٧ .

(٢٢) الشهر العقارى - سجلات الباب العالى س ٦٣ ف ١٦٠٣ ص ٣٨٥ س ٨٦ ف ٣٩٣ ص ٥٨ .

(٢٣) الشهر العقارى سجلات الباب العالى س ٢٠٩ ق ٢٧٠٠/س ٧٨ ق ١٠٦ ص ٦٣/٢٢ ق ١٠٩٠ ص ٢٤٧ .

(٢٤) يقصد بالاسقاطات فى القرى المتنازل عن حق المنفعة بالارض من ملتزمها لشخص آخر فى مقابل مبلغ مال يسمى الحلوان وكانت الاسقاطات بكثرة فى القرن الثامن عشر لدرجة اضطرت قاضى العسكر لتخصيص سجلات خاصة للاسقاطات فقط والسجلات الخاصة بفترة الدراسة تبلغ ٢٨ سجلا تبدأ من عام ١١٤١هـ - ١٧٢٨ م .

(٢٥) كفر بوريح . قرية قديمة من اعمال مديرية الغربية ومنذ عام ١٢٣٦ عرفت باسم قرية بوريح . انظر محمد رمزى - القاموس الجغرافى للبلاد المصرية - الجزء الثانى . القسم الثانى - دار الكتب . القاهرة ١٩٥٨ م - ص ٩٧ .

(٢٦) الشهر العقارى - سجلات اسقاطات القرى س ١ ق ٢ ص ٢ - ق ١٢٧ ص ٣٤ . ق ٢٥٩ ص ٦٧ .

(٢٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى س ١٢٣ ق ١٢٢ ص ٢٥ / س ٢١٤ ق ٧٤ ص ٢٥ / س ٤٦ ق ٩١٨ ص ١٥٦ . س ٢٠٩ ق ١٢٤ ص ٤٧ . س ٦٣ ق ٩٩٤ ص ٢٢٠ .

(٢٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى س ٧٨ ف ١٠ ص ٣٢ ، س ٧٨ ق ٧٨ ص ٢٣٥ ، ق ٢١٩ ص ، س ٩٤ ق ١٥٤٥ ص ٣٦٨ س ١٥٣ ق ٣٦٦ ص ٩٥ . ق ٩٤ ص ١٨٩ ، س ٨٦ ق ١٥٩ ص ٢٦ ، س ٣٠٧ ق ٨٩٤ ص ٥٢١ .

(٢٩) الدشايش . هي الأوقاف المرصودة في مصر على أهالي الحرمين الشريفين . وهذه الأوقاف سابقة للعصر العثماني . والدشيشة حسو يتخذ من بر مرضوض . انظر حسين افندي الروزنامجى - ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية تحقيق الأستاذ محمد شفيق زربال - مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة مايو ١٩٣٦م المجلد الرابع ج١ ص ٤٥ .

(٣٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٦٤٩ ف ١٠ ، س ٢ ، س ٦٣٩ ق ٩ ص ٢ ، ق ١٥ ص ١٤ . سجلات محكمة بولاق - س ٦ ، ص ٨٠ ، س ٣٢ ق ١٧٨٢ ص ٥٦٦ .
- سجلات محكمة القناطر السباع - س ١٣٣ ق ٢٧٨ ص ٦٤٥ ، ف ٢٧٢ ص ٦٤٥ .

- سجلات محكمة الزاهد - س ٦٩٠ ق ١ ص ١ ، س ٦٨٦ ق ١٠١ ص ٣٧٦ .

- سجلات محكمة جامع الحاكم - س ٧٣٣ ق ١١ ص ٢ ، ق ١٧ ص ٣ ق ٦ ص ١ .

- سجلات محكمة القسم العسكرية - س ١٤٦ ق ٢١ ص ٢١ / سجلات محكمة القسم العربية - س ٩٤ ق ٢ ص ٣ .

(٣١) هاملتون جب / هارولد بووين - مرجع سابق ج١ ص ٢٥٦ .

(٣٢) أحمد شلبى عبد الغنى - مصدر سابق ص ٣٨٠ .

(٣٣) انظر الباشا واختصاصاته القضائية فى آخر هذا الفصل .

(٣٤) قانون نامه مادة ٣٥ ص ٧٦ .

(٣٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة مصر القديمة - س ٩٨ ق ٢ ص ٣ سجلات محكمة الصالح - س ٣٢٦ ص ١ .

(٣٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة مصر القديمة - س ٩٨ ق ٢ ص ٣ . سجلات محكمة البرمشية - س ٧١٠ ص ١ من الغلاف .

(٣٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٣٢ ق ١٧٨١ ص ٥٦٦ .

(٣٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة طولون س ٢٣١ ص ١ ، محكمة بولاق - س ٧٦ ص ١ ، سجلات قناطر السباع - س ١٥٢ ص ١ .

(٣٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع - س ١٥٧ ص ١ .

— الريال حجر بطاقة — عملة تعرف بتالير ترجع الى الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وسمى بذلك نسبة الى الصورة التي ترى على أحد وجهي التالير ومنذ عام ١٧٥١م بدا التالير في تسيد أسواق التداول النقدي بمصر على حساب القرش الاسباني لامتياز سببكيته واستدارة القطعة التامة ومقاومتها للتآكل من اطرافها . انظر د/ احمد السيد محمد الصاوي . النقود المتداولة في مصر العثمانية . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية اثار القاهرة ١٩٩١ . ص ١٩١ .

(٤٠) الكيس يقدر بـ ٢٥ الف نصف فضة .

(٤١) الشهر العقاري — سجلات محكمة الجامع الحاكم — س ٥٧٨

ص ١ .

(٤٢) محمود بن محمد بن عرنوس — مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٤٣) هاملتون جب وهارولد بووين — مرجع سابق ج١ ص ٢٥٤ .

(٤٤) يذكر د/ حسن عثمان « انه كان يمكن نقض الأحكام التي يصدرها القضاة والمتعلقة بالشخصيات الكبيرة بعد الرجوع الى المفتي » وكما رأينا ان هذا الرأي ينقصه الكثير من الأدلة . كذلك لم نجد مثل هذا الرأي في الوثائق التي استطعنا الاطلاع عليها ، في نفس الوقت نجد انه مخالف لما استقر عليه الفقهاء من ان قضاء القاضي لا ينقض . انظر د/ حسن عثمان المجلد في التاريخ المصري في العصر العثماني ١٥١٧ : ١٧٩٨م مطبعة البابي الحلبي — القاهرة — ١٩٤١ م — ص ٢٥٨ .

(٤٥) هاملتون جب وهارولد بووين — مرجع سابق ج١ ص ٢٣٥ .

(٤٦) علي مبارك — المخطط التوفيقية الجديدة . مطبعة بولاق القاهرة

١٣٠٥ هـ ج١ ص ٨٨ وما بعدها .

— الشيخ احمد العريشي — رسالة في علم وبيان طريق القضاة بمصر

واسماؤهم — مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٩٤٦ تاريخ ورقة ٢ .

(٤٧) دار الوثائق القومية — سجلات محكمة دمياط — س ٦٠ ق ١٤٥

ص ٧٤ . س ٤٥ ق ١٦٧ ص ٧١ س ٥١ ق ٢٦١ ص ١٠٢ س ٢٧ ق ٦٢ ص ٣٤ —

انظر ملحق رقم ٢ .

(٤٨) دار الوثائق — سجلات محكمة دمياط . س ٦٠ ق ١٤٧ ص ٧٤ /

س ٦٤ ق ١٢٠ ص ٥٧ / س ١ ق ٢٦٢ ص ١٠٢ س ١٥٠ ق ١٢٢ ص ١١٤ .

- (٤٩) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ٣٩ ق ٥١٨ ص ١٦٦ .
- (٥٠) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ٢٧ ق ٦٣ ص ٣٤ /
و دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س ٣ ق ٧٧٨ ص ١٩٨ .
- (٥١) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٢٨ ص ٨ ، ص
٧١٤ ، ص ٧١٦ ، ص ١٣٥ .
- (٥٢) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ٥١ ص ٢٦ ق ١٠٢ .
- (٥٣) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ٢٧٨ ق ١٥ ص ١٣ .
- (٥٤) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة . س ٣٧ ق ١٤٧ ص ٩٩ .
- (٥٥) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ٤٥ ق ٦٧ ص ٧١ .
- (٥٦) محمد الامين فضل الله بن محب الله المحبى - خلاصة الاثر فى
ايعان القرن الحادى عشر . المطبعة الموهبية . القاهرة . ج ٢ ص ٣٥٦ .
- (٥٧) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ٣٩ ق ٥٨ ص ٢٤ / س ١٦
ق ٣٤١ ص ٦٨ .
- (٥٨) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة - س ٣٥ ق ٦٩٨ ص ٣١٧ /
سجلات دمياط س ١٦ ق ٣١٩ ص ٦٦ ، س ٢٦ ق ٩٤ ص ٥٢ .
- (٥٩) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة - س ٣٥ ق ١٢١ ص ٥٦ .
- (٦٠) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٥١ ق ٢٩ ص ١٠ .
- (٦١) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ١٦ ق ٥٧٤ ص ١٠٤ .
- (٦٢) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة - س ٤٠ ق ٤٤٠ ص ٢٠٣ .
- (٦٣) دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س ٧ ق ٣٩١
ص ١١١ .
- (٦٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٦٣ ق ٧١٣
ص ١٤٩ .
- (٦٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٦٣ ق ١٥٣١
ص ٤١٧ .
- (٦٦) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ١٥٠ ق ٣٥ ص ٣٤ /
س ١٥١ ص ١ / س ٢٧٩ ص ٣٤١ .
- (٦٧) قرية المسرو - من القرى القديمة اسمها بحجا وعرفت فى عهد
العرب باسم المسرو وهى من القرى القديمة وكانت تابعة للدقهلية والان تتبع

- محافظة دمياط - انظر محمد رمزي - مرجع سابق القسم الثاني - الجزء الأول - ص ٢٤١ .
- (٦٨) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٥٧ ق ١٥٢ ص ٨١ / س ٥٧ ق ١٣ ص ٩ .
- (٦٩) دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س ١ ص ٩٩٠ ص ٣١٠ .
- (٧٠) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٣١ ق ٤٨ ص ١٣ .
- (٧١) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٣٨ ق ٥٧ ص ٣١ .
- (٧٢) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٣٩ ق ١٠٦ ص ٤٣ .
- (٧٣) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٣٠ ق ٢٨٩ ص ١٣٦ .
- (٧٤) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٦٢ ق ١٦ ص ١١ .
- (٧٥) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٢٩ ق ٦٥١ ص ٢٣٨ .
- (٧٦) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة - س ٢٧ ق ٢٢ ص ٩ .
- (٧٧) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٢٧٩ ق ٣٣٩ ص ٢٦٥ / س ١٥١ ص ١٥٩ ص ١٣٧ .
- وسجلات محكمة البحيرة س ٢٧ ق ٤٢٩ ص ٢٣٤ .
- (٧٨) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٥٧ ق ١٢٠ ص ٦٧ .
- (٧٩) دار المحفوظات - سجلات محكمة دمياط - س ٦ ق ٨٣ / س ٤ ق ٨ .
- سجلات محكمة الاسكندرية - س ٤ ق ٥٢٦ ص ١٥٠ .
- (٨٠) دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س ١٥ ق ٢١٤ ص ٤٨ .
- (٨١) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٥٧ ق ٢٢٠ ص ١١٣ .
- ق ١٤٥ ص ٧٦ / س ٢٧ ق ٣٦ ص ٢٠ / س ٦٤ ق ٤٥٨ ص ٢٣٦ .
- (٨٢) القسام : الذي يقسم الدور والأرض بين الشركاء فيها . وفي المحكم : الذي يقسم الاشياء بين الناس قال لبيد :
- فارضوا بها قسم المليك فانما قسم المعيشة بيننا قسامها
- انظر ابن منظور . لسان العرب . دار المعارف القاهرة د / ت . ج ٥ ص ٣٦٣ .

(٨٣) الاختصاص الفتوى - يقصد به الفئات التى تندرج تحت اختصاص
القاضى من غيره من القضاة .

(٨٤) بالرغم من الرواية التى أوردها ابن اياس فاننا نقع فى حيرة بين
ما أورده ابن اياس عن نشأة القسم العسكرية وما وصلنا من سجلات
محكمة القسم العسكرية فالسجل الأول منها يرجع لعام (٩٦١ هـ ١٥٥٣ م)
وبذلك تغيب السجلات بين هذا التاريخ والتاريخ الذى أورده ابن اياس
(٩٢٨ هـ ١٥٢١ م) لذا فنحن أمام احتمالين لغياب هذه السجلات وهما .

(١) أنه لم يوجد تسجيل فى المحكمة فى هذه الفترة التى تصل
الى ٣٣ عاما وهو أمر مستبعد لما عرف عن طبيعة الحكم العثمانى من تسجيل
لكافة الأمور ؛ كما أن المحاكم الأخرى عرفت التسجيل ووصلتنا سجلاتها
فى هذه الفترة وهذا يعنى وجود تدوين فى هذه الفترة .

(ب) ان هذه المسجلات قد فقدت ولم تعد موجودة - احترقت مثلا
كما حدث فى سجلات بعض المحاكم مثل الصالحية المنجمية - وهو احتمال
قائم لأننا لم نعثر فى الوثائق التى أمكننا الاطلاع عليها على أوراق خاصة
بمحكمة التسعة العسكرية فى هذه الفترة . ومما يدعم هذا الرأى أن السجل
الأول الذى يحمل رقم واحد من سجلات القسم العسكرية مكمل لما قبله ،
وذلك لأن من المفترض ان السجل الأول يوجد به سبب انشاء المحكمة وكذلك
اختصاصاتها ، لذا فاننا نعتقد أن هذا السجل مكمل لما قبله ، ويدلنا ذلك
على صحة التاريخ الذى أورده ابن اياس ولا سيما انه معاصر للأحداث .

(٨٥) الأصبهانية : وتكتب كذلك الأسباهية . وهى تعنى فرق الخيالة
أو الفرسان وهم « الجمليان - وتفكجيان - والجرانسة » وكان يناط بهم
مساعدة كشاف الأقاليم فى إدارة البلاد وحفظ الجسور ودعم الجهاز الإدارى
فيها . ولكن كان قادة هذه الفرق فى القاهرة وكانت لهم عوائد مالية على
البلاد التى يعملون بها وكذلك على الباشا ، فى نفس الوقت كانوا يحصلون
على مرتباتهم العسكرية . انظر حسين افندى الروزنامجى . مصدر سابق
ص ٣٠ .

د/ حسن عثمان - مرجع سابق - ص ٢٥٥ وما بعده .

(٨٦) ابن اياس - مصدر سابق - ج ٥ ص ٤٥١ .

(٨٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسم العسكرية - ص ٨

ص ١٥٤ ق ٦٨ / ص ٤٢ / ص ١ / ص ٢٥ / ص ١ - ص ٩١ ص ٩٣ .

- (٨٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٩٨
ص ٢٥٥ .
- (٨٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٧ ص ٧
انظر ملحق رقم ٣ تعيين القسام العسكرى .
- (٩٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٦١
ص ٢ .
- (٩١) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٧٩
ص ١ .
- (٩٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٦٥
ص ١ .
- (٩٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٩٨
ص ١ .
- (٩٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٩٤
ص ١ .
- (٩٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٦٢
ص ٥٣٩ .
- (٩٦) الديميرى - مصدر سابق س ١٩ .
- (٩٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٩٨
ص ١٠٩ .
- (٩٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ١٣٥
ص ١ / س ١٦٨ ق ١٦٦ ص ١١٠ .
- (٩٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ١٢٤
ص ١ .
- (١٠٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ١٤٤
ق ٢٧٩٠ ص ١٨١ / س ٢١٦ ص ٤٩٣ .
- (١٠١) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ١٦٨
ق ٧٩ ص ٢٢ .
- (١٠٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ٩٤
ص ١ .
- (١٠٣) تقى الدين المقريزى - مصدر سابق - ج ٢ ص ٣٧٨ وما بعدها .

(١٠٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ١٥٢
ق ١ / س ١٤٤ ق ٥٢٦ ص ٣٦٩ ، س ١٥٨ ص ١ محكمة بولاق س ٨١ ص ١ /
محكمة الصالح س ٣٤٨ ص ١ ، محكمة مصر القديمة - س ١١٠ ق ١٠٠
ص ١ .

(١٠٥) د/ عراقى يوسف محمد . الوجود العثمانى المملوكى فى مصر .
دار المعارف . القاهرة ١٩٨٥ ص ٧٠ .

(١٠٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ١٤٣
ص ٣٩٦ ، ق ٤٤٨ ص ٣٧٤ .

(١٠٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٩٤
ص ١ .

(١٠٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٢١٩
ص ٢ - ومصر القديمة - س ١٠٩ ق ٦ ص ١ والصالحية النجمية - س ٥٣٤
ق ١١ ص ١٧ - ومحكمة بولاق - س ٧٣ ص ٢ و س ٧٩ ص ١ و س ٨١ ص ١ -
ومحكمة جامع الصالح - س ٣٥٠ ص ١ ، س ٣٥٥ صفحة الغلاف - القسمة
العسكرية س ١٣٠ ص ١ س ٢٥ ص ١ ، س ٢٠٢ ص ١ .

(١٠٩) على مبارك - مرجع سابق - ج ١٦ ص ٨٨ .

(١١٠) نفسه ج ١٦ ونفس الصفحة .

(١١١) مصطفى المداح المقينالى - مجموع لطيف يشتمل على وثائق
مصر القاهرة فى سنة ١١٠٠ الى اخر تاريخ المجموع . مخطوط بالمكتبة
الوطنية بفيينا . نسخة اهدانى اياها د/ محمد عفيفى عبد الخالق .

(١١٢) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - س ٩ ق ٥٣
ص ٢٤ .

(١١٣) كانت المخلقات تباع فى الاسواق المختلفة بحضور الدلائين الذين
كانت لهم نسبة معروفة على القرعة وهى على الالف عشرون نصفا فضسية
وتصدر الفرمانات مؤيدة لذلك من الباشا وبمنع المعارضة لهم فى حقهم -
انظر الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - س ١٩١ ص ١ ، س ٢٠١
صفحة الغلاف .

(١١٤) الشهر العقارى سجلات القسمة العسكرية س ٤٤ ق ٢ ص ٣ ، س
٧٩ ق ٦٣ ص ٣٩ ، س ٧ ق ٣٨٠ ص ١٧٧ ، س ١١٥ ق ٦٠٣ ص ٤٠٨ ، س ٤٤
ق ١٢ ص ١١ .

(١١٥) د/ حسن صبحى عبد اللطيف - احكام المواريث فى الشريعة الاسلامية - النهضة العربية القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٤ .

(١١٦) الشهر العقارى - سجلات القسم العسكرية س ٩٨ ص ١ .

(١١٧) عراقى يوسف محمد : الاوجاقات العثمانية فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر - رسالة ماجستير غير منشورة اداب عين شمس ص ١٩٠ .

(١١٨) الشهر العقارى - سجلات القسم العسكرية - س ٧٩ ق ١١٨ ص ٧٩ ق ٤٧ ص ٣٠ ، س ١٢٠ ق ١٦٦ ص ١٢٨ ، س ١١٥ ق ٤٩ ص ٤٢ .

(١١٩) الشهر العقارى - سجلات القسم العسكرية - س ٧٩ ق ١٠٠ ص ٦٦ ، س ٤٨ ق ٥٣٣ ص ٣٢١ ق ٢٠٢ ص ١٢٢ ، ق ٢٠٤ ص ١٢١ ، س ٧٩ ق ٧٥ ص ٤٦ . س ٦٢ ق ١٤٣ ص ٩٢ .

(١٢٠) الشهر العقارى - سجلات القسم العسكرية - س ٧ ق ١ ص ٤ ، س ٧٩ ق ٤٧ ص ٣٥ ق ١٣٩ ص ٩٠ .

(١٢١) الشهر العقارى - سجلات القسم العسكرية - س ٧٩ ق ١ ص ١ .

(١٢٢) الشهر العقارى - سجلات القسم العسكرية - س ٧٩ ق ٦ ص ٣ ، س ٤٣ ق ٢٣٦ ص ١٥٤ . ق ٢١٩ ص ١٣٦ ، س ٨ ق ٢٥٤ ص ١٣ .

(١٢٣) العلوفة هى مرتبات كان يحصل عليها ارباب الفرق العسكرية - واصبحت تباع بعد ذلك لأفراد من خارج الأوجاقات وبذلك ينسبون للفرق ، مما ادى الى تمتعهم بنفس الامتيازات ، كذلك يرتبط بالعلوفات المنقذية ايضا حصول اربابها على جرايات من الأنبار الشريفة وهى تجعل لصاحبها الحق فى قدر معين من القمح شهريا او سنويا - ولا شك ان هذه العمليات كانت تجرى بتدخل الدفتردار - وقد اتجه البعض الى جعلها وقفا خيريا ينفق منه على وجوه الخير كالأسبلة والمقابر وغيرها - انظر د/ عراقى يوسف مرجع سابق ص ٧٣ وما بعدها

(١٢٤) الشهر العقارى - سجلات القسم العسكرية - س ٤٣ ق ١٦٥ ص ٩٧ . ق ٦٠ ص ٩٩ ، س ٧٩ ق ٩ ص ١٢ .

(١٢٥) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط الشرعية - س ١٦٠ ق ١٨٥ ص ١٥ .

(١٢٦) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ١٦ ص ٧١٢ ص ١٣٤ .

(١٢٧) الشهر العقارى - سجلات القسم العسكرية - س ١١ ص ٩٤ .

- (١٢٨) الشهر العقارى - سجلات القمة العسكرية - س ١١ ص ١١٦ .
- (١٢٩) د / محمد نور فرحات - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى . سلسلة تاريخ المصريين . رقم ١٧ هـ - م - ع . القاهرة ١٩٨٨ ص ٦٢ .
- (١٣٠) الشهر العقارى - محافظ الدشت . محفظة رقم ٥١ لعام ٩٦٥ هـ ١٥٥٧ م .
- (١٣١) الشهر العقارى سجلات محكمة جامع الحاكم س ٥٤٠ ق ٧٧٢ ص ١٧٢ .
- (١٣٢) عند مراجعة سجلات محكمتى القسمة العسكرية والعربية وجد سجلات تابعة للقسمة العربية وضعت خطأ فى التصنيف فى القسمة العسكرية ويعتبر المسجل رقم ٤ قسمة عسكرية هو الاول لسجلات القسمة العربية .

الفترة الزمنية	رقم السجل	
	فى مكانه الخطأ بالقسمة للعسكرية	فى مكانه الصحيح بالقسمة العربية
من ٩٦٨ / ٩٧٠ هـ ، ١٥٦٢ / ١٥٦٠ م	٤	١
من ٩٩٤ / ٩٩٦ هـ ، ١٥٨٧ / ١٥٨٥ م	١٥	١٤
من ١٠٣٢ / ٩٩٦ هـ ، ١٦٢٣ / ١٦٢٢ م	٣٦	٢٦
من ١٠٥٦ / ١٠٥٧ هـ ، ١٦٤٧ / ١٦٤٦ م	٥٣	٤٠
من ١١٣١ / ١١٣٢ هـ ، ١٧٢٠ / ١٧١٩ م	١١٦	٨٨
من ١١٥٩ / ١١٦٠ هـ ، ١٧٤٧ / ١٧٤٦ م	١٥٥	١٠٦
من ١١٦٣ / ١١٦٤ هـ ، ١٧٥٠ / ١٧٤٩ م	١٦٠	١٠٩
من ١١٦٧ / ١١٦٨ هـ ، ١٧٥٤ / ١٧٥٣ م	١٦٦	١١٢

- (١٣٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٣٣
ص ٤ ، س ٦ ق ١٧ ص ١٢ ، س ١٠ ق ٥٧٢ ص ٣٦٩ .
- (١٣٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٧٥
ص ١ .
- (١٣٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٤
ص ٥٧٣ ، س ٣ ق ٣١٩ ص ١٨٧ .
- (١٣٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٣ ق ٣٣٤
ص ١٩٢ .
- (١٣٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٣ ق ٣٥٤
ص ٢٠١ .
- (١٣٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٩٦
ص ١ ، س ٩٧ ص ١ .
- (١٣٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٧ ، ص
٣٠٨ .
- (١٤٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٦ ص ٢٦٥ .
- (١٤١) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٢
ص ١٩٩ .
- (١٤٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٣٢
ص ٤١٣ .
- (١٤٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٩٠
ص ١ .
- (١٤٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٩٠ ق ٧
ص ١ .
- (١٤٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٣ ق ٥١
ص ٤٢ ، ق ٦٤ ص ٥٧ .
- (١٤٦) المقرئى - مصدر سابق ، ج ٢ ص ٣٧٥ .
- (١٤٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٩١
ص ١ .
- (١٤٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - الصفحات
الاولى من السجلات .

(١٤٩) د/ سلوى على ميلاد - وثائق اهل الذمة فى العصر العثمانى
واهميتها التاريخية - دار الثقافة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٣
ص ١٦ .

(١٥٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٨١ ص ١ .
(١٥١) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية . س ١٠٦
ق ٧٥ ص ٣٢٤ ، محكمة الزاهد . س ٦٨٧ ق ٣ ص ١٦ ، وسجلات محكمة القسمة
العسكرية - س ١٤٦ ق ٣١ ص ٢٧ .

(١٥٢) الشهر العقارى - محافظ الدبشت . محفظة رقم ٥١ عام ٩٦٥ هـ
محكمة الزاهد . س ٦٨٧ ق ٣٠ ص ١٦ .

(١٥٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٧ ق ٧٤٨
ص ٤١٢ .

(١٥٤) الشهر العقارى - س ٤ قسمة عسكرية وهو الاول من سجلات
القسمة العربية - س ٤ ق ٨٩٦ ص ٤١٦ .

(١٥٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٣
ق ٦٢٨ ص ٤٢٨ ، س ٨٨ ق ٥٦٨ ص ٣٠١ ، ق ٣٥٦ ص ١٧٦ .

(١٥٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٨٨
ق ٣١٤ ص ١٥٥ ، س ١٣ ق ٧٤ ص ٥٧ ، س ٦ ق ٧٩٩ ص ٤٨٢ ، س ٦٠ ق ١٠٨
ص ٧١ .

(١٥٧) الجوالى : يرجع انشاء ضريبة الجوالى الى العصر الاسلامى
حيث فرضت ضريبة الجزية على اهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين
لم يتحولوا للإسلام لكنه اعترفوا بالسيادة الاسلامية - وبعد الفتح العثمانى
لمصر وكل جمع ضريبة الجزية او الجوالى الى مقاطعة كانت ادارتها تستند
الى امين الجوالى . وكانت ضريبة الجوالى تقسم قسمين جزء يدفع كمكافاة
لاهل الجوالى ، والجزء الآخر يرسل الى الخزانة السلطانية فى استانبول .
وفى القرن السابع عشر سيطر امراء مصر المماليك على التزام مقاطعة
الجوالى كما سيطروا على المقاطعات الأخرى واصبح امين الجوالى وهو
ملتزمها يدفع للخزانة مبلغا سنويا بالاضافة لضريبة الكشوفية الكبيرة
للخزانة ايضا ، والكشوفية الصغيرة للباشا ويحتفظ بباقى الجزية المحصلة
لنفسه - انظر د/ ليلى عبد اللطيف . الادارة فى مصر فى العصر العثمانى .
مطبعة جامعة عين شمس . ١٩٧٨ ص ٣٢٦ .

(١٥٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٩٣
ق ١١٢٤ ص ٥٢٨ .

(١٥٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٦٠
ق ١٠٩ ص ٧١ .

(١٦٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٦٠
ق ٢٠٠ ص ١٣٧ . ق ١٣٨ ص ٣ .

(١٦١) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٣
ق ٣٤ ص ٣٣ ، س ١ ق ٣٨ ص ٢٢ ، ق ١٦٨ ص ١١٠ ، س ١٣ ق ١٠ ص ١٣ ،
س ١٤ ق ٦٥٤ ص ٤٢٤ ، ق ٣٢٦ ص ٢٢٤ ، س ٩٥ ق ٣ ص ٢ ، س ٩٣ ق ٣٥٠
ص ٢١٩ . ق ٩٣ ص ٢٨٥ ، س ٨٨ ق ٤٣٩ ، س ٦ ق ٢٥٠ ص ١٧٧ ، س ٩٥
ق ٤ ص ٣ .

(١٦٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١ ق ٤٠
ص ٢٣ ، ق ١٤٣ ص ٩٣ . ق ١٦٩ ص ١١٠ . ق ١٧٥ ص ١١٢ ، س ١٣ ق ٢٥١
ص ١٧٤ .

(١٦٣) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية - س ١٣ ق ٢٨ ص ٢٩
ق ٥٤ ص ٤٤ . ق ٣٥ ص ٣٤ .

(١٦٤) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية - س ٦٠ ق ١٢٣
ص ٨٢ ، س ١٣ ق ٤٠ ص ٣٦ ، س ٦ ق ٢١٠ ص ١٣٤ .

(١٦٥) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية س ٨٨ ق ٤٢٣
ص ٢١٤ .

(١٦٦) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية س ١ ق ٣٢ ص ٢٠ .
ق ٢٢ ص ١٥ ، س ٨٨ ق ١٥ ص ٩ ، س ٦٠ ق ٧١٥ ص ١٢٧ . ق ١٥١ ص ٦٤ ،
س ١٣ ق ٤٣٩ ص ٣١٦ . ق ٥٠٧ ص ٣٥٧ .

(١٦٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٣ ق ٥٣
ص ٤٣ ، س ٨٨ ق ٥٠ ص ٢٣ ، ق ٣٢٨ ص ١٦٢ ، س ١ ق ٦٠ ص ٣٦ .

(١٦٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٧ ق ٧٩٩
ص ٣٩٦ .

(١٦٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية س ٩٠ ق ٤٨
ص ٣٤ ، س ١٣ ق ٦٨ ص ٥٣ ، ق ١٣٤ ص ١٠١ .

(١٧٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١ ق ١٢٧ ص ٨٥ .

(١٧١) كلمة ببيورلدى - فعل ماض مبني للمجهول من المصدر التركى بيورمق بمعنى ان يامر (امر بـ) وتحولت هذه الصيغة المفعلية الى الاسمية وصارت علما على الأمر المكتوب بالرسم الهيايوى الصادر من الصدر الاعظم او احد الولاة . وظل هذا الاصطلاح يطلق فى مصر حتى سنة ١٩١٥ م .
انظر د/ احمد السعيد سليمان - تاصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل - دار المعارف . القاهرة ١٩٧٩ . ص ٤٩ .

(١٧٢) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية - س ١٣ ق ٣٠٢ ص ١١١ ، ق ٤٥٢ ص ٣٢٥ .

(١٧٣) الخط : الطريقة المستطيلة فى الشىء ، او الطريق الخفيف فى السهل . والطريق الشارع . والخط الطريق - انظر الفيروز آبادى .
القاموس المحيط . دار الرسالة بيروت ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م . ط ٢ - ص ٨٥٨ .

(١٧٤) اطلق على محاكم اخطاط القاهرة فى تلك الاونة محاكم مصر المحروسة ، وقد اتخذت سجلات هذه المحاكم ارقاما تسلسلية مما يدعو الى القول انهم اعتبروا هذه المحاكم كيانا واحدا . انظر الشهر العقارى - سجلات محاكم اخطاط القاهرة .

(١٧٥) الشيخ احمد العريشى - مصدر سابق ص ٣ .

(١٧٦) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - القضاء فى مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧ - ١٧٩٨ - بحث منشور ضمن كتاب فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى - سلسلة تاريخ المصريين العدد ٣٨ . هـ - م - ع . القاهرة ١٩٨٩ . ص ٣٣٥ .

(١٧٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥٢٢ ص ١ ، س ٥١٩ ص ٣٢١ ، س ٥٣٤ ق ٤٣٤ ص ٢٠٤ - محكمة باب الشعرية .
س ٦٤٤ ق ١ ص ١ - بولاق . س ٧٦ ق ٤٠٧ ص ١١٨ ، - محكمة الزاهد س ٦٨٧ ص ١ - جامع الحاكم ق ٥٧٦ ص ١ .

(١٧٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة جامع الحاكم - س ٧٣٣ ق ٥ ص ١ .

(١٧٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥٢٦ ص ١ ، سجلات محكمة الصالح . س ٣٦١ ص ٢ .

- (١٨٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة مصر القديمة - س ١١٠ ق ٦٩٢
ص ٦٢ .
- (١٨١) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع - س ٦٥٢
صفحة الغلاف .
- (١٨٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة البرمشية - س ٧١٠ ص ٦
من الغلاف .
- (١٨٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالح - س ٢٤٧ ص ١ .
- (١٨٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٦٣٧ ق ٦
ص ٢ - سجلات جامع الحاكم ، س ٧٣٣ ق ٥ ص ١ - وسجلات محكمة الصالحية
النجمية س ٤٧٧ ص ١ .
- (١٨٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٦٣٤ ق ٦
ص ١ .
- (١٨٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع - س ١٢٢
ق ١٦٤٥ ص ٤٧٩ .
- (١٨٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة البرمشية - س ٧١١
ص ١ .
- (١٨٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٦٥ ص ٤ من
الغلاف .
- (١٩٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٢٠٩ ص ١
مرسوم من قاضى عسكر الى قضاة الاخطاط فى / ذى الحجة سنة ١١٤١ هـ .
- (١٩١) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥١٧
ف ١٨٦ ص ٦٦ - مرسوم بتاريخ عام ١١٤٦ هـ .
- (١٩٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٥٩٠ ف ٣
ص ١ .
- (١٩٢) يقصد بالاختصاص المحلى : يقتضى تقريب القضاء للمواطنين
ان تتعدد المحاكم على ارض الدولة ويؤدى تعدد المحاكم التى تتكون من
طبقة واحدة الى ضرورة توزيع الاختصاص بينها على اساس اقليمى او
جغرافى او مكانى . انظر د/ عزمى عبد الفتاح . قانون القضاء المدنى
المصرى . الكتاب الاول دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٣ س ٣٧٧ .
- (١٩٤) وجد فى القاهرة فى العصر العثمانى خمس عشرة محكمة وزعت
على انحاءها توزيعا عادلا كما يظهر من هذا الجدول :

الموقع الجغرافي

مقر المحكمة

اسم المحكمة

٢

١	في مقعد مامايء أزيك السيفي	مخكمة الباب العالي	بالنحاسبين التابع لقسم الجمالية في الوقت الحاضر من جملة خط بين القصرين بخط بين القصرين في جبل يشكر بالعسكر في خارج باب الفتوح في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	ميسدان باب الخلق في الوقت الحاضر	موقع المقس خارج القاهرة
٢	في المدرسة الظاهرية	محكمة القسمة العسكرية	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	خارج باب زويلة	عند قنطرة الموسكى
٣	في المدرسة الكاملية	محكمة القسمة العربية	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	في الشارع خارج باب زويلة من جملة القصر الكبير الشرقي بخط بين القصرين
٤	في مسجد احمد بن طولون	محكمة طولون	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	عند قنطرة الموسكى
٥	في جامع الحاكم بأمر الله	محكمة جامع الحاكم	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	في الشارع خارج باب زويلة من جملة القصر الكبير الشرقي بخط بين القصرين
٦	في جامع الناصري الجديد	محكمة مصر القديمة	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	عند قنطرة الموسكى
٧	محله أصبح الآن ميدان باب الخلق	محكمة باب سعادة والخرق	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	في الشارع خارج باب زويلة من جملة القصر الكبير الشرقي بخط بين القصرين
٨	في جامع الصالح طلائع بن رزيك	محكمة جامع الصالح	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	عند قنطرة الموسكى
٩	في جامع المحكمة بخط باب الشعيرية	محكمة باب الشعيرية	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	في الشارع خارج باب زويلة من جملة القصر الكبير الشرقي بخط بين القصرين
١٠	في جامع برد بك الأشرفي	محكمة قناطر السبيع	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	عند قنطرة الموسكى
١١	في جامع تغرى برمش	محكمة البرمشية	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	في الشارع خارج باب زويلة من جملة القصر الكبير الشرقي بخط بين القصرين
١٢	في مسجد القاضي يحيى بن زين الدين	محكمة بولاق	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	عند قنطرة الموسكى
١٣	في جامع الأمير قوصون	محكمة قوصون	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	في الشارع خارج باب زويلة من جملة القصر الكبير الشرقي بخط بين القصرين
١٤	مدرسة الصالح نجم الدين أيوب	محكمة الصالحية النجمية	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	عند قنطرة الموسكى
١٥	في جامع أحمد الزاهد	محكمة الزاهد	في شاطيء النيل بساحل مصر القديمة	في ميدان باب الشعيرية في الوقت الحاضر	عند قنطرة الموسكى

(١٩٥) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي - س ٣٠٧ ص ٢
وسجلات محكمة باب الشعرية س ٦٣٩ ق ١٧ ص ٤ ، جامع الحاكم س ٥٧٦
الغلاف .

(١٩٦) الشهر العقاري - سجلات محكمة بولاق - س ٧٣ ص ٢ - سجلات
محكمة الباب العالي . س ٣٠٧ ص ٣ .

(١٩٧) الشهر العقاري - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٤٩٢
ق ٤٥١ ص ١ - سجلات محكمة بولاق . س ٨٠ ص ١ .

(١٩٨) الشهر العقاري - سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٤٥٣
ق ٤٥١ ص ١٥٤ .

(١٩٩) الشهر العقاري - سجلات محكمة الصالحية . س ٥٢٦ ق ٣٥
ص ٢٠ .

(٢٠٠) الشهر العقاري - سجلات محكمة الصالحية . س ٤٥٣ ق ٣
ص ١ .

(٢٠١) الشهر العقاري - سجلات محكمة الصالحية . س ٥٢٦ ق ٦٥
ص ٣٧ .

(٢٠٢) الشهر العقاري - سجلات محكمة الزاهد . س ٦٨٠ ق ٢١٦٥
ص ٧٧٨ .

(٢٠٣) الشهر العقاري - سجلات محكمة الحاكم . س ٥٧٣ ق ١٧٨٩
ص ٧٢٣ .

(٢٠٤) الشهر العقاري - سجلات محكمة الحاكم . س ٥٧٣ ق ٧٢٣ -
البرمشية . س ٥٧٠ ق ٢٠٠٥ ص ٤٢٦ - الصالح . س ٣٢٧ ق ٤٨ ص ١٤ ،
س ٣٢٧ ق ٤١ ص ١٢ .

(٢٠٥) الشهر العقاري - سجلات محكمة الزاهد . س ٦٦٢ ق ٩٧ ص
١٣٣ . قناطر السباع . س ١٢٢ ق ٨٦٣ ص ٢٣٩ . ق ٨٦٥ ص ٢٤٠ -
الصالحية النجمية . س ٤٨٨ ق ٢ ص ١ . ق ٣٤٢ ص ١٠٣ ، س ٤٧٨ ق ٤١
ص ٧ .

(٢٠٦) الشهر العقاري - سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٣٨
صفحة الغلاف .

(٢٠٧) الشهر العقاري - سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣١ ق ٥
ص ١ .

- (٢٠٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق . س ٧٢ ص ٢ .
 (٢٠٩) د/ نلى حنا - بيوت القاهرة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ترجمة بشير طوسون . مكتبة العربى للنشر - القاهرة ١٩٩٣ .
 ص ٣٩ .

(٢١٠) تذكر بعض الدراسات انه كان مباحا لمحاكم الاخطاط فى القاهرة ان تتناول كافة انواع القضايا التى كانت خاصة بقاضى العسكر وذلك قبل عام ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م ولكننا نجد ان ذلك مخالف لما جاء بالوثائق حيث وجدت العديد من الأوامر التى صدرت قبل هذا التاريخ بكثير فيعود بعضها الى ٩٨٨ هـ ١٥٨٠ م (مثل الأمر الوارد فى سجلات محكمة مصر القديمة س ٩٤ ق ١١٢٥ ص ٢٣٠ المؤرخ بعام ٩٨٨ هـ) وربما يعود السبب فى قلة هذه الأوامر فى هذه الآونة ان الدولة كانت فى اوج قوتها وتنظيمها ولم يكن هناك تعد من قبل القضاة على اختصاصات غيرهم ، وبدأت هذه الأوامر تزداد منذ بداية القرن السابع عشر مما استلزم صدور التحذيرات من الاعتداء على هذه الاختصاصات .

- (٢١١) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٤٢ ص ١ .
 (٢١٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣٥ ق ١٦ ص ٤ .
 (٢١٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥١٥ ق ٢ ص ١ فى الغلاف .
 (٢١٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٥٩٦ صفحة الغلاف .
 (٢١٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٦٣٩ ق ١٦ ص ٤ .
 (٢١٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥١٩ ص ١ من الغلاف .
 (٢١٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥٢٤ ق ٧٦ ص ٤٠ . ق ٤٣٥ ص ٢٠٤ ، س ٥٣٧ ق ٢ ص ١ .
 (٢١٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ١٦٧ مكرر ق ١٦٤ ص ٥٠ .

- (٢١٩) د/ نللى حنا - مرجع سابق . ص ٣٦ .
- (٢٢٠) الشهر العقارى - سجلات مصر القديمة - س ١٠٥ ق ١٤٩٣
ص ٤٨٠ .
- (٢٢١) الشهر العقارى - سجلات محكمة اباب العالى - س ١٢٣ ق ٢١
ص ٤٤٤ .
- (٢٢٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥٢٠
ص ١ .
- (٢٢٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٣٦ الصفحة
الآخيرة .
- (٢٢٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة البرمشية س ٧١٠ ص ١ .
- (٢٢٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٣٦ الصفحة
الآخيرة - قناطر السباع - س ١٢٢ ص ١٦٤٥ ص ٤٧٩ .
- (٢٢٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٣٢ ق ١٧٨٠
ص ٥٦٦ .
- (٢٢٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٥٩٦ ص ١ .
- (٢٢٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٥٩٧
ص ٤٨٨ .
- (٢٢٩) عبد الرحمن القاسم - النظام القضائى الاسلامى - مطبعة
السعادة القاهرة ١٩٧٣ س ٤٥ .
- (٢٣٠) ابن اياس مصدر سابق ج ٥ ص ٢٤٢ وعن محاكمات ملك
الامراء انظر نفس الجزء ص ٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٩٠ ،
٣٠٤ ، ٤٧٨ .
- (٢٣١) قانون نامة ص ٤٢ .
- (٢٣٢) قانون نامة ص ٤٢ .
- (٢٣٣) نفسه - ص ٣٠ .
- (٢٣٤) محمد بن ابى السرور البكرى - مصدر سابق - ص ٢٧ .
- (٢٣٥) احمد شلبى عبد الغنى - مصدر سابق . ص ١٣٥ .
- (٢٣٦) احمد شلبى عبد الغنى - مصدر سابق . ص ١١٠ .
- (٢٣٧) محمد بن عبد المعطى الاسحاقى - اخبار الاول فيمن تصرف فى
مصر من ارباب الدول . المطبعة العثمانية - القاهرة ١٣٠٤ هـ ص ١٧٢ .

— احمد شلبي عبد الغنى — مصدر سابق . ص ١٣٥ .
— محمد بن ابي السرور البكرى — المنح الرحمانية فى تاريخ الدولة
العثمانية — مخطوط بدار الكتب المصرية — رقم ٥٤٢٤ تاريخ . ورقة ١٥٦ .
(٢٣٨) محمد بن ابي السرور البكرى — المنزهة الزهية فى ذكر ولاية
مصر والقاهرة المعزية — مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٦٦ تاريخ
ورقة ٢٦ .

(٢٣٩) محمد بن ابي السرور البكرى — المنح الرحمانية مصدر سابق
ورقة ١٠٤ .

(٢٤٠) احمد بن سعد الدين الانصارى : ذخيرة الاعلام بتواريخ الخلف
الاعلام وامراء مصر المحكام وقضاتها فى الاحكام من فتحها الاسلامى
العمزى الى زمن الناظم (١٠٥٠ هـ) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
١٠٤ . ورقة ١٥١ .

(٢٤١) نفسه — ص ١٥٢ .

(٢٤٢) نفسه — ص ١٩٧ .

(٢٤٣) دار الوثائق — سجلات محكمة دمياط . س ٥٧ ق ١٦٤ ص ٨٧ ،
س ٥٩ ق ٩٨ ص ٥٠ .

(٢٤٤) هاملتون. جب وهارولد بووين — مرجع سابق ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢٤٥) الجيرتى — مصدر سابق ج ١ ص ٢٢٤ .

(٢٤٦) نفسه ونفس الجزء — ص ١٥٩ .

(٢٤٧) على بن حبيب البصرى الماوردى — مصدر سابق ص ٨٥ .

(٢٤٨) ابي يعلى الفراء — الاحكام السلطانية — مطبعة السيد مصطفى
الحلبى — القاهرة ١٣٥١ هـ ص ٧٦ .

(٢٤٩) الماوردى — مصدر سابق — ص ٨٧ ، ابي يعلى الفراء — مصدر
سابق — ص ٧٦ .

(٢٥٠) د/ محمد انيس — الدولة العثمانية والمشرق العربى — الانجلو
المصرية — القاهرة ١٩٨٦ ص ٩٩ — انظر كذلك جب / بووين — مرجع
سابق ج ١ ص ١٨٤ .

(٢٥١) جب ، بووين — مرجع سابق ج ١ ص ١٨٥ .

- (٢٥٢) اندرية ريمون - المدن العربية الكبرى في العصر العثماني -
ترجمة لطيف فرج - دار الفكر للدراسات والتوزيع - القاهرة ١٩٩١ .
ص ٦٧ .
- (٢٥٣) حسين افندى الروزنامجى - مصدر سابق . ص ٢٥ .
- (٢٥٤) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة س ٢٧ ق ٤٦ ص ٢١ ،
ق ٤٦٨ ص ٢٦٢ ، س ٢٩ ق ٣٢ ص ١٤ .
- سجلات محكمة دمياط الشرعية س ١٦٠ ق ٣٦٦ ص ٣١٢ .
- (٢٥٥) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج ١ ص ٤٧٩ .
- (٢٥٦) د/ ليلى عبد اللطيف - دراسات في تاريخ ومؤرخى مصر
والشام ابان العصر العثماني - مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٠ ص ٩٥ .
- (٢٥٧) ادم منذر - الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى -
ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده - لجنة المتاليف والنشر - القاهرة
١٩٤٧ - ط ٢ ج ١ ص ٥٨ .
- (٢٥٨) محمد فريد - مرجع سابق . ص ٦١ .
- د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج ١ ص ٦٨ .
- (٢٥٩) عزيز خانكى - التشريع والقضاء قبل انشاء المحاكم الاهلية -
المطبعة العصرية القاهرة . د/ ت . س ٤٤ .
- (٢٦٠) د/ محمد عفيفى عبد الخالق - الاقباط في مصر في العصر
العثماني . هـ - م - ع القاهرة ١٩٩٢ م . ص ٢٨١ .
- (٢٦١) دى شايروول - « وصف مصر » المصريون المحدثون - الخانجي
القاهرة د/ ت ج ١ ص ٢٧ .
- (٢٦٢) د/ محمد عفيفى - مرجع سابق . ص ٢٨٢ .
- (٢٦٣) كامل صالح نخلة - سلسلة تاريخ بطاركة الكرسي السكندري -
الحلقة الرابعة . مطبعة دير السيدة العذراء - السرايات القاهرة ١٩٤٠ م
ص ٩٣ .
- (٢٦٤) نفسه - ص ١٣٠ .
- (٢٦٥) د/ ليلى الصباغ - الجاليات الاوربية في بلاد الشام في القرنين
١٦ ، ١٧ - مؤسسة الرسالة الكويت - ج ١ ص ٩٤ .
- (٢٦٦) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج ٢ ص ٧٠٠ .

- (٢٦٧) د/ ليلي الصباغ - مرجع سابق . ج١ ص ١٤٣ .
- د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج٢ ص ٧١٠ .
(٢٦٨) محمد عبد البارى - الامتيازات الأجنبية - لجنة التأليف والنشر
القاهرة ١٩١٤ ص ٢٥ .
(٢٦٩) د/ الهام ذهنى - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين
فى القرن ١٨ . هم-ع . القاهرة ١٩٩٢ . ص ٣٠٦ .
(٢٧٠) نفسه . ص ٣٠٦ .
Richard. P. Milehell. The Modern Middle
(٢٧١)
East and North Africa. New York 1984. P. 69.

* * *

الفصل الثالث

الدور الإداري والسياسي للقضاة

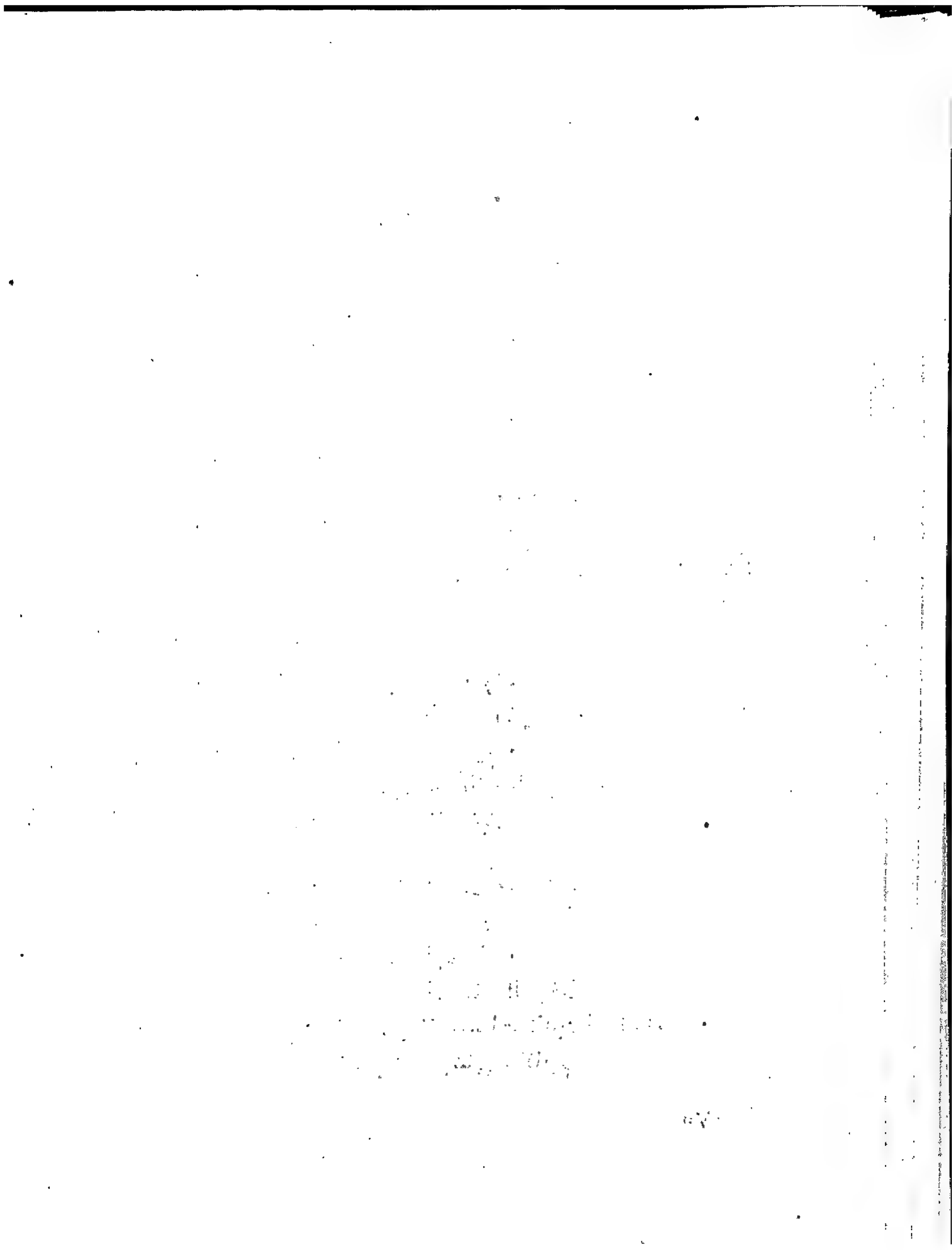
أولا - الدور الإداري :

- الدور الإداري لقضاة العسكر :

- (أ) الإشراف على الحياة الدينية .
- (ب) الإشراف على التعليم .
- (ج) الإشراف على الطوائف الحرفية .
- (د) الإشراف على الموظفين .

- الدور الإداري لقضاة الشرع في الأقاليم :

- (أ) الإشراف على الري والزراعة .
- (ب) الإشراف على الجمارك .
- (ج) الإشراف على الطوائف الحرفية .
- (د) الإشراف على المؤسسات الدينية والعلمية .
- (هـ) الإشراف على موظفي الأقاليم .



الاختصاصات الادارية للقضاة

تمهيد :

منذ الفتح العثماني لمصر في عام ١٥١٧ م بعد هزيمة المماليك في معركة الريدانية ومقتل آخر سلاطينهم « طومان باي » تحولت مصر من دولة مستقلة ذات سيادة الى مجرد ولاية تابعة لدولة كبرى عظيمة الاتساع تضم بين جنباتها العديد من الولايات . وترتب على ذلك تغير الوضع الاداري ليوائم الظروف السياسية التي استجدت بعد الفتح .

ووضعت الدولة العثمانية اساس نظام الحكم والادارة في البلاد مركزا في سلطات ثلاث هي :

(ا) الباشا العثماني بوصفه ممثل السلطان العثماني في حكم البلاد .

(ب) الديوان الذي يقوم بمساعدة الباشا في حكم البلاد وادارتها .

(ج) الحامية العثمانية . وهي مكونة من الأوجاقات العثمانية الستة ثم اضيف اليها أوجاق المتفرقة . وكانت المهمة الأساسية التي نيّطت بها هي الدفاع عن البلاد ونشر الأمن فيها ، في نفس

الوقت الذي أسندت اليها فيه العديد من الأعمال الأخرى ، مثل
المساهمة في جمع الضرائب .

أما الإدارة المحلية في الأقاليم فقد أسندت الى الممالك حكام
البلاد قبل مقدم العثمانيين وذلك لأن الفاتح الجديد لم يشأ أن
يقضى عليهم تماما بل عمل على الاستفادة منهم في إدارة الأقاليم
بحكم خبرتهم واتصالهم بالشعب المصرى .

ووجد دور كبير للقضاة في إدارة البلاد حتى عند قاضى العسكر
المسئول مع الباشا عن تطبيق الإدارة العثمانية في مصر وكثيرا
ما كان يتلقى قرارات إدارية من السلطنة لتطبيقها في مصر . وقاضى
العسكر عضو رئيسى فى الديوان العالى . كذلك فقد اختص قاضى
العسكر بتقرير الموظفين وتعيينهم فى مختلف المجالات فى القاهرة .

غير أن من الجدير بالذكر أن منطقة الاختصاصات الإدارية
للقضاة كانت محصورة فى نفس منطقة الاختصاص القضائى . وعلى
ذلك فاختصاصات قاضى العسكر الإدارية انحصرت فى القاهرة . ولم
تتعددها الى الأقاليم لوجود السلطة الإدارية للقضاة الأقاليم على
أقاليمهم .

الدور الإدارى لقضاة العسكر

(أ) الإشراف على المؤسسات الدينية :

أشرف القضاة على المؤسسات الدينية القائمة إشرافا واسعا
من تعيين موظفيها والإشراف عليهم . وكذلك الإشراف على المباني
كى تقوم بأغراضها . وكان هذا الإشراف نابعا من إشراف القضاة
على الأوقاف التى ينفق منها على هذه المؤسسات . فمن المعروف

لة لم تكن تنفق على هذه المؤسسات من مال الخزانة ،
رك الانفاق عليها للأوقاف التي رصدت عليها .

يقوم القضاة بالإشراف على المساجد وتعيين الأئمة
ن فيها مثل « قرر مولانا شيخ الاسلام ... الشيخ مذكور
سلامة أولاد الشيخ مذكور الواطي في كامل خطابة وإمامة
المرحوم عبد الرحمن الجيعان بخط البندقيين » (١) و « قرر
البكوش في الإمامة والخطابة بوقف جامع المغاربة بقنطرة
، بما لذلك من المعلوم » (٢) .

ما كان يقوم القضاة بتعيين المؤذنين في المساجد مثل « تقرير
... عبد الجواد على الدلال في وظيفة الأذان بوقف الملك
، قانصوه الغوري (٣) في نفس الوقت الذي يقوم فيه القضاة
بقية موظفي المساجد مثل القراشيين والبوابين والوقادة
المطهرة والمزملة والميقاتي وخادم السناقية . وكان كل
لموظفين يخضعون في عملهم لمراقبة قاضي العسكر فهو الذي
وهو كذلك الذي يعزلهم من أعمالهم لو بدرت منهم مخالفة
، عملهم (٤) .

يقوم قاضي العسكر بالإشراف على المساجد ومعاينة المتهم
أ تحتاج إليه من نقبة ، وبعد الكشف عليها بواسطة
في هذا المجال يرفعون تقريرهم إلى القاضي الذي يأخذ
فيه . كذلك يقوم بتقرير النفقة التي تحتاج إليها العمارة في
وقت الذي يشرف فيه على العمارة ويحاسب القائمين
، (٥) .

يدخل ضمن الإشراف على الوظائف الدينية تعيين حفاري
وتغسيل الموتى ، وذلك لأن تغسيل الموتى من الناحية الدينية
للعلم بالشروط الفقهية الواجبة للغسل ، ولكن يلاحظ في

تعيين المغسلين أن قرار القاضي بتعيينهم كان ينص على المنطقة الواجب ممارسة عملهم بها فهو تقسيم جغرافي (٦) .

كذلك يقوم قاضي العسكر بتعيين قاضي المحمل الشريف ، وذلك لأن من المعروف أن قافلة الحج المصري التي كانت تخرج في شوال من كل عام تعتبر أكبر قافلة حج اسلامية وذلك لأنها من حيث الحجم تضم بين جنباتها حجاج شمال أفريقيا كذلك من حيث المكانة فهي تحمل الصرة والكسوة .

لذا فقد كانت قافلة الحج في حاجة الى قاض ليحل المنازعات التي قد تنشأ بين الأفراد أثناء الحج . ويقوم قاضي المحمل بحل هذه المنازعات وذلك تبعا للتفويض له بذلك من قاضي العسكر . من ذلك تعيين قاضي العسكر « المولى عبد الغنى بن ميرشاه الرومي الحنفى » « للشيخ البدر القرافي » في قضاء الركب الشريف المصري في سنة ٩٨٩ هـ - ١٥٨٩ م (٧) كما يقوم قاضي العسكر بتعيين جميع الموظفين الدينيين المصاحبين لقافلة الحج في سفرها الى الحجاز (٨) .

ويقوم قاضي العسكر بالاشراف على المقامات والزوايا وتعيين موظفيها وذلك بوصفها مؤسسات دينية لها اوقافها التي تدر عليها دخلا تنفق منه وهى بالتالى خاضعة لقاضي العسكر . ويقوم بتعيين مشايخ الطرق الصوفية وتعيين موظفى الأضرحة والتكايا مثل « قرر شيخ الاسلام . . . الحاج محمد بكتاش في وظيفة المشيخة على تكية السادة الأعجام الكائنة بقصر العينى » (٩) وكذلك تعيين مشايخ الطرق الصوفية « قرر مولانا شيخ الاسلام . . . الشيخ الهمام زين الدين يحيى بن المرحوم الشيخ عوض من ذرية سعد الدين الشيباني في وظيفة المشيخة على طائفة السادة السعدية

بمصر المحمية وغيرها والجلوس على السجادة الشريفة بجامع
الحاكم لأهليته لذلك» (١٠)

وبالرغم من الاشراف الكامل للقضاة على المؤسسات الدينية
في القاهرة ، وهي منطقة نفوذهم القضائي . يبرز سؤال عن القضاة
وكيفية توزيع هذه المناصب ، وماذا استفادت هذه المؤسسات من
القضاة واشرافهم عليها ؟

ان تقرير القضاء للموظفين في هذه الوظائف كان ينص في
اقرار التعيين على أنه تم بناء على أهلية المرشح لهذه الوظائف
ولاسيما من الناحية الدينية . غير أن المصادر تمدنا بأنه وجد من
القضاة من كان يبيع هذه الوظائف ويأخذ من متوليها قدرا من
المال يتناسب مع قدر الوظيفة عند التعيين . كذلك وجدت بعض
المصادر التي امتدحت في بعض القضاة أنهم لا يأخذون مالا مقابل
الوظائف ويمكن استنتاج أن بيع المناصب لم يكن قاعدة عامة وهي
تختلف من قاض لآخر ، وان وجد من القضاة من باع هذه المناصب
الدينية وبرز هذا الأمر بوضوح في القرن الثامن عشر حيث بدأ
الضعف يدب في أوصال هذا الجهاز المهم . غير أن من الجدير
بالذكر ان اشراف القضاة على هذه المؤسسات أعطاها طابعا من
الانضباط في القيام بوظائفها وذلك للرقابة الشديدة المفروضة
عليها من قبل القضاة .

الاشراف على التعليم :

كان التعليم في مصر في العصر العثماني يبدأ بالكتاب وهو
المرحلة التمهيدية الأولى التي تشبه في وقتنا الحاضر المدارس
الابتدائية ، ثم بعد ذلك يتجه الطالب الى الأزهر الشريف أو أحد
المساجد الكبرى في الأقاليم مثل المسجد الأحمدي في طنطا . وهذا

هو التعليم العالي في ذلك الوقت أو ما يمكن أن يطلق عليه كليات
المساجد .

كذلك لم تكن الدولة تنفق على التعليم بل ينفق على ذلك من
ريع الأوقاف المرسودة لها . في نفس الوقت الذي يقوم فيه قاضي
العسكر بالإشراف على التعليم وعلى المدارس والكتاتيب وتعيين
مدرسيها وموظفيها . كما كان له دور كبير في الإشراف على
المجاورين في الأزهر والمساجد المختلفة في القاهرة .

ويقوم القضاة بتعيين « عرفاء المكاتب » أو « مؤدبي الأطفال »
كما تطلق عليهم الوثائق لتعليم الأطفال في الكتاتيب من ذلك تقرير
« السيد الشريف محمد العشماوي . . . في وظيفة تأديب الأطفال
بالمكتب الذي علو السجيل بباب مستحفظان » (١١) وتقرير
« علي بن محمد لطفى في وظيفة تأديب أطفال . . . بوقف المرحوم
خاير بك » (١٢) .

كما كان يقوم قاضي العسكر بتعيين المدرسين في مدارس
القاهرة من ذلك « تقرير السيد الشريف مصطفى أحمد البنوفري
الحنفي في كامل تدريس فقه حنفي بمسجد المغفور له السلطان
حسن » (١٣) و « تقرير الشيخ محمد الأزهرى في كامل وظيفة
التدريس وقراءة العلم والحديث بجامع وضريح . . . اسماعيل
الأيمنالى » (١٤) .

وفي حالة سفر أحد هؤلاء المدرسين يقوم باستنابة من يراه
مناسبا للقيام بأعباء عمله حتى يعود اليه مرة أخرى وعليه أن يحدد
أمام القاضي المدة التي سيقضيها في سفره ، وكذلك يقر قدرة من
استنابهم للقيام بالأعمال التدريسية التي أنابهم فيها (١٥) ويقوم
قضاة العسكر بالإشراف على مراتب المدرسين ويأمرون نظار
الأوقاف بصرفها وعدم التأخر في دفعها (١٦) .

وكانت هذه المدارس تخضع للتفتيش من قبل القاضي وعندما يتبين له أن المبالغ المخصصة للعناية بهذه المدارس وتلاميذها قد صرفت في غير أغراضها فإن له الحق في أن يرغم القائمين على إدارتها على الامتثال لرغبة مؤسسيها . وينبغي أن يكون المدرس الموكول إليه أمر التدريس قادرا على القيام بمهام وظيفته وإذا ما رأى أنه أقل كفاءة مما يقتضيه العمل فباستطاعته أن يرغم القائم على أمر إدارة المدرسة على أن يختار مدرسا آخر أكفا منه (١٧) .

ووجد في المدارس في هذه الآونة وظيفة المعيد الذي كان يجلس بجانب الطلاب أثناء الدرس يستمع إليه من الشيخ ثم بعد انتهاء الشيخ يعيد المعيد ما غمض من الدرس على مسامع الطلبة حتى يكونوا أكثر فهما واستيعابا له ، ويقوم القضاة بتعيين المعيد في الدرس من ذلك « تقرير الشيخ سلطان المزاحي الشافعي في إعادة درس الشافعي » (١٨) و « تقرير الشيخ سراج الدين عمر المغربي في وظيفة إعادة تدريس الفقه المالكي » (١٩) :

وكانت توجد بالمدارس مكتبات بها كتب يستفيد بها الطلبة ويستعيرونها للانتفاع بها . ويقوم قاضي العسكر بالإشراف عليها لحفظها من الضياع وتعيين موظف مسئول عن خزن الكتب وحفظها وإعارتها للطلبة (٢٠) .

وللقضاة دور كبير في الإشراف على مجاوري الأزهر والمدارس الملحقة به . فهو الذي يعين موظفي الأروقة مثل شيخ الرواق فبعد أن يخلو هذا المنصب يقوم المجاورون برفع الأمر إلى قاضي العسكر الذي يقوم بتعيين شيخ الرواق (٢١) .

كما وجد بنظام الأروقة التقسيم الدقيق إلى نظام الخلوات والخزانات والطاقات ولا يسمح للمجاور بدخول الرواق والانتساب

اليه الا بعد الحصول على اذن وتذكرة من قاضى العسكر بسكنه وانضمامه الى الرواق وكذلك يقر بمقدار الخبز الذى يحصل عليه ، من ذلك » تقرير الشيخ محمد بن سليمان أبو حسن الشايبورى فى السكن والانتفاع بالخزانة الكائنة بحارة (٢٢) السادة الحنابلة بالجامع الأزهر « (٢٣) .

ونتيجة لكون المدرسة ملحقة بأحد المساجد فيقوم قاضى العسكر بتعيين الموظفين الدينيين بالمدرسة وذلك لأن المدرسة فى ذلك الوقت كانت مؤسسة اسلامية كاملة تضم الكتاب لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم وتعليمهم أوليات القراءة والكتابة ويوجد بها السبيل لسقاية الناس والدواب والمسجد لأقامة الصلوات (٢٤) .

مما سبق يتضح الآتى :

١ - يقوم قاضى العسكر بالاشراف على التعليم والمؤسسات التعليمية فى القاهرة وتعيين موظفيها من مؤدبى الأطفال والمدرسين لتعليم الطلاب . ويقوم القضاة كذلك بالاشراف على قبض مرتباتهم وهو الذى يسلك امر زيادة مرتباتهم .

٢ - خضعت المؤسسات التعليمية لمراقبة قضاة العسكر اذا كانوا يقومون بواجباتهم كما ينبغى وعزل من يتهاون منهم فى القيام بأعباء عمله ، كذلك الاشراف على المواد التى يدرسونها للطلاب وان كانوا لا يتدخلون فى اختيار منهج الدراسة .

٣ - يقوم قضاة العسكر بالاشراف على المجاورين فى الأزهر ولا يسمح للمجاور بالانتساب الى أحد الأروقة الا بعد

الاذن من قاضى العسكر له فى ذلك ومعرفة ما اذا كان هناك مكان شاغر فى الرواق أم لا ، وكذلك تخصيص مقدار الجراية الذى يحصل عليه المجاور .

٤ - كان تعيين شيخ الرواق وموظفى الأروقة المختلفين مثل النقيب وخازن الكتب وغيرهم من اختصاص قاضى العسكر وليس من اختصاص شيخ الأزهر - طول فترة الحكم العثمانى - وفى ذلك انتقاص لدور شيخ الأزهر وازدياد هيمنة قاضى العسكر عليهم وترتب على ذلك بالتالى حدوث العديد من علاقات المودة والصداقة بين المجاورين ومشايخ الأزهر وقضاة العسكر .

الإشراف على الطوائف الحرفية بالقاهرة :

شكل اصحاب كل حرفة طائفة خاصة بهم يتجمعون فيها - فهى اشبه بالنقابات المهنية فى الوقت الحاضر - وللطوائف قوانينها الخاصة بها ولا يسمح بالعمل فى نفس الحرفة الا بعد اجراء مراسيم معينة أمام أعضاء الطائفة وبحضور شيخها . وشيخ الطائفة بمثابة عامل الوصل بين الطائفة والسلطات الحاكمة فى البلاد ، كما أن عليه الحفاظ على تقاليد الصنعة ومنع الغش والتدليس فيها .

وقد بلغ عدد الطوائف الحرفية فى مصر فى ذلك الوقت « اثنتين وسبعين طائفة » (٢٥) ويبدأ إشراف القضاة على الطوائف منذ بداية ترشيح وتولية شيخها أمام الشرع الشريف من ذلك ما ورد فى السجلات « قرر مولانا قاضى القضاة . . . الحاج نصر الدين بن نجا فى المشيخة على طائفة المبسطين بمصر المحروسة ابقاء له فى ذلك على عادته ومستقر قاعدته » (٢٦) .

وينص قرار تعيين شيخ الطائفة على « كمال استحقاقه وحسن سيرته وعفته واستقامته وأمانته ومعرفته بأحوال الطائفة وقوانينها » (٢٧) وكان العلماء يتدخلون في بعض الأحيان لترجيح كفة أحد المرشحين لمشيخة الطائفة بأن يشهدوا له بالأخلاق الحميدة وبالأهلية والأمانة المؤهلة لتوليده مشيخة الطائفة (٢٨) وفي حالة حصول أحد الأشخاص على براءة سلطانية بتوليده مشيخة إحدى الطوائف كان لا يسمح له بممارسة عمله إلا بعد اقرار القاضي له في ذلك (٢٩) .

وفي حالة ترشيح أعضاء الطائفة لأكثر من واحد لتولية مشيخة الطائفة يقوم القاضي باختبار الاثنين في مواد صناعة الطائفة لاختيار الأقدر في أمور صناعة الطائفة ثم يقره من ذلك « لما حضر للشيخ مولانا قاضي القضاة . . . جماعة من التجار بسوق العطر بالفجامين بسبب مشيخة سوقهم المذكور وبعضهم طلب محفوظ الرزينخي وبعضهم طلب إبراهيم بن الجمال . . . وأشرف الأمر على الاختلال فأحضر قاضي القضاة بعض مفردات من العطر الموضوع بدكاكين أهل السوق ووضعها بين يديه في المجلس وعرضه على محفوظ وإبراهيم المذكورين بحضرة أهل السوق فلم يعرفه واحد منهما . . . وكان في المجلس من جملة تجار السوق المذكور الشيخ نور الدين علي ابن الشيخ نور الدين فسئل منه عن المفردات فذكرها فردا فردا . . . ثم اختبره حضرة قاضي القضاة وامتحنته فيما يتعلق بالعطورات والأعشاب فأحسن الجواب وثبت أنه أحق وأحق فعند ذلك قرره حضرة قاضي القضاة ونصبه وأقره شيخا على تجار السوق » (٣٠) .

وبذلك فقد كان من حق قاضي العسكر اجراء الاختبارات المختلفة للمتقدمين لمشيخة الطائفة لاختيار الأكثر معرفة ودراية بأمور الصناعة وكذلك حرصا عليها من الانهيار وحتى يمكنه الاشراف.

على أعمال طائفته وأحوال صناعته لمنع الغش والتدليس في أعمال الطائفة .

ومن حق القاضي أن يعزل شيخ الطائفة إذا ما صدر منه أمر مخالف لوظيفته أو ثبت أنه جاهل بأمور صناعته أو أنه لا يراعى أهل طائفته ويكلفهم ما لا طاقة لهم به من أحداث المظالم عليهم (٣١) كما أننا نجد أن سلطة الطائفة في عقاب أفرادها الذين يخرجون على قواعد الطائفة المقررة . كانت مقيدة بسلطة القاضي فلا بد من رفع الأمر إلى القاضي قبل اتخاذ قرار عقابه الذي يبدو أنه كان من حقه (٣٢) .

ويقوم قاضي العسكر بتجديد مشيخة شيخ الطائفة سنويا ما دام يمشى بين طائفته بالعدل ويراعى أحوالها ، وما دام أعضاؤها راضين به شيخا عليهم (٣٣) ويأمر قضاة العسكر قضاة أحياء القاهرة بالإشراف على الطوائف الموجودة في أحيائهم كذلك يأمرهم بالإشراف على أعمالهم مثل الأمر الموجه إليهم بالإشراف على الخبازين الموجودين بأحيائهم حتى يكون الخبز موجودا باستمرار وإن حدث اختلال في ذلك فيقع العيب على قضاة الأخطاط (٣٤) .

وامتد إشراف القضاة على الطوائف إلى الإشراف على أسعار وتحديداتها تحديدا دقيقا وإرسالها إلى قضاة الأخطاط لإشراف عليها كل في محلة الذي توجد به محكمته ، وإن كان هذا يبدو تعديا على أعمال المحتسب الذي لا يمر إلا مرة في اليوم كذلك كان بعض قضاة الأخطاط يصاحبون المحتسب في جولاته .

ويقوم قاضي العسكر بتحديد أسعار البضائع التي تباع في القاهرة مثل الدقيق والخبز وغيرها من البضائع (٣٥) وفي حالة حدوث أزمة في بعض البضائع يقوم القاضي نفسه بالإشراف على

بيعها حتى لا يزداد سعرها ويؤدي ذلك الى أزمة تضر بالناس ،
من ذلك عندما حدثت أزمة في الصابون في عهد بيرم باشا في عام
(١٠٣٥ هـ - ١٦٢٥ م ، ١٠٣٨ هـ - ١٦٢٨ م) فعند ذلك قرر
قاضي العسكر عدم بيع الصابون الا تحت قصره وبورقة منه
شخصيا (٣٦) .

مما سبق يتضح الآتي :

١ - يقوم قاضي العسكر بالاشراف الكامل على الطوائف
الحرفية الموجودة في القاهرة من تعيين مشايخها وكذلك
عزلهم اذا ما حدث منهم أمر مخالف لمقتضيات عملهم
وللشروط التي أخذها عليهم عند توليهم مشيخة
الطائفة .

٢ - كان من حق قاضي العسكر القيام باختبار المتقدمين
لمشيخة الطائفة في مواد صناعتهم ، حتى يرى ان كان
يستحق ذلك أو لا . وحتى يعين في هذا المنصب من هو
أحق بل أكثر داية بأمور الصناعة حفظا لها
من الغش

٣ - فرض قاضي العسكر رقابته الصارمة على الطوائف
الحرفية الموجودة في القاهرة حتى لا تخرج عن مقتضيات
حرفهم . وأدى هذا بالتالي الى قلة أعمال الغش في
الصناعة خوفا من العقاب الصارم المفروض عليهم من
جاء مراقبة قاضي العسكر .

٤ - كانت سلطة شيخ الطائفة في معاقبة أفراد الطائفة مقيدة
بسلطة القاضي فكما يبدو من الوثائق أنه لم يكن

من حق شيخ الطائفة أن يعاقب أحد أفرادها إلا بعد عرض الأمر على القاضي واتخاذ ما يراه القاضي من عقاب سواء بالتعزير أو بغيره من طرق العقاب .

٥ - اشراف قضاة الأخطاط في القاهرة على الحرفيين الموجودين في أحيائهم ولاسيما الذين تتصل أعمالهم مباشرة بالناس مثل الخبازين . وهذه السلطة مستمدة من أوامر قاضي العسكر لهم ، وإن لم يكن من حقهم تعيين مشايخ الطوائف أو عزلهم . فالسلطة التي حصلوا عليها في هذا المجال مقيدة بالأمر الصادر اليهم .

الاشراف على الموظفين :

اختص قضاة العسكر بتعيين الموظفين في القاهرة والاشراف عليهم في أعمالهم وحل منازعاتهم الوظيفية .

من ذلك « قرر مولانا شيخ الاسلام . . . شرف الدين محمد بن المرحوم الشيخ أبو زيني القباني زيد نفعة في كامل وظيفة الوزن بالقباني بوكالة المرحوم عباس اغا بخط الجمالية بمصر المحمية » (٣٧) و « قرر مولانا شيخ الاسلام . . . عبد الرازق بن الشيخ عبد الجواد الوقار الجرابي في وظيفة الجراحة بالبيمارستان المنصوري بمعلوم قدره في كل يوم نصف » (٣٨) .

بذلك يتضح أن قضاة العسكر كانوا يعينون الموظفين في مختلف المجالات في القاهرة سواء الأمناء على الغلال في موانئ القاهرة « بولاق ومصر القديمة » وكذلك تعيين الجراحين في البيمارستان ، وموظفي الوزن بالقباني وأعطى اشراف القضاة عليهم

نوعاً من الرقابة الشديدة على أعمال هؤلاء الموظفين وبالتالي أدى إلى تقليل الخطأ في أعمالهم .

وكان أى من الموظفين لا يمكنه السفر خارج البلاد من ذلك الإشراف على الشئون السلطانية والكشف عما فيها من الغلال وكميتها وكذلك إذا كانت مخلوطة بغيرها من المواد مثل التبغ ، وإذا حدث يقوم بالتحقيق فى سبب وجود ذلك (٣٩) .

وكان أى من الموظفين لا يمكنه السفر خارج البلاد حتى ولو لأداء فريضة الحج إلا بعد الإذن فى ذلك من قاضى العسكر . وفى حالة الموافقة على ذلك يقوم أمام قاضى العسكر باستنابة من يقوم عنه بوظائفه بعد الإقرار على قدرته على القيام بوظائفه ويقر بالمدة التى سيقضيها فى سفره (٤٠) .

وكان من حق قضاة العسكر عزل الموظفين الذين يقومون بالاخلال بواجبات وظيفتهم المقررة مثل عزل « الشيخ على الواطى من وظيفة الوزن بالقبان لكونه حادثاً فى الوظيفة المذكورة وصدر منه الغش والخيانة » (٤١) وكان القضاة يتلقون الشكاوى من الناس بخصوص الموظفين الذين يخرجون عن حدود وظيفتهم فيقومون بالتحقيق فى أسباب الشكاوى ومعاقبة الموظفين إذا ثبت تعدىهم (٤٢) .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - تمتع قاضى العسكر بسلطة تعيين الموظفين فى مختلف المجالات فى القاهرة والتأكد من قدرتهم على القيام بأعباء الوظيفة وأهليتهم لذلك .

٢ - من حق قاضى العسكر القيام بعزل أى من الموظفين الذين يخرجون عن مقتضيات وظيفتهم لأى سبب من

الأسباب ويتلقى شكاوى الناس ويعمل على التحقيق فيها والتأكد من مدى صحتها .

٣ - نتج عن اشراف القضاة على الموظفين قيامه بالفصل في قضاياهم الوظيفية ويشبه هذا في وقتنا الحاضر القضاء الادارى .

٤ - لا يحق لأى موظف أن يسافر خارج البلاد الا بعد الاذن له في ذلك من قاضى العسكر .

ثانيا - الاختصاصات الادارية لقضاة الشرع في الأقاليم

(أ) الاشراف على أعمال الري والزراعة :

منحت لقضاة الأقاليم اختصاصات ادارية واسعة في مجال الزراعة فقد حدد قانون نامة في المادة ٣١ « أنه بعد رى الأراضي بكاملها ، تسلم التقاوى للكشاف وشيوخ العربان ويقوم القضاة والأمناء بتوزيعها على الفلاحين بمحضر كى يتمكنوا من تحضير الأظيان السلطانية كاملة وبعد ذلك يأخذ أحد القضاة والأمناء التقاوى كاملة والغلات على البيادر ويقومون بتحرير محضر عن جبايتها ثم يودعونها شون الخاصة » (٤٣) .

اضافة لذلك فقد وقع على عاتق القضاة الاهتمام بالرى والاشراف على الجسور وذلك بتشكيل من الباشا العثماني من ذلك المرسوم الذى أصدره الوزير « داود باشا » الى القاضى باقليم المنوفية يطلب فيه منه « المرور على الجسور السلطانية والبلدية بالاقليم وتحرير كل جسر عرض وعمق وطول وما يحصل به النفع في جرفه . الذى عادة جرفه على الجرافة (٤٤) السلطانية والذى

جرفه على أهالي النواحي • ومقدار ما يصرف على الجسر السلطاني وما تحت كل جسر من البلاد • وكذلك هل المصلحة العامة والنفع في تساوى أهل الناحية في الجرف أم لا ؟ وكتابة كل جسر على حدته ••• وتبين ما في الأقاليم من الجسور التي تركت بغير جرف حتى انسدت وعميت والسبب الموجب لتركها بغير جرف ومدة ذلك وهل إذا عمرت هذه الجسور يعود نفعها ؟ « (٤٥) •

وبناء على هذا التكليف يقوم قاضى الاقليم بنسب نائبه وبعض شهود مجلسه للمرور على الجسور البلدية والسلطانية وعلى البلاد التابعة لاقليمه للاشراف على جرف الجسور جرفا يمنع المياه العالية • وذلك بالاستعانة بالخولة (٤٦) والجرافة السلطانية • وكذلك تكليف مشايخ النواحي بالحفاظ عليها وحراستها الى حين تمام الرى (٤٧) •

وفي حالة عدم جرف الجسور من مدة طويلة يتضرر الناس الى القاضى من أن ذلك يؤدى الى وجود خلل في الناحية وتشرق الأراضى الزراعية ، ويطلبون جرفه الآن في الجرف مصلحة للزراعة بالناحية كلها (٤٨). كما يقوم القضاة أحيانا في اثناء مرورهم على الجسور للاشراف عليها بالتوصية ببناء قناطر في بعض الأماكن على الجسور لفائدة الزراعة أيضا (٤٩) •

وبعد اتمام عمليات الجرف يقوم حاكم الولاية أمام القاضى بالاشهاد على نفسه أنه اجتهد وبذل الهمة في جرف الجسور والخلجان وأنه سد المقاطع وكساها كسوة جديدة حتى صارت على أحسن حال • وفي هذه الحالة يلتمس حاكم الولاية من القاضى القيام بمعاينة ذلك بنفسه • فيقوم بذلك مصطحبا معه عددا من الخولة المختصين بهذه الأمور وبعد الكشف على ذلك يقوم بكتابة حجة تبعا لما هو موجود (٥٠) •

كما يقوم القاضى فى أثناء المعاينة بأشهاد أرباب الأذراك المسئولين عن الجرف بأنهم يحافظون على أدركهم بأنفسهم أو من يستعينون به الى حين تمام الرى وكمال المنفعة (٥١) وفى حالة وجود خلل بهذه الجسور يقوم بتوضيح ذلك والكشف عليه ومعرفة السبب فيه وكذلك حدوده ، ويتم الكشف على ذلك بحضور شيخ الناحية والخولة المختصين (٥٢) .

وعند وصول الموظف المسئول عن الرى الى الاقليم كان يحمل معه مرسوما الى القاضى من الديوان يطلب منه تقديم المساعدة اللازمة له فى أعمال الرى المنوطة به ومساعدته فى تأجير المواشى اللازمة لهذه الأعمال وعدم التقصير حتى لا يقع عذر التعطيل على عاتق القضاة (٥٣) .

كما كانت تصدر الأوامر الى القضاة بالاشراف على قياس الجسور والترع ومطابقة مساحتها ، فعند قياس ترعة الشوكة المأخوذة من طين ناحية قرطسا وكنيسة الغيط بالبحيرة وجدت مساحة التربة تقدر بسنته وعشرين فداناً وثلاث فدان ونصف قيراط عن كل فدان ثلثمائة قسبة حكم الأمر بذلك (٥٤) .

وعند قيام القضاة أو من ينيبونهم عنهم بالمرور على الترع والجسور كان يتم تحديد مساحة الجسر وموقعه وطوله وعمقه وعرضه ، فى نفس الوقت تحديد ما اذا كان هذا الجسر بلديا أو سلطانيا ، وتحديد أماكن رى الناحية (٥٥) .

وفى حالات القرى التى تفرض عليها المظالم والضرائب الخارجة ويشتكى سكانها الى الديوان وفى هذه الحالة يرسل الديوان الى قاضى الاقليم بقراره برفع المظالم عن القرية وتسجيل ذلك فى سجلات المحكمة والأمر بالمناداة بذلك فى القرية مثلما حدث عندما رفعت المظالم الموجودة على قرية « لسة الطاهرية »

بالبحيرة (٥٦) وكذلك قرية « كفر المعصرة » وما عليها من المظالم
وهي بالبحيرة أيضا (٥٧) .

وتصدر الأوامر الى قضاة الأقاليم بالفحص عن الفلاحين
الهاربين من اقاليمهم أو ما تطلق عليه الوثائق « المتسحبين » الى
اقاليم أخرى هربا مما عليهم من ضرائب والتزامات مما يؤدي الى
تعطل أعمال الزراعة وبالتالي شكوى الملتزمين من ذلك . ويتم
ارسال كشف بأسماء « المتسحبين » من البلاد المختلفة الى القضاة .
وفي حالة العثور على أحدهم يتم سنؤاله أمام القاضي اذا كان قد مر
على تسحبه أكثر من عشر سنوات بشهادة شهود يترك ولو أقل
من ذلك يعاد مرة أخرى (٥٨) .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - تمتع قضاة الأقاليم باختصاصات الاشراف على الأراضي
الزراعية في الأقاليم التي تتبعهم ، تبدأ من توزيع
التقاوى حتى الاشراف على الري والجسور التابعة
لهم مما يؤدي الى اضعاف مزيد من الجدية على هذه
الأعمال .

٢ - كان حاكم الاقليم مسئولا عن أعماله أمام قاضى الاقليم .
فبعد أن يتم جرف الجسور كان عليه أن يشهد على
نفسه أمام القاضي أنه أتم أعماله على خير وجه ، وعلى
القاضى أن يقوم بالمرور عليها للتأكد من ذلك بنفسه
وأن يعطى لحاكم الاقليم حجة بذلك .

٣ - يفسر لنا اشراف القضاة على الري والزراعة تلك
الرسوم التي كانوا يحصلون عليها من مال
الكشوفية (٥٩) على الأراضي الزراعية في نظير ما يقومون
به من أعمال اشرافية في هذا المجال .

(ب) الاشراف على الجمارك :

منح قانون نامة لقاضى الثغر الحق فى مكافحة التهرب الجمركى من الجمالك والاشراف عليها والقيام بالعديد من الواجبات فى الجمارك فتذكر المادة ٢٧ « هذا وقد يتصاحب بعض جنود السباهى أو أحد من اشراف الحجاج أو الأكابر مع من يلوذ بهم من التجار عند وصول سفينة أو اقلاعها فيخلصون كل من بالسفينة من رسوم الجمارك ولا يأخذون منهم شيئا أو يساعدون على تقييم أمتعتهم بأبخس الأثمان ، فيدفعون رسوما زهيدة ، ويلحق الضرر والخسارة نتيجة لذلك بالأموال السلطانية . وعلى القاضى وأمين الجمرك أن يتحققا مما يقوله (التجار) عن بعض العبيد السود من الأسرى من أنهم من خدامهم تحاشيا لدفع رسوم عليهم (٦٠) .

واضافة الى منح التهرب الجمركى الذى تمتع به القاضى . فقد كان يسجل فى سجلاته الوارد الى الجمرك من كافة البضائع وكذلك البضائع المصدرة من الميناء ويأخذ على قابودان السفينة التعهدات اللازمة بأن يسلم البضائع الى أصحابها فى موانئ التبنام والبلدان الأخرى كما لابد من تفتيش السفن بوجود قاضى الميناء ويسجل ما بها من بضائع وما يستحق عليها من رسوم جمركية (٦١) .

ومن حق قاضى الميناء التدخل فى كل ما يخص الأموال السلطانية التى تحصل لجانب الميرى وتصدر اليه الأوامر بذلك من الديوان العالى بالقاهرة وعليه أيضا أن يقوم بإحصاء كافة المراكب الواردة الى الميناء والأموال المحصلة منها وعليه أيضا يقع عبء التفتيش الفجائى على دفاتر مباشرى الجمارك ومقارنة ما سجلوه فى دفاترهم بما سجله هو فى سجلاته (٦٢) .

ويقوم القضاة كل عام بإحصاء المراكب والقوارب التي تعمل بالنيل سواء في الصيد أو في النقل . وأسماء العاملين بها . وكذلك أسماء الضامنين لهم لأنه لا بد من وجود ضامن لكل ريس مركب حتى يلجأ إليه وقت الحاجة (٦٣) .

وفي حالة غرق إحدى السفن يقوم قاضي الثغر بالتحقيق في سبب غرقها والإشراف على استخراج ما بها من بضائع وتسجيل ذلك في سجلاته حتى يعطى لكل ذي حق حقه (٦٤) .

وعند تعيين أمين الجمر لا يسمح له بممارسة عمله إلا بعد إقرار تعيينه من جانب قاضي الثغر (٦٥) وفي حالة قدوم قناصل الدول الأجنبية يشارك قضاة الموانئ في استقبالهم عند وصولهم إلى الميناء . كما أنه في حالة وصول أوامر من الديوان العالي في القاهرة إلى القناصل في الثغر تصل أولاً إلى القاضي الذي يقوم بإبلاغها إلى القناصل (٦٦) .

وقد امتدت سلطات قاضي الثغر من الإشراف على الجمر إلى الإشراف على القلاع الموجودة بالثغر وما بها من مدافع وآلات حربية وما يحتاج منها إلى تعمیر وإصلاح ، وكذلك الكشف الدوري على ذلك ومقدار ما تحتاج إليه من أموال للانفاق على تعمیرها ، وكذلك الإشراف على مرتبات الجند المحافظين بالقلعة والإقرار بتسلمهم رواتبهم (٦٧) .

ولكن في القرن الثامن عشر ونتيجة سيطرة البكوات الماليك على مقاليد الأمور في البلاد فقد القضاة في الثغور مكانتهم كعنصر إشرافي على الجمارك كما يظهر من نصوص بعض المعاهدات .

ففي معاهدة تروجية (٦٨) مراد المعقودة في ١٧٨٥ م . « أنه ليس لقائد السويس أو لأي موظف آخر حق في تفتيش البضائع

وحق التفتيش محصور بالموظفين الذين يرسلهم باشا القاهرة
أو قادة القاهرة لهذا الغرض ، ولهؤلاء أن يحصوا الطرود ويختموها
بخاتمهم الخاص ويضعوا كشفا بها يرسلونه الى القاهرة وحال
وصول الطرود الى القاهرة ودخولها الى مخازن التجار الفرنسيين
نقض اختامها بحضور من يمثلنا ويمثل الباشا وتفتح وتستوفي
الرسوم الجمركية المحددة فيما بعد (٦٩) .

يتضح مما سبق الآتى :

١ - نيط بقضاة الثغور الاشراف على الجمارك ومنع التهريب
الجمركى ومراجعة دفاتر المباشرين للتأكد من عدم
مخالفتها للواقع وذلك حماية للأموال السلطانية من
الضياع .

٢ - كان قاضى الثغر يحضر عمليات تفتيش السفن على
الأقل فى القرنين السادس عشر والسابع عشر كما كان
يحضر استقبال القناصل العاملين بالثغرة وعند وصول
قرارات ادارية خاصة بهم من الديوان العالى كانت
ترسل الى قاضى الثغر أولا ثم يرسلها الى القناصل
بعد ذلك .

٣ - يقوم قابودانات السفن المارة بالموانئ المصرية بتسجيل
شحناتهم بشجلات القاضى الذى يأخذ عليهم اقرارات
بتوصيل هذه البضائع الى ذويها . كما يأخذ عليهم
اقرارات مماثلة فى حالة شحنهم شحنات من الموانئ
المصرية الى الموانئ الأخرى .

٤ - يقوم القضاة بالاشراف على العاملين بالمراكب النيلية .
وكذلك وبحوب وجود ضامين لهم حتى يمكن اللجوء اليهم

وقت الحاجة أو عند حدوث أى حادثة تقتضى مساءلة
رئيس المركب .

هـ - فقد قضاة الثغور الكثير من سلطاتهم الاشرافية على
الجمسارك فى القرن الثامن عشر . وهو ما يبدو من
المعاهدات المعقودة بين الأمراء المماليك وممثلى الدول
الدول الأوروبية فى ذلك الوقت .

(ج) الاشراف على الطوائف الحرفية :

أشرف قضاة الأقاليم اشرافا واسعا على الطوائف الحرفية فى
أقاليمهم غير أن مما يجدر ملاحظته أن طوائف الأقاليم كانت معزولة
عن الطوائف فى الأقاليم الأخرى ، وفى القاهرة أيضا . ففى كل اقليم
طائفة مستقلة بذاتها فى كافة أمورها ولكن وجدت بعض الطوائف
فى الأقاليم المرتبطة بالقاهرة مثل طائفة « الجبجية » (٧٠) وما يتبعها
وشيخها فى القاهرة هو الذى يعين وكلاء عنه فى طوائف الأقاليم .

وكما يبدو من الوثائق يبدأ اشراف القضاة على الطوائف
منذ تعيين شيخ الطائفة أمام القاضى ولكننا نلاحظ أن هناك طوائف
كانت تابعة للشرع الشريف ، وهذه هى التى فوض تقرير أمر
شيوخها الى القاضى .

ومن أمثلة ذلك ما تمدنا به الوثائق « قرر الحاكم الشرعى . .
الاستى صفر ابن المرحوم شاكى جاويش الخياط بالشجر شيخا على
طائفة الخياطين بالشجر لينظر فى مصالحهم بالعدالة والانصاف من
غير حيف ولا اجحاف ويضبط عليهم صناعتهم ضبطا شافيا . . .
وذلك لأهليته وكمال استحقاقه لذلك ولرضا أفراد طائفته به » (٧١) .

وكان قرار التعيين ينص على تعيين شيخ الطائفة « لرضا
أفراد طائفته ولأهليته ودرايته ومعرفته وكمال استحقاقه لذلك وأن

أهل طائفته راضون به وشاكرون من حسن صنع معروفه
معه « (٧٢) » .

في نفس الوقت يشترط القاضي على شيخ الطائفة عدم احداث
مظلمة ولا احداث حادثة أو فعل مخالف للشرع الشريف وأن يكف
الأذى عن أبناء طائفته . وأن كل من ورد من البلاد لا يمارس
الحرفة الا بعد الاذن له من شيخها (٧٣) .

غير أن الوثائق تمدنا أن الطائفة في أحيان كثيرة تكون على
مستوى الاقليم . وفي أحيان أخرى تكون على مستوى مدينة واحدة
من الاقليم . وبهذا يكون هناك انفصال ما بين الطائفة في المدينة
بتكوينها الخاص بها ، ونفس الطائفة في المدن الأخرى التابعة
لنفس الاقليم .

وإذا ما بدر من شيخ الطائفة أمر خارج عن تقاليد صناعته
أو فقد شرط من الشروط التي وضعها عليه قاضي الاقليم يقوم
القاضي على الفور بعزله من ذلك « عزل عمر بن شمس المعروف بابن
الشاعر شيخ جماعة النشارين بالشعر من مشيخة الطائفة وذلك
لخيانته وقطعه الأشجار من بساتين الثغر بغير معرفة
أصحابها » (٧٤) .

أما في حالة الطوائف التي تتبع طائفها في القاهرة مثل طائفة
الجبجية فقد كان شيخ الطائفة يعين وكيلا عنه لإدارة أمور الطائفة
في الاقليم ويعطيه تفويضا بممارسة كافة سلطاته على من يتبعه
من صناع ويقوم القاضي في هذه الحالة باقرار ذلك التعيين ويطلب
من أفراد الطائفة عدم معارضته ومساعدته في القيام بواجباته (٧٥) .

ولم تقف سلطات قاضي الاقليم عند حد تعيين مشايخ الطوائف
والإشراف عليهم بل امتدت سلطاته الى الإشراف على الأسواق
والأسعار ومراقبة من يخالف من التجار والصناع (٧٦) .

وعندما اشتكى الناس في ثغر دمياط من غلاء أسعار البطيخ والتحريج على بيعه . جمع القاضي التجار وحدد الأسعار وأمرهم بعدم احتكاره ولا بيعه بزيادة عن الأسعار التي حددت له (٧٧) في نفس الوقت عمل القاضي على حماية الطوائف من تدخل العسكريين في أمورهم وجصولهم على اتاوات منهم (٧٨) .

كذلك فقد عمل القضاة على الاشراف على الطوائف الحرفية من ناحية عدم السماح لهم بالغش في صناعتهم والتدليس فيها من ذلك الأمر الصادر من الحاكم الشرعي بثغر دمياط لطائفة الصاغة « بعدم خلط الذهب والفضة وبيعه للمسلمين بغير ضرر ولا اجحاف وكل من عارض ذلك عوقب بأشد العقاب » (٧٩) .

ما سبق يتضح الآتي :

١ - فرض القضاة رقابة شديدة الصرامة على الطوائف الحرفية أدت الى العمل على تحسين انتاجها ومنع الغش والتدليس في الصناعة ومنع التجائهم الى العسكريين وركوبهم الى حمايتهم ، وبالتالي ارتكاب الأخطاء العديدة وبذلك فقد قدمت هذه الرقابة فائدة كبيرة للناس وللصناعة في آن واحد .

٢ - يقوم القضاة بتعيين مشايخ الطوائف الحرفية وعزلهم اذا ما بدر منهم أي عمل مخالف للشروط التي اتخذت عليهم عند توليهم مشيخة الطائفة لاجداث مظلمة على أعضاء الطائفة .

٣ - كانت الطوائف الحرفية ، كما هو ثابت من الوثائق ، تضم بين أعضائها المسلمين وأهل الذمة بدون تفریق بينهما ويقوم القاضي بالاشراف عليهم جميعا .

أشراف القضاة على موظفي الأقليم :

منح القاضي اختصاصات واسعة في الإشراف على موظفي الأقليم ، ولم يكن يسمح للموظفين بممارسة أعمالهم إلا بعد إقرار القاضي لهم في وظائفهم . فعلى سبيل المثال يذكر المؤرخ ابن أبي السرور البكري « أن شخصا أبرز من بعد رجوعه من الشام حكما شرعيا من السردار الأعظم بمنصب دودارية الغربية ودفع اليه حكما شريفا بذلك خطابا للحاكم الشرعي بها . فلما ورد الداوادر المذكور بالحكم المذكور قرىء بالحكمة الكبرى بالمحلة (٨٠) » .

كما ورد خطاب من مراد بك وإبراهيم بك الى الحاكم الشرعي بشعر الاسكندرية قائلا « اقضى قضاة الاسلام نعمات افتدى قاضي الشرع الشريف والامير عبد الله جوريجي سردار مستحفظات ... أعزهم الله آمين بعد السلام لا يخفاهم أن الواصل الى عندكم الامير مصطفى أغات الخوالة تابع حضرة أخينا ميرالو قائم مقام مضر سابقا وبيده فرمان شريف من حضرة مولانا الوزير ... عن واجب سنة ١١٨٩ هـ - ١٧٥٥ م والحال عند حضوره الى عندكم تجروه على حكم الخوال السابق وتكونوا انتم واياء حال واحد في كاهل الأمور كلها » (٨١) .

ويأتي الى القاضي مراسيم تعيين الموظفين الآخرين مثل أمين الاحتساب وسردار مستحفظات أمن الجبوالى وغفنى الادراك (٨٢) .

ويقوم القاضي بالإشراف على الموظفين في الأقليم وكيفية ممارستهم لأعمالهم ويعزل منهم من يستحق العزل اذا خرج عن مقتضيات وظيفته (٨٣) في نفس الوقت الذي يشرف فيه القاضي على قبض الموظفين لمرتباتهم وتحديد عوايدهم (٨٤) .

وبعد اتمام عمل الموظفين وقبل انصرافهم عائدين الى القاهرة
لابد أن يقوموا بالاشهاد على أنفسهم أمام القاضى أنهم قد مارسوا
وظيفتهم بأمانة شديدة وأنهم حافظوا على البلاد وأقاموا العدل
بين الناس واهتموا بأمور البلاد (٨٥) .

(د) الاشراف على الحياة الدينية والتعليم :

لم تكن الدولة تنفق على المؤسسات الدينية والعلمية فى البلاد
على أساس أنه لم يكن داخلًا فى فلسفة الدولة فى ذلك الوقت
الاهتمام بهذه الأمور وتركها لرعاية الأوقاف التى ترصد على وجوه
البر والخير ومنها هذه المؤسسات الدينية والعلمية .

ويقوم القضاة بتعيين الموظفين فى هذه المؤسسات وكذلك
الاشراف عليهم وعزلهم اذا اقتضى الأمر ذلك فى حالة خروجهم عن
مقتضيات وظائفهم ، ولم يخرج الاشراف على هذه المؤسسات عن
نطاق اختصاص القضاة طوال فترات الحكم العثمانى لمصر .

وكان الاشراف على الأمور الدينية من أهم اختصاصات القضاة
فى هذه الآونة ومن القضاة من أضاف الى لقبه لقب « الناظر فى
الأحكام الشرعية والأمور الدينية » (٨٦) .

ويقوم القاضى بتعيين موظفى المساجد المسئولين عن الخطابة
والإمامة مثل تعيين « الشيخ يوسف . . . فى وظيفة الخطابة كاملة
وخطبتي العيدين الفطر والأضحى والأذان والتبليغ والفرش والوقود
بجامع المخطبة بناحية محلة أحمد . . . وذلك لأهليته وفصيلته » (٨٧) .

ويقوم القاضى بتعيين قراء القرآن الكريم فى المساجد والزوايا
والمقابر وذلك بالمرتب المحدد لهم فى استمارات الوقف وللقاضى أن
يزيد فى مرتباتهم حسبما يرى ويحدد لهم مواعيد القراءة وما يرتبط
بها من أعمال (٨٨) .

ويقوم القاضي بتعيين المؤذنين مثل تعيين « الشمسي محمد بن
المرحوم ولي الدين الكربوني في نوبة أذان بجامع الدكوى وجامع
البحر بثغر دمياط بمعلوم قدره في كل شهر من شهور الأهلة من
الفلوس النحاس عشرة أنصاف » (٨٩) .

ويعين القاضي النظار على الأضرحة لجمع النذور وتعمير
الأضرحة والتقيد بخدمتها (٩٠) وتنص قرارات تعيين الموظفين
الدينيين على « أهليته واستحقاقه وعفته وأن ذلك وضع الشيء في
محلّه » (٩١) .

في نفس الرقت الذي يقوم فيه القاضي بالنظر في مرتبات
الموظفين وإن كان يكفيهم أم لا . ويتلقى شكواهم حول ذلك . ومن
حق القاضي زيادة المرتبات إن رأى ذلك (٩٢) .

ويقوم القاضي بتعيين موظفي المؤسسات الدينية من الفراشين
والوقادين والمؤذنين (٩٣) ويقوم القضاة بالكشف الدوري على
المؤسسات الدينية وما تحتاج إليه من عمارة وغيرها حتى لا تتعطل
عن القيام بمهامها (٩٤) وفي حالة ثبوت تدهورها واحتياجها للعمارة
يأذن القاضي لناظرها بعمارتها والتقيد بذلك وعدم المخالفة ، وإقامة
الشعائر بها (٩٥) .

أما في أمور التعليم فيقوم القاضي بتعيين موظفي الكتاتيب
ويطلق عليهم « مؤدبو الأطفال » لتعليم الأطفال ، من ذلك « تعيين
الشيخ عبد الخالق بن سلامة الحساوي من أهالي ناحية محلة
داود بولاية البحيرة في وظيفة تأديب الأطفال بجامع الخطبة » (٩٦) .

ومن ذلك أيضا تعيين « الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ محمد
وولدي عمه هما عبد المتعال ومحمود بالتفاضل بينهم في وظيفة
قراءة الأطفال بالمكتب » (٩٧) .

ويقوم القاضي بتعيين المدرسين في المدارس المختلفة « قرر قاضي
القضاة . . . الشيخ الامام . . . بدر الدين حسن بن مولانا الشيخ
زين الدين يوسف في وظيفة التدريس في العلم الشريف بالمدرسة . . .
المعروفة بالمسلمية الكائنة بثغر دمياط . . . لأهليته وفضيلته
واستحقاقه لذلك » (٩٨) .

ويقوم القاضي بتعيين الفراشين المسؤولين عن نظافة المدارس
والبوابين والوقادين وهو المسئول عن تعيين النظار على أوقافها
للاهتمام بها وعدم توقف ريعها (٩٩) .

ويقوم القضاة بالاشراف على مباني المدارس وما تحتاج اليه
من عمارة حتى لا تتوقف عن أداء مهمتها في التعليم . وفي حالة
تهدمها يسمح لناظرها بالتعمير من مال الوقف المرصود عليه أو أن
يستدين على ذمة الوقف لتعميرها (١٠٠) .

مما سبق يتضح الآتي :

— يقوم القضاة في الأقاليم بالاشراف الكامل على العملية
التعليمية منذ المرحلة الأولى وهي الكتاب حتى يتم الطالب
دراسته كما امتد هذا الاشراف الى مباني المدارس نفسها
من حيث تعميرها والاهتمام بها .

— من حق القضاة عزل المدرسين الذين يثبت عليهم عدم
اهتمامهم بالدرس أو اهمالهم في أداء واجبهم .

— اشرف القضاة في الأقاليم على المؤسسات الدينية من
مساجد ومقامات وغيرها ، وتعيين موظفيها ونظارها
ومحاسبتهم عما آل اليها من دخل وما أنفق . كذلك فقد
كانوا قوة رقابية على أداء هذه المؤسسات مما جعلها
تقوم بأداء وظيفتها التي وجدت من أجلها .

ثانيا : الدور السياسي للقضاة

- (أ) تمهيد : الحياة السياسية في مصر •
- (ب) دور القضاة في الوساطة السياسية •
- (ج) موقف القضاة من فتنة السباهية •
- (د) موقف القضاة من فتنة الفرنج أحمد •

الدور السياسى للقضاة

بعد الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ م على يد السلطان سليم الأول عمل على الاحتفاظ ببقية القوى المملوكية وعدم القضاء المطلق عليهم وذلك للاستفادة منهم اداريا فى حكم البلاد ، وذلك لما لهم من خبرة فى هذا المجال ، وكذلك لجعلهم قوة عسكرية مساعدة لقوة الباشا العثمانى فى مصر وبالتالى الاستفادة منهم عسكريا فى القضاء على تمردات البدو فى مصر بحكم خبرتهم فى هذا المجال .

وقبل مغادرة السلطان سليم لمصر اتخذ بعض التدابير ، منها أنه عين خاير بك الأمير المملوكى الذى ساعد العثمانيين ضد أبناء جلدته المماليك حاكما على مصر فى يوم الاثنين ١٣ شعبان ٩٢٣ هـ ٣١ أغسطس ١٥١٧ م لقد أراد السلطان سليم أن يضمن ولاء مصر للحكم العثمانى ، لذا فقد ترك فيها حامية عثمانية تحت امرة بعض قواده ، وشكل مجلسا من أمرائه لمعاونة خاير بك فى ادارة البلاد حتى يضمن بقاء السيادة العثمانية على البلاد (١٠١) .

وبعد خروج السلطان سليم من مصر ، أعطى خاير بك الأمان للمماليك الهاربين وبعد ظهورهم أحسن اليهم ونادى عليهم بركوب الخيل وشراء السلاح والتزى بزي المماليك لا العثمانيين كما أنه أنفق عليهم الجامكية (١٠٢) كما كانوا فى العصر المملوكى (١٠٣) .

بل ان خاير بك استعان بالمماليك في قمع الانكشارية والسباهية الذين تمردوا على أوامر السلطان سليم القاضية بارسالهم من مصر الى الأناضول وتم ارسالهم بالفعل واستخدم المماليك في مصر لموازنة الانكشارية والسباهية وكثيرا ما كانت تقوم المنافسات والفتن بين الفريقين (١٠٤) .

وانضم المماليك الى الحامية العثمانية فكون العثمانيون « أوجاق الجراكسة » من المماليك الذين أظهروا خضوعا للسيطرة العثمانية وعملوا في خدمتها منذ بداية الفتح العثماني . وكان هذا الأوجاق من أوجاقات السباهية الذين عملوا في الريف . كما ان المماليك كانوا عصب أوجاق المتفرقة الذي كونه العثمانيون في عام ١٥٥٤ م وكان هذا الأوجاق يقوم بحراسة الباشا العثماني في مصر (١٠٥) .

ولكن لم يكن المماليك جميعا موالين للحكم العثماني في مصر . فقد كانوا فريقين : فريقا أعلن ولاءه للعثمانيين ولم يحاولوا الانتقام من الحكم العثماني وهؤلاء تولوا الوظائف العليا في البلاد من هؤلاء « خاير بك » الحاكم العثماني الأول على مصر . وفريقا آخر كان يكن العداء الشديد للعثمانيين ، وأعلنوا الولاء ريشما تواتيهم الفرصة للانتفاض ضد الحكم العثماني ومحاولة إعادة السلطة المملوكية مرة أخرى ، ومن هؤلاء من أنتفض ضد العثمانيين .

ومن الذين انتفضوا ضد الحكم العثماني الأمير « اينال السيفي طراباي كاشف الغربية » و « جانم السيفي كاشف البهنسا والفيوم » . فقد استغل فرصة وفاة « خاير بك » وتولية الوزير الأعظم « مصطفى باشا » الذي دخل مصر في (٢٣ ذي الحجة

١٣ تشرين ١٥٢٢ م) وقاموا بانتفاضتهم ولكن استطاع « مصطفى باشا » القضاء عليها (١٠٦) .

وبعد ذلك ركن المماليك الى الهدوء والعمل في ظل العثمانيين كما أن البلاد ظلت تنعم بالهدوء والاستقرار بقية ذلك القرن تقريبا . ومما ساعد على ذلك قوة السلطة المركزية في استانبول وانعكاس ذلك على الأوضاع في مصر ، حتى تغيرت هذه الأوضاع في الربع الأخير من هذا القرن تقريبا نتيجة للعديد من العوامل التي بدت على سطح الحياة السياسية .

فمنذ نهايات القرن السادس عشر كانت مصر تعاني كانعكاس للأوضاع في الدولة العثمانية من انخفاض العملات المحلية ، وانخفاض القوة الشرائية لمرتبات الحامية وأعضاء الجهاز الإداري وشرع كل فريق (الحامية العسكرية والجهاز الإداري) يمارس إجراءاته لتعويض العجز في الإيرادات الراجع الى فساد العملة (١٠٧) .

وبعد القضاء على فتنة السباهية التي حدثت في عهد « أويس باشا » - (١٥٨٥ م - ١٥٩٠ م) بدأت تظهر على السطح من جديد القوى المملوكية ممثلة في الصناجق المماليك وذلك لملء الفراغ الناتج عن تدهور القوة العسكرية العثمانية وعدم ثقة الولاة فيهم نتيجة لشمردهم . وعمل الولاة (١٠٨) على التحالف مع الصناجق (١٠٩) . إبان فترات الفتنة العسكرية فقبل القرن السابع عشر لم يكن للبكوات أي نصيب بارز في الأحداث (١١٠) .

ولكن بمرضى الوقت تحول الصناجق الى منافسين للولاة ، وشرعوا في استغلال التناقضات الحادثة بين « الوالى » ورجال الحامية العثمانية لينصروا هذه الفئة على تلك ، حتى اذا ما أنسوا في أنفسهم « القوة » انفردوا وأصبحوا قوة مستقلة تقف في مواجهة الوالى . . . وفي مواجهة العسكر (١١١) .

وبدأ البكوات يظهرون شجاعة وقوة متزايدة ، ففي عام (١٠٣٢ هـ - ١٦٢٣ م) رفضوا قبول الوالى المرسل من قبل السلطان ، وأصرروا على استمرار « مصطفى باشا » فى وظيفته . بل عملوا أيضا ما هو أكثر من ذلك جرأة عندما أزاحوا الوالى « موسى باشا » عن السلطة فى عام (١٠٤٢ هـ - ١٦١٣ م) لأنه قتل عددا منهم ولقى ذلك قبولا من السلطان (١١٢) .

وفى القرن السابع عشر بدأ يظهر شكل جديد من أشكال الحزبية ، كان وجود روابط التثام بين كل من البكوات الصنماجق وكبار العسكريين والدور المهم الذى لعبه السادة المتحكمون فى مراكز قيادة الانكشارية أمثال « كوجك محمد وأفرنج أحمد » (١١٣) .

وهكذا ضعف نفوذ الولاة العثمانيين فى مصر وهو يرجع بالدرجة الأولى الى عدم ولاء الأوجاقات العسكرية العثمانية . وانصرف هؤلاء الى تنمية مواردهم فى العمل فى الحرف المختلفة مما أدى الى الضعف التام (١١٤) .

وبذلك نجح المماليك بعد عودتهم مرة أخرى عن طريق البيوت العسكرية والتحالف معهم من السيطرة على مقدرات الحياة السياسية المصرية فى القرن الثامن عشر حتى أصبحت سلطة الباشا معهم معدومة فقد كان شبه محجور عليه .

كانت هذه هى صورة الحياة السياسية فى مصر فى العصر العثماني . وكان قاضى العسكر والقضاة فى الأقاليم فى قمة النظام السياسى السائد فى البلاد . وقام قاضى العسكر بالعديد من الوساطات السياسية بين الأطراف المتنازعة فى البلاد . كما غدا قاضى العسكر مسئولاً رئيسياً بجانب الباشا العثماني فى مصر عن الحفاظ على السلطة العثمانية ضد انتفاضات العسكريين أو المماليك .

ومن الجدير بالذكر أن الأطراف المتنازعة كانت تحاول اكتساب قاضي العسكر الى جانبها حتى تكسب صراعها مع الطرف الآخر . أو حتى تضمن قبول طلباتها عند الباشا العثماني .

(أ) دور القضاة في الوساطة السياسية :

لعب القضاة دورا بارزا في الوساطة السياسية منذ الفتح العثماني لمصر . فقد قام القضاء بدور الوساطة بين طومان باي والسلطان العثماني سليم الأول (١١٥) حتى ان بعض القضاة قتلوا في أثناء هذه الوساطة ومن جرائها (١١٦) .

ولعب قاضي العسكر دورا مهما في الوساطة بين الأمراء والمماليك والباشا العثماني . فمن ذلك ما حدث في عهد موسى باشا (٧ ربيع الأول ١٠٤١ هـ - ١٦١٣ م ، ١٠٤٢ هـ - ١٦٣٢ م) فقد حدثت مشكلات بينه وبين أحد الأمراء المماليك قيطاز بك فقتله ، وعندئذ ثار المماليك واجتمعوا بالرميلة ، وحضر قاضي العسكر الذي استمع لمطالب الأمراء الذين أصروا على عزل الباشا وتعيين قائمقام (١١٧) .

كما قام قاضي العسكر بالوساطة بين الأمر وعابدي باشا (٢ ذي الحجة ١١٢٦ هـ - ١٧١٤ م ١٥ شوال ١٢٢٩ هـ - ١٧١٦ م) عندما عزل بعض الأمراء من وظائفهم وعين آخرين محلهم . فأصلح قاضي العسكر بين المعزولين والباشا ، وحلفهم على المصحف بعدم الخروج على الباشا (١١٨) .

وكان يقوم قاضي العسكر بجانب الباشا العثماني بالعمل على تثبيت نفوذ السلطان في البلاد وتنفيذ أوامره فيها (١١٩) .

ومن ذلك نجد أن قضاة العسكر كانوا يقومون بالوساطة السياسية في حالة الخلافات بين الباشا والأمراء المماليك . كما

قاموا بالوساطة بين الأطراف المتنازعة وهم في ذلك كانوا بمثابة صمام الأمان للبلاد في كثير من الأحيان . وجنبوا البلاد الكثير من الفتن فقد كانوا يقومون بالوساطة برضا الأطراف المتنازعة لما لهم من مكانة دينية وسياسية معترف بها بين كل أطراف الصراعات المختلفة في البلاد (١٢٠) .

(ب) موقف القضاة من فتنة (١٢١) السباهية :

تمتعت مصر بالهدوء السياسي والاستقرار في أوضاعها المختلفة بعد استقرار الحكم العثماني بها حتى العقد الأخير من القرن السادس عشر ، عندما بدأت تتجمع في الأفق العديد من العوامل التي أدت الى فتنة أوجاقات السباهية على السلطة الشرعية في البلاد ، ممثلة في شخص الباشا العثماني . ووجدت بعض العوامل التي أدت الى هذه الفتنة .

وأهم هذه العوامل :

العامل الاقتصادي " فقد انخفضت قيمة العملة الفضية في الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، وذلك نتيجة لحاجة الدولة الى المال لدفع رواتب الجنود والموظفين المتكاثرين ، ولبسد النفقات المالية الأخرى ، كذلك أدى تدفق الفضة من أمريكا الى انهيار قيمة النقد العثماني . وقد حدث في مصر بالذات في عام ١٥١٨ م أن خفضت قيمة العملة المحلية التي تسمى البارة بمقدار النصف (١٢٢) .

وإذا كان الموظفون المدنيون قد لجأوا الى الرشوة وذلك لمحاولة تعويض النقص في مرتباتهم . فقد لجأ العسكريون الى تعويض ذلك بالقوة ونتج عن ذلك ما يسمى « الطلبة » وهي

الضرائب الإضافية التي فرضوها على القرى مما نتج عنها أضرار كثيرة وخراب البلاد وهروب الفلاحين منها (١٢٣) .

كذلك ساعد على هذه الفتنة التدهور العام في المركز السياسى للدولة العثمانية الذى بدأ خلال العقد الأخير من القرن السادس عشر . فقد انعكس هذا الأمر على مجرى الأحداث فى مصر (١٢٤) .

كذلك ارتبطت بتلك الفتنة بداية دخول العناصر الاسلامية الوافدة والعناصر العربية الى الأوجاقات العسكرية ، وصب الجند جم غضبهم فى أثناء هذه الفتنة على أولاد العرب . ومنعواهم من دخول الأوجاقات وكذلك من التزى بزي الأروام وقتلوا العديد منهم (١٢٥) .

كانت هذه هى الأسباب التى أدت الى فتنة الجند فى عهد « أويس باشا » (٣١ مايو ١٥٨٦ - ابريل ١٥٩١ م) ففى ٢ شوال ٩٩٧ هـ - ١٥٨٨ م دخلوا الى الديوان وتعدوا عليه ودخلوا حريمه وسرقوا بعض أمتعته وقتلوا ثلاثة من اتباعه . كما تعدوا على منزل قاضى العسكر (١٢٦) .

وفى يوم الأحد ٨ شوال طلب الجند قاضى العسكر « الملا أحمد الأنصارى » وكبار الشخصيات للاجتماع بهم . فأرسل « أويس باشا » الى قاضى العسكر بيورلديا أن يفعل للجند المذكورين جميع ما طلبوه حتى يعودوا للهدوء ويخلص ابنه الذى أخذوه رهينة معهم (١٢٧) .

وبذلك نجد أن القضاة لعبوا دورا بالغ الأهمية فى هذه الفترة فيدل سياق الأحداث أن القضاة كانوا بمثابة عمدة وقادة هذه الفترة العصيبة يظهر ذلك من خلال طلب « أويس باشا » من

قاضى القضاة تقديم التنازلات التى يطلبها المتمردون ، فى نفس الوقت الذى عجز فيه الأمراء عن اخضاعهم أو التعامل معهم سواء عسكريا أو بالوساطة السياسية ، وربما يكون مرد ذلك الى المكانة السياسية والدينية التى يتمتع بها قاضى العسكر ، ونظرتهم اليه باعتباره الرجل الثانى فى التنظيم السياسى والادارى فى مصر .

ولم يستطع « أحمد حافظ باشا الخادم » والى مصر (١٥٩٠ - ١٥٩١ م) أن يوقفهم عند حدهم كذلك فان « قورد باشا » (١٥٩٥ - ١٥٩٦) لم ينجح فى الحد من طغيان الحامية العسكرية وتمردتها (١٢٨) .

وفي عهد « محمد باشا الشريف » (٣٠ مايو ١٥٩٦ - يولية ١٥٩٨ م) هجم الجند عليه ومن معه وهو فى نزهة وفرقوا عنه من معه من جند وطلبوا منه الاحتكام الى الشرع الشريف أمام قاضى العسكر ولكنه فر منهم الى القلعة (١٢٩) . أما فى عهد « خضر باشا » (٢١ يولية ١٥٩٨ م - يولية ١٦٠١ م) فقد زاد تمرد الجند عليه عندما عمل على تنظيم القمح الذى تمنحه الدولة للعلماء بعد أن فسد نظام توزيعه . فأجبر الجند المتمردون قاضى العسكر على الذهاب معهم الى الديوان لتعويض مطالبهم بل تحقيقها (١٣٠) .

وقد بلغ عنف العسكر منتهاه فى عهد « ابراهيم باشا » المقتول (١٤ مايو ١٦٠٤ م - ٨ سبتمبر ١٠٦٤ م) فعندما خرج فى وقاء النيل لقطع جسر أبى المنجا اعترضوه وأحاطوا به فقطعوا رأسه وعلقوها على باب زويلة . وكان ذلك منتهى التجبر منهم لأنها المرة الأولى التى يقتل فيها ممثل السلطان (١٣١) .

وبعد مقتل « ابراهيم باشا » نتج فراغ سياسي في البلاد
ناتج عن مقتل الباشا وهو الحاكم الشرعي المعين على البلاد .
فولى العسكر المتمردون ، قاضى العسكر « مصطفى أفندي عزمى »
قائمقام على البلاد . ويظهر من ذلك مدى المكانة السياسية التى
كان يتمتع بها قاضى العسكر وكذلك فهى نوع من اسباب الشرعية
بتولية قاضى العسكر وعدم اختيار أحد من قادتهم لهذا المنصب .
وقبل قاضى العسكر هذا المنصب حفظا للبلاد من الفتن وبوصفه
مثل السلطان بعد مقتل الباشا واستمر قاضى العسكر يحكم البلاد
لمدة شهرين حتى وصل الباشا الجديد من جانب السلطنة .

واستمرت هذه الفتنة حتى قدوم « محمد باشا » قول قران
(محطم العبيد) (١٤ يونية ١٦٠٧ م - ١٢ يونية ١٦١١ م) الذى
نجح فى القضاء على الفتنة فى موقعة الخانقاه ١٦٠٩ م وقد هزم
المتمردين وقتل العديد من أفرادهم ووجد بينهم جماعة من غير
العسكر ولا يتقاضون أى علوفة وقد اندسوا بينهم لإثارة الشغب
وللفائدة الشخصية (١٣٢) .

وبعد الانتصار الذى حققه الباشا على المتمردين وانتهاء تمردهم
تدخل قاضى العسكر لحماية من بقى منهم على قيد الحياة وعدم
قتلهم ، ونفاهم الى اليمن وقبل الباشا هذه المشورة من قاضى
العسكر ونفى من بقى منهم الى اليمن (١٣٣) .

وقد ترتبت على هذه الفتنة أمور خطيرة نتجت عنها لعل
أهمها بروز دور الصناجق المماليك وذلك بعد استعانة الباشا بهم
فى القضاء على هذا التمرد واحلالهم محل القوة العسكرية العثمانية
لملاء الفراغ الناتج عن انسحاب القوة العسكرية العثمانية وبذلك
فقد بدأ التحالف بين الباشوات والصناجق الذى ما لبث أن تحول
الى صراع بين الاثنين على الاستئثار بالسلطة فى البلاد .

من ذلك يتضح الآتى :

— لعب قضاة العسكر دورا بالغ الأهمية فى القضاء على هذه الفتنة ، فقد كانوا الفئة الوحيدة المهيأة للتعامل مع هؤلاء المتمردين بحكم ما لهم من مكانة سياسية ودينية ، ونظرة المتمردين لهم على أن قاضى العسكر الرجل الثانى فى التنظيم السياسى والإدارى فى مصر .

— بعد مقتل « ابراهيم باشا » المقتول تولى قاضى العسكر قائمقام لمدة شهرين لحفظ البلاد من الفتن وللحفاظ على السلطة الشرعية فى البلاد متمثلة فيه بوصفه ممثل السلطان العثمانى بعد مقتل الباشا .

موقف القضاة من مقتل افرنج أحمد :

بعد القضاء على قوة المماليك (الفقارية والقاسمية) فى عام ١٦٦٢ م عن طريق ضربهم ببعضهم (١٣٤) ظهرت البيوت العسكر التى تكونت حول بعض القادة العسكريين وكان ولاء أتباعهم موجهة للأشخاصهم . وبدأ هؤلاء القادة فى التدخل فى الأمور السياسية فى البلاد . وفى بداية القرن الثامن عشر بدأت هذه البيوت تتحالف مع الفرق المملوكية القديمة الفقارية والقاسمية مما أعادهم مرة أخرى الى الحياة السياسية .

وتعود جذور التنافس الذى أدى فى النهاية الى ذلك الصدام الدموى بين العزبان والانكشارية الى (الحقن الطبيعى) الذى تكون لدى أقوى طائفتين عسكريتين ، كانتا تتصارعان على امتلاك السلطة وبالتالى على المكاسب التى يمكن أن يجنيها من يمتلكها وأدت القوة المادية والاقتصادية للانكشارية الى إثارة الفئات العسكرية الأخرى الأقل حظا بكثير (١٣٥) .

وحدثت تطورات داخل أوجاق الانكشارية في خلال الفترة (١٦٩٧ م - ١٧٠٧ م) تمخض عنها ظهور شخصية منفذة جديدة « افرنج أحمد » باشى أودة (١٣٦) باشى ، ليتسلط على هذا الأوجاق خاصة بعد وفاة مصطفى كتحدا (١٣٧) القازدغلى وامتدت دائرة الخلاف الى بقية الأوجاقات الأخرى ، فقد طالبت أوجاقات السباهية الثلاثة بالحقاق « افرنج أحمد » وزميله في صفوفها وساندتها في ذلك أوجاقات عزبان ، والمتفرقة والجاويشية ، وبذلك صارت الأوجاقات الستة في جانب ، وأوجاق الانكشارية في جانب آخر (١٣٨) .

وبدأت مقدمات هذه في عام ١٧٠٧ م وانفجر الموقف في عام ١٧١١ م فقد كان احتدام النزاع بين أوجاق الانكشارية والعزبان . وارتبط بهذه المعارك الداخلية في صفوف الانكشارية خلافات أخرى بين البكوات الفقارية والقاسمية كان من نتائجها الاخلال بالتوازن بين القاسميين والفقاريين ، ذلك التوازن الذى كان دعامة السلام المدنى في القاهرة (١٣٩) .

ولقد اتسمت هذه الفتنة باشتراك كل طبقات السكان فيها بمن فيهم العلماء والبدو وكان الفريقان كالآتى :

(١) الفريق « القاسمى - العزبان » :

ويضم زعماء القاسمية (ايواظ بك أمير الحج ، وابراهيم بك أبو شنب ، قانصوه بك ، الفقارية المنشقين) قيطاس بك الدفتردار وتابعه محمد بك الصغير ، عثمان بك بارم ديله - رجال أوجاقات السباهية الثلاثة - الكوملية - الجراكسة - التوفكجية - المتفرقة - الجاويشية ، والانكشارية المنشقين - عزبان السلطنة والهنادى) .

(ب) فريق افرنج أحمد « مسبب الفتنة » :

ويضم زعماء الفقارية (أيوب بك ، محمد بك حاكم جرجا ،
أغوات السباهية ، أغا المتفرقة ، كتخدا الجاويشية - مؤيدي
افرنج أحمد من الانكشارية ، الباشا العثماني ، قاضي العسكر
عربان الهوارة - عربان أولاد حبيب) (١٤٠) .

ومما يلاحظ أن موقف قاضي العسكر كان مشاركا في أحداث
هذه الفتنة كعضو في النزاع وظل محتجزا في القلعة مع الباشا
وفريق افرنج أحمد مدة القتال ، التي استمرت أكثر من شهرين
كان كل فريق يستصدر الفتاوى التي يريدونها من العلماء
المؤيدين له .

غير أن الموقف الذي اتخذته الفريق القاسمي - عربان المناوىء
للباشا وافرنج أحمد كان غير متوقع وشديد الصعوبة فقد عزلوا
الباشا وعينوا قائمقام ، كما عزلوا قاضي العسكر (١٤١) وعينوا
قاضيا آخر ليحل محله ، وكان ذلك هو السابقة الأولى من نوعها ،
بل الوحيدة التي تمدنا بها المصادر الخاصة بهذه الفترة . وربما كان
ذلك عقابا لقاضي العسكر على معاونته للفريق المهزوم . غير أننا
كذلك لا نعرف رد فعل السلطان من عزل القاضي . فان كانت عادة
المماليك قد أصبحت عزل الباشوات وتعود الباب العالي على
ذلك ، فانها المرة الأولى في عزل القاضي .

ولا ندري السبب الذي جعل قاضي العسكر يشارك فعليا في
أحداث الفتنة ، مما جعله يفقد القدرة على المصالحة بين الطرفين
كما حدث من قبل في فتنة السباهية . وربما يكون قاضي العسكر
قد احتجز مجبرا في القلعة من جانب فريق افرنج أحمد والباشا ،
وذلك حتى يمكن الاستفادة القصوى من مكانته في ترجيح كفة
هذا الفريق .

هوامش الفصل الثالث

- (١) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ١ ق ٦٧٧ ص ٧٤ .
- سجلات الباب العالي . س ٦٤ ق ٤٢ ص ١٣ .
- (٢) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ١٢٣ ق ٩٧ ص ١٧ .
- سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٦٧٠ ص ١٠٨ ، س ١٢ ق ٤٤٢ ص ٦٥ .
- (٣) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٤ ق ٧٤ ص ١٤ .
- سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٥٤٥ ص ٨٦ .
- (٤) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٩ ق ٤٥٨ ص ٦٣ ،
ق ١٦١ ص ١٩ ، ق ٥٧ ص ٧ ، س ٣ ق ١٥٦ ص ١٤ ، س ١٥ ق ٤٧ ص ١١ ، س ٥ ق ١٥٥ ص ١١ ، س ٥ ق ١٥٥ ص ٨١ ، ق ٣٥٧ ص ٥٢ ،
س ٩ ق ٤٨٦ ص ٦٧ ، س ٧ ق ٧٥٣ ص ١١٤ ، س ١٢ ق ٥٣٥ ص ٧٩ .
- سجلات الباب العالي . س ٨٦ ق ١٥١ ص ٢٥ ، ق ١٥٦ ص ١٠٠ .
- (٥) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . ق ٣٠٨ ص ٢٨ .
- أحمد شلبي : مصدر سابق ، ص ٣١٠ .
- (٦) الشهر العقاري ، سجلات تقارير النظر . س ١٥ ق ٩١ ص ٢٠ ،
س ٥ ح ٥٧٧ ص ٩١ ، س ٧ ق ٧٧ ص ١١٨ ، ق ٢٠٣ ص ٤١ ، س ٩ ق ٤٤١ ص ٦٠ ، ق ١٠٣ ص ١٢ ، س ١ ق ٦٨٦ ص ١٤ ، س ٤ ق ٦٢٦ ص ٥٨ ،
س ١٨ ق ٢٢٣ ص ٣١ . سجلات الباب العالي س ٨٦ ق ٣٢٤ ص ٤٩ ،
س ١٧٣ ق ٣٧ ص ١١٢ ، س ٦٣ ق ١٢٦ ص ٢٦ .
- (٧) الدميري : مصدر سابق ، ص ٧٨ .

(٨) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي س ٨٦ ق ٥٤٤ ص ٨٢ ،
س ٦٥ ق ٧٧١ س ٢٠٩ ، س ٦٣ ق ٣٧٢ ص ٧٦ .

(٩) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ٣ ص ١ .

(١٠) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٤ ق ٤٨١ ص ٤٤ ،
س ٣ ق ٤٥١ ص ٢٨ .

— سجلات الباب العالي : س ٥٤ ق ٧٠٧ ص ١٦١ .

(١١) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٩ ق ٢٢٩ ص ٣٩ ،
س ٥ ق ٤٣٠ ص ٦٦ ، ق ٣٢٣ ص ٤٧ ، س ١٨ ق ٥٣٥ ص ٨٣ ، س ٣
ق ٣٢٣ ص ٤٧ ، س ١٥ ق ١١٢ ص ٢٥ ، س ١٥ ق ١٢٥ ص ٢٨ .

(١٢) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ١٥١ ق ٥٣٥
ص ١٢٦ ، س ١٢٣ ق ١٦٧ ص ١٦٠ .

— سجلات تقارير النظر . س ١ ق ٥٨٧ ص ٦٤ .

(١٣) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٥٧٣ ص ٩١ ،
س ٤ ق ٨٥٣ ص ٧٦ ، س ١ ق ٨٤٣ ص ٩٠ ، س ١٧٣ ق ٢٩٦ ص ١٠٦ ،
س ٦٣ ق ١٣٢٣ ص ٣٠٨ ، س ٧٠ ق ٣٤٨ ص ٨١ .

(١٤) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ١٥ ق ١٥٩ ص ٣٤ ،
س ١ ق ٣٠٣ ص ٣٤ .

— سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٨٦٣ ص ١٨٤ ، س ٧٠ ق ١٠٣٨
ص ٢٧٥ ، س ١٧٣ ق ٤٢ ص ٣٨٠ .

(١٥) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٥ ق ١١٢٦
ص ٣٢٢ .

(١٦) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٥ ق ٩١ ص ٥ ،
س ٨٤ ق ١٥٨٠ ص ٣٢٨ .

(١٧) د/ صلاح أحمد هريدي علي : التعليم في مصر في القرن الثامن عشر
دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٧٨ .

(١٨) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ١٢٣ ق ٢٧٤ ص ٢٨ ،
س ١٧٣ ق ٢٩٥ ص ١٠٦ .

(١٩) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ١٥٧ ق ٧٢٤
ص ٢٠٦ .

- (٢٠) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٨٦ ق ١٧٣ ص ٢٨ ،
س ٩٤ ق ١٩٤ ص ٤١ .
- (٢١) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٧ ق ٣٧٨ ص ٦٣ ،
ق ٢١٠ ص ٤٢ .
- (٢٢) حارة : يتصد بها الطرقات التي بين الأورقة والمخصصة للمرور .
- (٢٣) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٤٠ ص ٦ ،
س ١٢ ق ١٥١١ ، س ١٨ ق ٤١١ ص ٦٢ ، س ٣ ق ٦١٩ ص ٥٧ ، س ٧
ق ٦١٠ ص ٩٥ ، س ٥ ق ٣١٣ ص ٤٥ ، س ٧ ق ٧١٧ ص ١٠٦ ، س ٩
ق ٣٥٧ ص ٤٩ .
- سجلات الباب العالي . س ٩٤ ق ٩١ ص ١٨ ، س ١٥٧ مكرر
ق ١٣٧ ص ٤١ ، س ١٢٣ ق ٢٤٥ ص ٤٨٠ .
- (٢٤) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ١٢ ق ٣٧٠ ص ١٤ ،
س ٩ ق ٣٨٧ ص ٧٢ .
- سجلات الباب العالي . س ٧٠ ق ١١٣١ ص ٢٩٤ ، س ٦٣ ق ٣٦٤
ص ٧٥ ، س ٣١٦ ص ٦٦ .
- (٢٥) الجبرتي : مصدر سابق ، ج ٢ ص ٢٣٢ .
- (٢٦) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٣ ق ٢٣
ص ٤ .
- (٢٧) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٩ ق ٤٩٦ ص ٧٠ .
- سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٩٧٦ ص ٢٢٥ ، ق ٦٧٩ ص ١٤١ .
- (٢٨) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٤ ق ١٤٥
ص ٣٩ .
- (٢٩) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ١٤ ص ٢٢ .
- (٣٠) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٣ ق ٣٧٩
ص ٧٧ انظر ملحق رقم ٤ .
- (٣١) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٣ ق ١٥٥٦
ص ٣٧١ .
- (٣٢) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ١٥٣ ق ٤٩٨
ص ١٧٥ .

- (٣٣) الشهر العقاري : سجلات محكمة البرمسية ، سن ٧٠٣ ق ٤٢٩
ص ٢٤١ .
- (٣٤) الشهر العقاري : سجلات محكمة البرمسية ، سن ٧٠٣ ق ١
ص ١ .
- (٣٥) الشهر العقاري : سجلات محكمة البرمسية ، سن ٧٠٣ ق ٣
ص ١ ، سن ٧٠٣ ق ١٣٥ ص ٢٤٢ ، ق ١٢٨ ص ٢٤١ .
- (٣٦) أحمد شلبي عبد الغنى : مصدر سابق ، ص ١٤١ .
- (٣٧) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . سن ٤ ق ٢٧٩ ص ٢٧ ،
سن ٣ ق ٤٣ ص ٤ ، ق ١٢٣ ص ١١ ، سن ٩ ق ٤٦٩ ص ٦٤ ، سن ٥ ق ١٥٥
ص ٢١ .
- سجلات محكمة الباب العالي . سن ٧١ ق ١٢٥٠ ص ٣١٤ .
- (٣٨) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . سن ٦٣ ق ١٩٣٢
ص ٦٤٣ ، سن ٧٠ ق ١٢٣٩ ص ٣١٣ .
- سجلات تقارير النظر . سن ٣ ق ٢٦ ص ٣ .
- (٣٩) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . سن ٦٣ ق ١٢٥
ص ٣٤ .
- (٤٠) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . سن ٦٣ ق ٤٠٧
ص ٨١ .
- (٤١) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . سن ٤ ق ١٠٨٧
ص ٩٦ .
- (٤٢) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . سن ٥٤ ق ٣٤ ص ٩ .
- (٤٣) قانون نامة مصر المادة ٣١ ص ٦٩ .
- (٤٤) كانت الجسور آنذاك ثومين : جسور سلطانية أى أن جرفها
واتقانها ، وحمايتها كانت منوطة بالحكومة ، وأن كل ما تتكلفه على جهة
الخزانة العامة ، وجسور بلدية يكون جرفها واتقانها وحمايتها على أهل القرية
أو القرى الواقعة هذه الجسور في زمامها ، وكل ما تتكلفه يكون على الملتزم
أو الملتزمين بهذه القرى ، وأن ثبت أن الملتزمين أصبحوا يكلفون أهل القرى
بكل هذه الاعباء ، كما أصبحت تنص على ذلك عقود الإيجار وحجج الاسقاطات .
انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن . مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٤٥) دار الوثائق : الأحباس والجيتور السلطانية بإقليم القريية والمنوفية عام ١٠٩٠ هـ رقم ١٢٥٦ ص ١٧٢ انظر ملحق رقم ٣ .
(٤٦) الخولى : الأصل فى عمل الخولى هو الاشراف على زراعة اراضى الوسيية ولكن نظرا لأن الاموال الأميرية كانت لا تجبى إلا على الأرض المروية التى تتى زراعتها فعلا أصبحت عمليات المسح هذه تتم بمرور الزمن على يد الخولى فأصبح لكل ناحية خولتها وكان الخولى ملوما بمعرفة حدود القرية .
انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن مرقع يابى ص ٤٦ .

- (٤٧) دار الوثائق : دفتر الجسور . رقم ١٣٥٦ ص ١٨٣ .
- (٤٨) دار الوثائق : دفتر الجسور . رقم ١٣٥٦ ق ١٤١ ص ٨٧ .
- (٤٩) دار الوثائق : دفتر الجسور . رقم ١٣٥٦ ق ٣٩ ص ٣٨ .
- (٥٠) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ٤١٩ ص ٢٣٠ .
- (٥١) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٣ ق ١٦ ص ٥٦ ،
س ٢٧ ق ٢٤٦ ص ١٣١ .
- (٥٢) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٨ ق ٢٥ ص ١٥٠ .
- (٥٣) دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ٢٢ ص ١٥٩ .
- (٥٤) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٥ ق ٢٣٤ ص ١١٣ .
- (٥٥) دار الوثائق : دفتر الجسور . رقم ١٣٥٦ ق ٣٠٥ ص ١٦٤ .
- (٥٦) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٥ ح ١٥٤ ص ٥٤ .
- (٥٧) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٩ ق ٢٤٤ ص ١٢٩ .
- (٥٨) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥١ ق ٣٨٠ ص ١٠٩ ،
ق ٣٨١ ص ١٠٩ ، س ٣٠ ق ٢٤٨ ص ١٢٠ ، ق ٢٨٣ ص ١٣٢ ، س ٢٤
ق ١٤٩ ص ٧١ .

(٥٩) الكشوفية : هى الضريبة المخصصة لسد نفقات الادارة المحلية فى الاقاليم مثل مرتب الكاشف ، وترميم الجسور ، وشق الترع ، ومرتبسات العسكر المحليين ، وهذه الضريبة لم تسجل فى دفاتر الالتزام فى السنوات الاولى من تطبيق النظام ، ولكن بدأت تظهر فى الدفاتر ابتداء من ١٠٧٩ هـ ١٦٦٨ م واتضح من تتبع دفاتر الالتزام أن بعض القرى معفاة من الكشوفية واتضح كذلك من دفاتر الالتزام أن بعض القرى كانت تدفع نوعين من الكشوفية كشوفية قديمة وكشوفية جديدة . وتفسير ذلك أنها كانت تدفع ضريبة الكشوفية التى كانت عليها ورات الادارة أن تزيد ضريبة جديدة . انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

- (٦٠) قانون كامة المادة ٢٧ ص ٥٦ .
- (٦١) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٧٨ ق ١٤ ص ١٢ ،
ق ١٨٣ ص ١٤٣ ، ق ١٨٢ ص ١٤٤ ، س ٤٥ ق ١٣٣ ص ٥٧ ، س ٢٧٩ ق ٤٧٤
ص ٥٧ ، س ٢٧٩ ق ٤٧٤ ص ٣٧٣ ، س ٢٧٧ ق ٢٧١ ص ٢١٢ .
- (٦٢) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٧٤٥ ص ١٤٧ .
- (٦٣) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٦ ق ٤٥ ص ١٦ .
- (٦٤) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٧٩ ق ٤٤٠ ص ٣٤٢ .
- (٦٥) دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ١٢ ص ٨٩ .
- (٦٦) دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ١٢ ص ٨١ .
- (٦٧) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦٢ ق ٦٨ ص ٥٠ ،
س ١٥١ ق ١٢٩ ص ١١٣ ، س ٦٢ ق ٧٦ ص ٥٣ ، س ١٥٠ ق ٦٣ ص ٥٩ .
- دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ١٠ ق ٢٦٨ ،
ص ٢٦١ ، س ٢٦٦ .

(٦٨) تروجية : ضابط بحري فرنسي كان مبعوث المارشال دي كاستري
وزير البحرية الفرنسية وشوازيل جوقيه سفير فرنسا لدى السلطان العثماني
لعقد معاهدة تجارية مع المماليك بقيادة ابراهيم بك ومراد بك . ووقعت المعاهدة
في ١٧٨٥ م . انظر د/ عبد الوهاب بكر . مرجع سابق ص ٩٠ .

(٦٩) د/ عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني
من القرن الثامن عشر — دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ — حيث وردت المعاهدة
كملحق ص ٢١٩ .

(٧٠) الجبجي : وهو الحاكم على البارودية وعليه القيام بتحصيل بارود
السلطنة المقررة على بلاد معلومة لأجل حفظ القلاع . وله عوائد على طرف الميرى
مربة من اصل المصاريف المرية . انظر حسين أفندي الرونامجي . مصدر
سابق ص ١٨ .

- (٧١) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٥١ ق ٤٣ ص ٣٩ ،
س ٦٢ ق ٦٩ ص ٥٠ ، س ٥٦ ق ٣٥ ص ٢١ ، س ٢٧٧ ق ٢٦ ص ١٢ .
- سجلات محكمة البحيرة . س ٣٧ ق ١٤٤ ص ٩٧ .
- (٧٢) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦٥ ق ٨٨ ص ٥٩ ،
- (٧٣) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٤ ق ١٢٣ ص ٥ ،
س ٣٩ ق ١١٣ ص ٥٩ ، س ٢٨ ق ٣٢ ص ١٩ .

- (٧٤) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦٤ ق ٢٨٣ ص ١٣٧ .
- (٧٥) دار الوثائق : محكمة دمياط . س ٥٩ ق ٢٨٦ ص ١٥٤ ، س ٦٤ ق ٤٣٣ ص ٢٢٦ ، س ٦٢ ق ٧٠ ص ٥٠ .
- (٧٦) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٤٥ ق ٣٤ ص ١٤ ، ق ٣٣٩ ص ١٣٤ .
- (٧٧) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٩ ق ٩٢ ص ٤٨ .
- (٧٨) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ٩٥ ص ٢٧ .
- سجلات محكمة دمياط . س ١٥٥ ق ٢٢ ص ٣٠ .
- (٧٩) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦٠ ق ١٨ ص ١٠ .
- (٨٠) محمد بن أبي السرور البكري : كشف الكربة برفع الطلبة . تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٣ لعام ١٩٧٦ م ص ٣٤٧ .
- (٨١) دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ١٢ ص ٤٢ و ص ١٠ ، س ١٣ ص ١٣ ، س ١٢ ص ٧٩ .
- (٨٢) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦٠ ق ١٨ ص ١٠ م
- (٨٣) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٧٤٨ ص ١٤٩ .
- (٨٤) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٦ ق ٢١ ص ١١ .
- (٨٥) حسين أفندي الروزنامجي : مصدر سابق ص ١٦ .
- (٨٦) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٣٠ ق ٢٨١ ص ١٣١ .
- سجلات محكمة البحيرة . س ١٦ ق ١١٤ ص ٦٩ ، س ٣٥ ق ١٩٣ ص ١٤٠ ، س ٣٧ ق ٩١ ص ٥٩ ، س ١ ق ٣١٩ ص ٢٤٨ .
- (٨٧) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ١٣٤ ص ٦٢ ، س ٢٩ ق ٤ ص ٢ .
- سجلات محكمة دمياط . س ١٥٥ ق ٣١ ص ٣٧ .
- (٨٨) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٣٠ ق ١٩٥ ص ٩٣ .
- سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ٤٣٣ ص ٢٤٠ .
- (٨٩) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٧ ق ٥ ص ٥ .
- (٩٠) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٦ ق ٢٠ ص ١١ ، س ٥٩ ق ٦٢ ص ٣٢ ، س ٥١ ق ١٩٩ ص ٧٦ .
- (٩١) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ١٠٥ ص ٤٦ .

(٩٢) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٨٥٥ ص ١٩٠ ،
(٩٣) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٥٠ ق ٤٠ ص ٣٩ ،
س ١٦٠ ق ٢٠٣ ص ١٥٨ .

— سجلات محكمة البحيرة . س ٢٩ ق ٤٨ ص ٢٢ .
(٩٤) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ١٦ ق ٥٦ ص ٣٣ .
(٩٥) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ٧٢ ص ٣٣ .
— سجلات محكمة دمياط . س ٥١ ق ٢٠٩ ص ٧٩ .
(٩٦) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٣ ق ١٣٠ ص ٦٤ .
(٩٧) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٣ ق ٢٧ ص ١٢ .
(٩٨) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٩ ق ١١ ص ٦ ،
ق ٥٤ ص ١٩ ، س ٣٠ ق ١٢٨ ص ٦٨ ق ٢٧١ ص ١٣١ ، س ٥١ ق ٣٠٨
ص ١١٩ ، س ١٦٥ ق ٣٢ ص ٤٥ .

(١٠٠) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٥٦ ق ٣١٣ ص ٧٣ .
(١٠١) د/ أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني لمصر والشام . دار
النهضة . القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٣ .

(١٠٢) جامكية : من الفارسية (جامة) بمعنى اللباس ومعناها اللغوى
كما يرى دوزى ، هو مصروفات دولاب الملابس — والجامكية فى الاصطلاح الجراية
الشهرية فهى من ناحية أجر ومن ناحية منحة . انظر د/ أحمد السعيد
سليمان — مرجع سابق ص ٥٩ .

(١٠٣) ابن اياس : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ .

(١٠٤) د/ عبد الكريم رافق : مرجع سابق ص ١٢٧ .

(١٠٥) عراقى يوسف محمد : الاوجاقات العثمانية مرجع سابق

ص ٧٥ .

(١٠٦) د/ عبد الكريم رافق : مرجع سابق ص ١٢٩ .

(١٠٧) د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق ص ١٤ .

F.M. Holt, the beylicate in attoman Egypt

during the seventeenth century Bulletins of school, of. oriental
and African. Studies. P. 218.

(١٠٨) الوالى : ينبغى الا نخلط فى الفهم بين الوالى والباشا فهى هنا

يقصد بها الباشا الحاكم العثماني على مصر . اما كلمة الوالى فقد اطلقت

على الموظف المسئول عن الأمر في القاهرة والذي تركت سلطته في مفاصلة
المخالفين بالفراغات أو بعقوبات أشد . وكان يصحبه في جولاته النهارية
والليلية عدد من الجنود وكان يسمى أيضا زعيما وبالتركية (صوباشي) . انظر
أندريه ريمون - فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية - ترجمة
زهير الشايب - مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٧٤ ص ٣٤ .

(١٠٩) الصناجق : صنجق اصطلاح مستعمل في الادارة المصرية في العصر
العثماني يدل على رتبة بك . والصنجد بك في الاستخدام المصري كان أساسا
متقلدا لرتبة وليس متقلدا لوظيفة أو عمل محدد . ولم تكن هذه الوظيفة
مقصورة على المالبيك فقد شاركهم فيها الأسراك . انظر
P.M. Holt., beylicate. P. 219. وانظر د/ عبد الكريم رافق ، مرجع

سابق ص ١٧٤ .

(١١١) د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق ص ١٦ .
P.M. Holt. Op. Cit., P. 219.

(١١٢)

P.M. Holt. Op. Cit., P. 218.

(١١٣)

وعن الشخصيات المملوكية المتحكمة انظر لنفس المؤلف مقالة
The career of KUCUK Muhammad. 1676. 1694, P.S.O.A.S. XXVI.
1963.

وأيضا انظر د/ عبد الوهاب بكر . مرجع سابق ص ٢٣ .

(١١٤) عراقى يوسف محمد : الاوجاقات مرجع سابق ص ٢٤١ .

(١١٥) ابن ابياس : مصدر سابق ج ٥ ص ١٥٩ .

(١١٦) نفسه ونفس الجزء ص ١٦٦ .

(١١٧) أحمد شلبي : مصدر سابق ص ١٤٣ .

(١١٨) محمد بن أبي السرور البكري : النهضة مصدر سابق . ورقة ٥٧ .

(١١٩) الجبرتي : مصدر سابق . ج ١ ص ١٩٤ .

(١٢٠) أحمد شلبي : مصدر سابق . ص ٢٦٨ .

(١٢١) درج المؤرخون على استخدام لفظ « الثورة » عند حديثهم على
فتنة السباهية ولكن المصطلح العلمى الدقيق للثورة لا ينطبق على هذه الحالة
التي يصح أن نطلق عليها « تمرد » أو « فتنة » وذلك لانعدام التأييد الشعبى
الذى يعد أهم ركائز الثورة .

- (١٢٢) د/ عبد الكريم رافق : مرجع سابق . ص ٢٤٤ .
- د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٤ .
- د/ عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق . ص ٧٩ .
- (١٢٣) محمد بن أبي السرور البكري : كشف الكربة . مصدر سابق . ص ٣١١ ولنفس المؤلف :
- النزهة الزهية — مصدر سابق . ورقة ٤٠ .
- محمد البرلسي السعدي الدمياطي : بلوغ الارب برفع الطلب — تحقيق
- د/ عبد الرحيم عبد الرحمن — المجلة التاريخية المصرية العدد ٢٤ عام ١٩٧٧ . ص ٢٨٧ .
- P.M. Holt. Egypt, and the Fertile, crescent. (١٢٤)
1516, 1922 London 1966. P. 71.
- (١٢٥) محمد البرلسي السعدي : مصدر سابق . ص ٢٨٨ .
- محمد بن أبي السرور البكري : النزهة الزهية مصدر سابق ورقة ٣٠ .
- ولنفس المؤلف انظر كشف الكربة مصدر سابق ص ٣١٦ .
- د/ عبد الكريم رافق مرجع سابق ص ٢٤١ .
- (١٢٦) محمد بن أبي السرور البكري : المنح الرحمانية مصدر سابق . ورقة ١٠٨ . ولنفس المؤلف انظر :
- كشف الكربة مصدر سابق . ص ٣١٥ .
- النزهة الزهية مصدر سابق . ورقة ٣٠ .
- احمد شلبي عبد الغني : مصدر سابق . ص ١٢٢ .
- محمد البرلسي السعدي : مصدر سابق . ص ٢٨٧ .
- عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٥ .
- عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٥ .
- محمد بن عبد المعطي الاسحقاني : مصدر سابق . ص ١٥٧ .
- (١٢٧) محمد بن أبي السرور البكري : كشف الكربة . مصدر سابق . ص ٣١٧ .
- عبد الكريم رافق : مرجع سابق . ص ٢٤٢ .
- P.M. Holt. Op. Cit., P. 71.

(١٢٨) محمد بن أبي السرور البكري : كشف الكربة . مصدر سابق .
ص ٢٢٣ .

— د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٥ .

(١٢٩) محمد بن عبد المعطي الاسحاقى : مصدر سابق . ص ١٦١ ،
أحمد شلبى : مصدر سابق . ص ١٢٥ .

(١٣٠) جورجى زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامى الى
الآن مطبعة الهلال — الفجالة — القاهرة ١٩١١ م . ط ٢ ج ٢ ص ٢٥ .

— انظر كذلك محمد البرلسى السعدى : مصدر سابق . ص ٢٩٣ .

— محمد بن أبي السرور البكري : النزهة مصدر سابق . ورقة ٣٤ .

(١٣١) الاسحاقى : مصدر سابق . ص ١٦٧ .

— محمد البرلسى : مصدر سابق . ص ٢٩٦ .

— أحمد شلبى عبد الغنى : مصدر سابق . ص ١٢٩ .

— محمد بن أبي السرور البكري : المنح الرحمانية — مصدر سابق

ورقة ١٣٦ . P.M. Holt. Op. Cit., 73

(١٣٢) محمد بن أبي السرور البكري : المنح الرحمانية — مصدر

سابق — ورة ١٤١ .

— ولنفس المؤلف كشف الكربة — مصدر سابق . ص ٣٢٣ .

— محمد البرلسى السعدى — مصدر سابق . ص ٣٣٢ .

— أحمد شلبى عبد الغنى : مصدر سابق . ص ١٣٢ .

— د/ عبد الكريم رافق : مرجع سابق . ص ٢٥١ .

— د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٦ .

— جورجى زيدان : مرجع سابق . ص ٢٨ .

P.M. Holt. Op. Cit., P. 75.

(١٣٣) محمد بن أبي السرور البكري : المنح الرحمانية — مصدر

سابق — ورقة ١٤٤ ولنفس المؤلف انظر الروضة المأنوسة — مصدر سابق .

ص ٢٦ .

— محمد البرلسى السعدى : مصدر سابق . ص ٣٣٣ .

— محمد بن عبد المعطي الاسحاقى : مصدر سابق . ص ١٧١ .

— جورجى زيدان : مرجع سابق . ص ٢٨ .

(١٣٤) إبراهيم بن أنى بكر الصوالحي العوضى : تراجع الصواعق في واقعة الصناجق تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . المعهد الفرنسى للأثار الشرقية . القاهرة ١٩٨٤ . ص ٩٨ وما بعدها .

(١٣٥) أندريه ريمون : فصول . مرجع سابق . ص ٢٢٥ .

(١٣٦) باش أودة باش : كان الأوجاق يتكون من عدد البكوات تضم جماعات من العسكر . ويحتوى البلوك على عدد من الأضات (أودة . أوضة) حيث يتجمع عدد من العسكريين في اطار واحد ويرأس كل أوضة رئيس يعرف باسم أودة باشى . ويرأس كل مجموعة من هؤلاء باشى أودة باشى - انظر عراقى يوسف محمد الأوجاقات مرجع سابق . ص ٩٢ .

(١٣٧) كتحدا . . بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء : وهى كلمة فارسية الأصل تعنى فى الأصل رب البيت ويطلقها الفرس على السيد الموقر وعلى الملك ويطلقها الترك على الموظف المسئول والوكيل المعتمد والأمين . انظر د/ محمد السعيد سليمان مرجع سابق . ص ١٧٦ .

(١٣٨) الشيخ على بن محمد الشاذلى : الفراء ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة . (القاهرة ١١٢٣ هـ - ١٧١١ م) تحقيق د/ عبد القادر طليعات - المجلة التاريخية العدد ١٤ عام ١٩٨٦ ص ٣٢٧ انظر أيضا - عبد الرحمن الجبرتى - مصدر سابق ج ١ ص ٥٠ ، أحمد شلبى - مصدر سابق - ص ٢٣٨ د/ عراقى يوسف محمد - مرجع سابق - ص ١٠٢ ، د/ عبد الكريم رافق - مرجع سابق ص ٢٩١ .

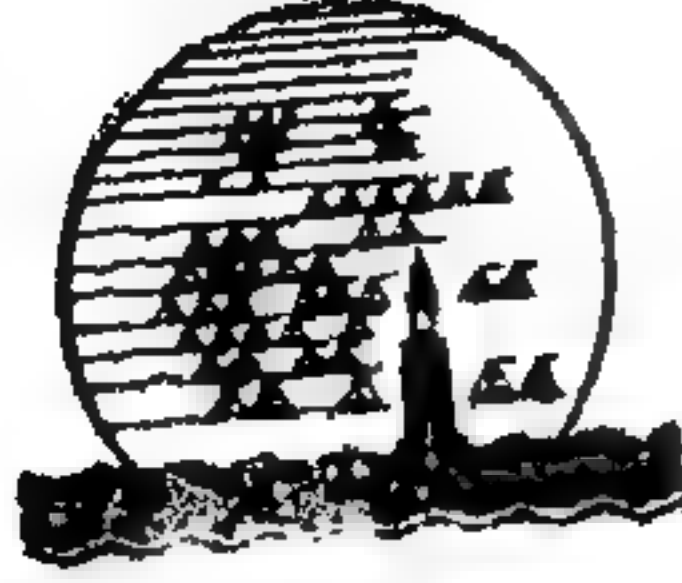
(١٣٩) أندريه ريمون : فصول - مرجع سابق . ص ٢٢٩ .

(١٤٠) أحمد شلبى عبد الفنى : مصدر سابق . ٢٣٨ - الجبرتى - مصدر سابق . ج ١ ص ٤٨ .

- على بن محمد الشاذلى الفراء : مصدر سابق . ص ٣٥٨ .

(١٤١) أحمد الدمرداش كتحدا عربات : الدرة المصانة فى أخبار الكنانة تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - المعهد الفرنسى للأثار الشرقية - القاهرة ص ١٠١ .





General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقضاة

أولاً - الحياة الاجتماعية للقضاة :

- (أ) الأصول الاجتماعية للقضاة
- (ب) العلاقات الاجتماعية للقضاة بالطبقة الحاكمة
- (ج) العلاقات الاجتماعية للقضاة بالشعب المصري
- (د) تعليم القضاة ونتاجهم الأدبي

1941

1942

1943

1944

1945

الحياة الاجتماعية للقضاة

تمهيد :

كان المجتمع المصرى فى العصر العثمانى يتكون من فئات لكل فئة منه سماتها تميزها عن الفئات الأخرى فى الملابس والعادات بل مركوبها الخاص بها الذى لا تشاركها فيه فئة أخرى . ومع هذا ينبغى ألا نفهم من هذا أن كل فئة عاشت بمعزل عن الفئات الأخرى . فقد كان هناك العديد من أشكال العلاقات المتشابهة بينها .

وبصفة عامة فقد انقسم المجتمع المصرى فى هذه الأثناء الى طبقتين أساسيتين هما :

(١) الطبقة الحاكمة وهى تتكون من رجال الادارة والحكم من العثمانيين والماليك .

(ب) الطبقة المحكومة وهى تتكون من الشعب المصرى .

ومما يجدر ذكره أن الشعب المصرى الذى كون الطبقة المحكومة كان ينقسم الى عدة فئات تدرجت تدريجا اجتماعيا من حيث المكانة والأهمية فهى بمثابة عدة فئات داخل الطبقة الواحدة . ووجد على قمة السلم الاجتماعى لهذه الطبقة العلماء بما يمثلونه من أهمية دينية واقتصادية يليها التجار والحرفيون من أبناء الشعب ،

ويندرج في هذه الطبقة أهل الذمة الذين شكلوا جزءا مهما من النسيج الاجتماعي للشعب المصري .

وقد تعددت العلاقات بين القضاة وهذه الفئات المختلفة فمن المعروف أن قاضي العسكر كان يمثل القوة الموازية للباشا العثماني في مصر وعلى ذلك تمتع بمكانة كبرى بين فئات الشعب المصري وخاصة فئة العلماء التي تميزت بخصوصية معينة - كما سنرى - في نفس الوقت كان لهم علاقات قوية مع طبقة الحكام بحكم انتمائهم الى نفس الطبقة .

وتمتع القضاة بمكانة كبرى بين الشعب المصري وذلك بحكم نظرتهم اليهم كعلماء دين أفاضل لهم مؤلفاتهم الدينية والأدبية ، ولهم دروسهم التي يعقدونها في المساجد المختلفة في أمور الدين . كما أنهم المدافعون عنهم ضد أي اعتداء يقع عليهم من رجال الإدارة في البلاد .

الأصول الاجتماعية للقضاة :

يذكر كل من تعرض لذكر الأصول الاجتماعية للقضاة بين ثنايا كتابتهم أن قضاة العسكر في مصر منذ فتحها العثماني في عام ١٥١٧ م حتى قدوم الحملة الفرنسية عام ١٧٨٩ م كانوا من بين الأتراك (١) القادمين من استانبول وإن أول قاضي عسكر مصري هو الشيخ أحمد العريشي في عهد الحملة الفرنسية (٢) .

ولكن بالبحث في المصادر الخاصة بهذه الفترة اتضح أن مناصب القضاء المختلفة وعلى رأسها قاضي العسكر لم تكن حكرا على الأتراك إنما تولاه أيضا علماء من المصريين . وإن قبل عددهم ممن تلقوا تعليمهم في المدارس العثمانية في استانبول

واستوفوا الشروط العلمية الواجبة فيمن يتبوا هذا المنصب ،
ومن هؤلاء الشيخ أحمد بن محمد بن عمر الملقب بشهاب الدين أحمد
الخفاجي المصري الذي كان والده أحد علماء الأزهر وتلقى تعليمه
في استانبول . وتولى القضاء ببلاد روم ايلي مثل مدينة اسكوب
وغيرها في زمن السلطان مراد واشتهر بالفضل حتى تولى قضاء
سلانيك وبعدها تولى قضاء عسكر مصر (٣) .

ويحدثنا هو عن تعليمه الذي كان سببا في وصوله الى هذا
المنصب قائلا : « فبعد أن ذكر من اجازه من علماء مصر يقول :
ثم ارتحلت مع والدي للحرمين الشريفين وقرأت تنمة على الشيخ
علي بن جاد الله وعلى حفيد القصصام وغيره ثم ارتحلت الى
القسطنطينية فشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت منهم
وتخرجت عليهم وهي اذ ذاك مشحونة بالفضلاء والأذكاء » (٤) .

وربما كان السبب في قلة تولى المصريين لهذا المنصب الجليل
هو ان الدولة العثمانية منذ عهد السلطان محمد الفاتح وضعت
شروطا صعبة لتولى هذا المنصب منها أنه لابد أن يمر بمراحل
تعليمية معينة في مدارس استانبول حتى تطمئن الدولة الى المستوى
العلمي لصاحب هذا المنصب الخطير . والمصريون في هذه الفترة
نتيجة لوجود الأزهر بين ظهرائهم وهو الذي تشد اليه رجال
طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها ، لذا فلم يكن المصريون
مستعدين للرحلة من أجل العلم وعلى هذا فلم يتول هذا المنصب
الا من مر بهذه المراحل التعليمية بمدارس استانبول مثل الشهاب
الخفاجي - المذكور أعلاه - وقد ظلت هذه القيود تقليدا سائدا
حتى في أشد فترات الضعف التي مرت بها الدولة العثمانية .

ووجد من بين المصريين من تولى أعلى المناصب القضائية في
الدولة العثمانية مثل « القاضي أبو السعود بن عبد الرحيم

عبد المحسن بن علي المصري الذي ولد في مصر وتعلم فيها حتى دخل الروم ولازم في مدارس السلطان سليمان حتى تولى قضاء القضاة في الشام ثم قضاء القدس ثم بعد ذلك قضاء بروسية وأدرنة وقسطنطينية وأعطى أخيراً رتبة قضاء العسكر بأناضول « (٥) » ومنهم كذلك « الشيخ أبو بكر أفندي البكري الصديقي الأشعري الذي تولى قضاء حلب وعدة مدن أخرى » (٦) ووجد « محمد بن عمر بن محمد الملقب تقي الدين قاضي القضاة الفارسكوري المصري نزيل القسطنطينية الذي لازم في استانبول على قاعدة القضاء ونبغ وتولى القضاء في أماكن عديدة منها القدس » (٧) .

يتضح من هذا أن الدولة العثمانية لم تمنع أحداً من رعاياها المسلمين من الوصول إلى أعلى المناصب القضائية في الدولة العثمانية إذا حصلوا على التعليم الذي يسمح لهم بذلك وتوافرت فيهم الشروط اللازمة لتولي هذه المناصب الرفيعة التي كانت موضع تقدير واحترام الدولة .

وإذا نظرنا إلى الأصول الاجتماعية التي خرج منها القضاة نجدهم ينقسمون إلى ثلاثة اتجاهات هي :

(أ) قضاة ينتمون إلى أصول اجتماعية عثمانية راقية مثل أبناء الأشراف وأبناء العلماء والصدور العظام : من هؤلاء « محمد بن القوجي وكان عالماً بالتفسير والأصول وسائر العلوم الشرعية والعقلية وكان والده من كبار العلماء ببلاد (٨) الروم » (٩) وهناك القاضي « محمد بن محمد بن معلول وكان نقيباً للأشراف ثم أصبح شيخاً للإسلام في الدولة العثمانية في عام ١٥٨٠ » (١٠) .

(ب) أما الاتجاه الثاني فهو يتمثل في انتماء بعض هؤلاء القضاة إلى الأصول العربية وكان معظمهم ينتمي إلى بلاد الشام

ويعود ذلك الى حب الشوام للرحلة وخروجهم الى استانبول لتلقى تعليمهم بمدارسها وسلك طريق القضاة وساعدتهم على ذلك قرب بلاد الشام من استانبول : من هؤلاء القضاة « أحمد بن عوض العنتابي الأصل الحلبي قاضى القضاة ولد بحلب وقرأ فى مبادئ عمره بحلب ثم سافر الى الروم وأقام بها مدة وسلك طريق الموالى » (١١) .

(ج) أما الاتجاه الثالث فى وجود قضاة ينتمون فى أصولهم الاجتماعية الى الرق واعتقوا ولازموا التعليم ونبتوا حتى تولوا المناصب القضائية ووصلوا الى قضاء العسكر فى مصر وهناك العديد من الأمثلة : من هؤلاء « أحمد بن عبد الله قره أوغلى وكان أبوه من عتقاء السيد ابراهيم الأماسى ودرس ونبع ولازم طريق الموالى حتى تولى المناصب القضائية المهمة ومنها قضاء عسكر مصر » (١٢) .

كانت هذه الاتجاهات الغالبة على الأصول الاجتماعية لقضاة العسكر فى مصر الذين كان معظمهم ينتمون الى طبقة العلماء والأشراف .

كذلك لم تضع الدولة العثمانية قيودا على تولى القضاة نتيجة أصولهم الاجتماعية والا لما تولى هذا المنصب من كانت أصوله تنتمى الى الرق . وعلى هذا فقد كانت الدولة تنظر الى رعاياها جميعا على أنهم عثمانيون ولا تمنع أحدا من تولى أى منصب اذا توافرت فيه شروط هذا المنصب .

أما قضاة الشرع فى الأقاليم فنجد أنه فى معظم فترات القرن السادس عشر كانوا ينتمون الى الأصول التركية ربما لقلّة العلماء

المصريين الذين تعلموا في استانبول وسلكوا طريق القضاة ، ولكن في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان معظم قضاة الأقاليم من المصريين الذين تلقوا تعليمهم في استانبول ، ثم من علماء الأزهر بعد ذلك حتى أنه عند قدوم الفرنسيين في عام ١٧٨٩ م لم يوجد من الأتراك سوى خمسة قضاة في الأقاليم . وتميز هذان القرنان عموما بقلّة وفود القضاة من استانبول الى مصر .

ووجد العديد من قضاة الأقاليم الذين انتموا الى بلاد الشام والذين تلقوا تعليمهم في استانبول مثل « محب الدين أبو الفضل » الذي ولد في (٩٥١ هـ - ١٥٤٤ م) في حماة وتعلم في استانبول وتولى قضاء فوة بمصر (١٢) وهناك « محمد بن يحيى الحاضري الحلبي الذي تولى القضاء في المنزلة (١٤) » (١٥) .

كما تولى الكثير من الأشراف هذا المنصب في أقاليم مصر فيوجد « السيد الشريف أحمد واعظ زادة قاضي المحكمة الكبرى بالغربية ونقيب السادة الأشراف بمصر المحروسة » (١٦) ويوجد « السيد أحمد الحنفي نقيب السادة الأشراف بمصر وقاضي الغربية » (١٧) .

يتضح من ذلك عدم قصر منصب القضاة على الأتراك وحدهم اذ تولاه المصريون أيضا ممن تلقوا تعليمهم في استانبول .

وضعت الدولة العثمانية شروطا علمية لتولى المناصب القضائية مثل قضاة العسكر حتى تطمئن الى شاغل هذا المنصب الديني الجليل وحافظت على هذه الشروط حتى في أشد فترات الضعف التي مرت بها الدولة العثمانية فيما بعد .

العلاقات الاجتماعية للقضاة بالطبقة الحاكمة

احتل القضاة مكانة كبرى في مصر ابان العصر العثماني ، وغدا قاضي العسكر من موظفي الادارة العثمانية في مصر وهو الحاكم الشرعى الموازى في المكانة والقوة للبasha « الحاكم السياسى » لذا فقد كانت هناك العديد من العلاقات التى تربط القضاة بالطبقة الحاكمة في مصر التى تمثلت فى :

(ا) الباشا العثمانى في مصر .

(ب) كذلك المالك وهم اصحاب مكانة سياسية واجتماعية متميزة .

وتشابت هذه العلاقات وتداخلت في احيان كثيرة مكونة علاقة ود وصداقات ادت الى علاقات تصاهر وفي بعض الاحيان كانت هناك علاقة شدة وقمع من قاضى العسكر لكبار الموظفين في حالة خروجهم عن مقتضى وظائفهم وتعتديهم على الناس .

(ا) العلاقات بين القضاة والباشا العثماني :

من الممكن ان نميز خطين سارت فيهما العلاقات بين القضاة والباشوات ، اولهما ان العلاقة بينهما كانت تتسم دائما بالود والمجاملة المتبادلة بين الطرفين في غالب الاحوال ، وثانيهما اتسمت في بعض الاحيان بالشدة والتنافر الناتج عن اختلافهم في الراى حول بعض القضايا المعينة ، او في محاولة اصطدام مصالحهم . او في محاولة لردع الظالمين وردهم عن ظلمهم ويتوقف هذا على مدى الهيبة التى يتمتع بها القضاة في مواجهة رجال الادارة والسياسة .

وقد تميزت العلاقة بين قضاة العسكر والباشوات غالبا بطابع الود والاحترام المتبادل ، فمنذ قدوم قاضى عسكر عثماني وهو

« جلبى أفندي » الذى حضر الى مصر بطريق البحر الى بولاق
وذهب اليه ملك الأمراء خاير بك الى بولاق وقابله هناك وأرسل
له هدية حافلة (١٨) وفي حالات المرض كان ينزل اليه ملك الأمراء
لزيارته في بيته (١٩) .

كما أنه في الاحتفالات التى تقام للمناسبات المختلفة كان قاضى
عسكر يحضر بجانب الباشا وكبار رجال الادارة العثمانية ففي
الاحتفالات بوفاء النيل مثلا كان الباشا يأمر بتزيين المركب ويركب
هو والصناجق والأغوات وشيخ الاسلام من بولاق الى المقياس
حيث التنزه واقامة الحفلات التى تستمر فترة طويلة (٢٠) .

وعند خروج الباشا للتنزه كان يصطحب معه بجانب الأمراء
وكبار الموظفين قاضى العسكر فعند « خروج ابراهيم باشا المقتول
للتنزه كان معه بجانب الأمراء ٠٠ : مولانا مصطفى أفندي عزمى زادة
قاضى القضاة بالديار المصرية وحصل لهم الصفا والمباشطة قبل
الطعام » (٢١) .

وفي المناسبات الاجتماعية التى يقيمها الباشا كان يحضرها
قاضى العسكر والقضاة للمجاملة ففي « حفل ختان أولاد اسماعيل
باشا استمرت الولائم خمسة عشر يوما كل فئة يوما فكان اليوم
الاول لقاضى العسكر بقضاة المحاكم » (٢٢) .

وكان معظم حكام مصر يأتون عن طريق البحر الى الاسكندرية
فيقابلهم قضاة الثغر للترحيب بهم مما استتبع علاقات صداقة
وطيدة خاصة وأن القضاة كانوا يصاحبونهم اثناء جولاتهم في
الاسكندرية كذلك يمدونهم بما يحتاجون اليه من معلومات عن احوال
البلاد بحكم استقرارهم بها قبل وصول الباشا (٢٣) .

وكثيرا ما كانت تربط القضية علاقات صداقة وطيدة بالسلطين
أنفسهم مثل قاضى عسكر مصر « محمد بن مصطفى المعروف أبوه
ببستان زادة الذى كان على علاقة صداقة مع السلطان مراد
خان » (٢٤) .

ولم تكن العلاقة بين الطرفين تسير على وتيرة واحدة من الود
المتبادل والمجاملات الاجتماعية فهناك على النقيض الآخر علاقة الشد
والمنافسة بين الطرفين وخاصة فى حالات خروج الباشا ورجال
الادارة على مقتضيات وظائفهم وتعديهم وظلمهم للناس ففى هذه
الحالة يقف قاضى العسكر لهم غالبا بالمرصاد مما يؤدى الى سوء
العلاقة بين الطرفين وهذه الحالة تتوقف على مدى ما يتمتع به
قاضى العسكر من هيبة وقوة شخصية وقدرة على التأثير
فيمن حوله .

فقد تميز بعض القضاة بالشدّة على الحكام مثل القاضى
« حسين أفندى قرا جلبى » فيذكر عنه أنه كان متبصرا فى الأحكام
ذا سبطوة وشهامة على الحكام والتحرى الدائم الذى لا يعتريه فيه
خوف من لوم لايم حتى كان حكام السياسة فى قبضة قهره لا
يخرجون فى الأمور عن نهيه وأمره قمع فى مدته أهل الفساد وشتت
جموع أهل البغى » (٢٥) وهناك قاضى العسكر « محمد أفندى
شاه بن خرم » الذى كان الباشا فمن دونه تحت نهيه وأمره واقفين
عند قوله وزجره حتى ضرب بذلك المثل فى الأمصار (٢٦) .

كما حدث خلاف بين أئمة الباشوات وقضاة العسكر
حول أحقية كل منهم فى نيابة محكمة الصالحيّة النجمية وذلك لأنها
تدر دخلا كبيرا وكان الباشا يساعد إمامه فى التغلب على القضاة
مما يؤدى الى سوء العلاقات بين الطرفين (٢٧) .

كما كانت تحدث أحيانا خلافات في الرأي تؤدي الى تأزم العلاقات بين القضاة والباشوات من ذلك أنه في عهد « سليمان باشا » ساعد اليهود في بناء معبد لهم فتصدي قاضي عسكر مصر « محمد بن الياس » لهدمه وأزيل في النهاية بالرغم من مساندة الباشا (٢٨) كذلك القاضي « صالح بن جلال » الذي تصدى للباشوات ورجال الادارة العثمانية في مصر في غالب الأحيان ومنع تعديهم على الرعايا حتى أنه ثبت على دفتر دار مصر أمور تؤدي الى قتله وقتل (٢٩) .

(ب) علاقة القضاة بالأمراء المماليك :

احتفظ الحكم العثماني لمصر غداة فتحها بالمماليك حكام البلاد السابقين وذلك للاستفادة من خبرتهم في حكم البلاد وجعلهم عنصر توازن بين الباشا والأوجاقات العسكرية العثمانية ، ولكن المماليك احتفظوا بوجودهم كقوة اجتماعية بجانب كونهم قوة سياسية في البلاد .

وبالرغم من مناوأة المماليك للباشا العثماني في مصر وتضاؤل سلطته لحد العدم شبه التام . فإن الأمر لم يكن كذلك بخصوص القضاة فلم يكن في الأمر ما يتعارض مع رغبات المماليك أو ما يضعف من نفوذهم السياسي ، لذا فلم يحدث مطلقا أن عارض المماليك سلطات استانبول القضائية في حق تعيين القضاة بمصر وهم بذلك يهيئون لأنفسهم مزية تقديم الدليل على الولاء للسلطان (٣٠) .

ونشأت علاقات اجتماعية متعددة بين القضاة والأمراء فتعدنا المصادر المعاصرة لهذه الفترة بالكثير من الزيارات المتبادلة بينهم (٣١) .

كما نشأت علاقات صداقة قوية بين بعض الأمراء المماليك وقضاة العسكر من ذلك الصداقة بين « أحمد أفندي » قاضي

مصر و « محمد بك أبو شنب » فيذكر أنه كان في كل ديوان ينزل الى البيت محمد بك الذي عمل عزومة للقاضي ونام عنده ثلاث ليال وكان يطلع الى الديوان من بيته وينزل الى بيت محمد بك جركس « (٣٢) » .

وفي المناسبات الاجتماعية التي يقوم بها القاضي كان الأمراء المماليك يهادونه ويحاملونه من ذلك ما تقصه المصادر التاريخية « عندما عمل القاضي حفيد أفندي حفل ختان لأولاده في شعبان ١١٧٧ هـ - ١٧٦٣ م أرسل اليه على بك هدية حافلة وكذلك باقي الأمراء والاختيارية حتى امتلأ المقعد بفروق البن ووسط الحوش بالحطب الرومي وفي يوم الزفة أرسل اليه على بك ركوبته وجميع اللوازم من الخيول والمماليك . . . واركبوا الغلام بالزفة الى بيت على بك فألبسه فروة سمور ورجع الى المحكمة بالموكب « (٣٣) » .

كما تميزت هذه العلاقة في أحيان كثيرة بطابع من المصلحة والانتفاع من المماليك فنتيجة لمكانة قاضي العسكر كان الأمراء المماليك يطلبون شفاعته في كثير من الأمور ، حتى تجاب مطالبهم عند الباشا أو حمايتهم من الأمراء المنافسين لهم .

من ذلك أنه أثناء النزاع الفقاري القاسمي المعروف بواقعة الصناجق في عام ١٦٦٠ م توجه عدد من المماليك المحكوم عليهم بالنفي من جانب منافسيهم الى المسجد الأزهر يطلبون حمايتهم . . فشفع فيهم قاضي العسكر عند منافسيهم فقبلت شفاعته اكراما له (٢٤) .

وايضا في عام ١١٣٨ هـ - ١٦٢٨ م . ونتيجة لوجود شرط بان من يتولى اماره الحاج لابد أن يكون صنجقا وعندما وقع الاختيار على عمر اغا اميرا للحاج ولا توجد صنجقية فارغة له شرع محمد بك جركس في عزومة قاضي العسكر وولده وقال له « مرادى

نشفع عندك وأنت تشفع عند حضرة الوزير أن يعطى صنجقية
كتخذاة الى عمر أغا الى حين تقع له صنجقية ٠٠٠ وفي نهاية
العزومة أفرغ جركس على القاضى كرك سمرور وكذلك ولده « (٣٥) »

كذلك كان القضاة يقفون للأمرء بالمرصاد اذا ما أرادوا
احداث مظلمة على السكان أو أمر مخالف للشرع فهم يمنعونهم من
ذلك بالقوة ويتوقف هذا في غالب الأحيان على هيبة وشخصية
القضاة (٣٦) .

ويتضح من ذلك الآتى :

١ - أن علاقة القضاة بالباشا العثماني ورجال الإدارة
العثمانية في مصر كانت تسير بالود والمجاملة ما دامت لم تحدث
خلافات فيما بينهم على المصالح المشتركة كالنزاع حول نيابة بعض
المحاكم وما داموا جميعا يعملون لصالح الرعايا ومصالح السلطان
العثماني . أما اذا حدث خلاف ذلك فتكون النتيجة الحتمية هي
سوء العلاقات بين الطرفين ، ولكن يمكن القول ان العلاقات بصفة
احتمالية تميزت بالود والمجاملات معظم فترة الحكم العثماني .

٢ - تميزت العلاقة بين القضاة والأمرء المماليك بالود المتبادل
وضح ذلك من خلال العديد من العلاقات التي قامت بين الطرفين مثل
علاقات التصاهر . وكذلك المعاملات المالية بينهم من قروض
وما الى ذلك غير أن هذا لم يحل دون أن يقف القضاة بالمرصاد
لمن يتعدى من الأمرء على الرعية .

٣ - في الفترة التي سادت فيها القوة المملوكية في القرن
الثامن عشر استخدم الأمرء المماليك قاضى العسكر في غالب الأحيان
كعامل مساعد لهم في تحقيق مآربهم الخاصة سواء عند الباشا
أو في ترجيح كفة فريق على آخر أثناء الصراع بينهم وضح ذلك
تماما في بعض الأزمات مثل فتنة افرنج أحمد .

العلاقات الاجتماعية بين القضاة والشعب المصري :

تباينت علاقات القضاة بالشعب المصري تباينا واضحا .
وان كانوا في معظم الأحوال قد كونوا علاقات ود واضحة وصدقة
مع العلماء المصريين ، بل وصل صدى هذه العلاقات الى بقية
طبقات الشعب الذين كانوا يشازكونهم في الكثير من مناسباتهم
الاجتماعية . وتحكمت في تحديد علاقة الشعب المصري بالقضاة
عدة عوامل تجمعت لتكون في النهاية الأساس الذي يتحكم في
هذه العلاقة .

(١) علاقاتهم بالعلماء :

بدأت هذه العلاقة بموقف عدائي من القضاة تجاه أول قاض
عثماني في مصر وهو « جلبي أفندي » فقد قال فيه ابن اياس انه
قليل الرسمال من العلم ، أجهل من حمار ، لا يدري في الأحكام
الشرعية وأورد فيه قول بعض الشهود :

راينا مسيخا أعورا قبل موتنا

أتى من بلاد الروم يمنع رزقنا

يقدم قانونا على شرع أحمد

فمسأل رب العرس يكشف كربنا (٣٧)

بذلك فقد تميزت العلاقة بين العلماء والقضاة في بداية العصر
العثماني بالطابع العدائي من قبل العلماء لهؤلاء القضاة الوافدين
اليهم من استانبول وذلك لعاملين هما :

(١) انه ترتب على كون قاضي عسكر تركي يرد من
استانبول - في بداية الفتح على الأقل - هو ونائبه أن حرم علماء

الأزهر من شغل هذه المناصب القضائية الرئيسية وإن كانوا قد عملوا كقضاة للمذاهب الأربعة تحت رئاسة قاضى العسكر فإن فى هذا اقلاقا من أهميتهم وهيمنتهم على الأمور كما كان عليه حالهم قبل الفتح .

(ب) طبق العثمانيون منذ دخولهم مصر ما يعرف باسم اليسبق العثمانى وهو عبارة عن مجموعة من القوانين والتشريعات المستمدة من الشريعة الإسلامية فى مجال الأحوال الشخصية ترتب على تطبيقها معارضة علماء الأزهر لها بحجة مخالفتها للشريعة . ولكن فى الحقيقة لم تكن هذه المعارضة موجهة ضد اليسبق العثمانى بقدر ما هى موجهة أساسا ضد الانتقاص من مكافئهم ولاسيما أنها طبقت بدون استشارتهم أو أخذ رأيهم وهو ما لم يألوه من قبل خصال الحكم المملوكى .

وهذا الموقف العدائى من علماء الأزهر تجاه القضاء لم يستمر طويلا فقد قامت بينهم العديد من علاقات الصداقة الوطيدة وذلك نتيجة لبعض العوامل التى ساعدت على سرعة زوال الروح العدائية من العلماء للقضاة من أهمها أن العثمانيين لم يحاولوا فرض التدخل فى شئون الأزهر بفرض أحد علمائهم على رأسه كما فعلوا فى القضاء أو فرض المذهب الحنفى مذهبهم الرسمى عليهم ، ولم يحاولوا صيغ الدراسة بالصيغة التركية أو اللغة التركية . وادى هذا اضافة الى ما أظهروه من احترام تجاه الأزهر وعلمائه أن ظهرت علاقات ود وصداقة واضحة بين العلماء والقضاة .

ولا نرى الطابع العدائى يسود هذه العلاقة الا فى حالات معينة مثل ابعاد قاضى عسكر للقضاة والعاملين فى القضاء المصرى واستبدال غيرهم بهم . وفى هذه الحالة يتعرض للهجاء والنقد اللاذع .

وقد مدح العلماء المصريون القضاة بالقصائد الرنانة التي تداولتها الألسنة من ذلك القصيدة التي قالها الشيخ برهان الدين ابراهيم المبلط في القاضي « عبد القادر بن العربي » كذلك يوجد العديد من القصائد التي تزخر بها المصادر المعاصرة لهذه الفترة وكذلك فقد وجد بينهم العديد من المساجلات الأدبية والشعرية (٣٨) .

وكان القضاة يقومون بزيارة العلماء ويبادلونهم الزيارة فيذكر الجبرتي أن القاضي حفيد أفندي اتحد بوالده فتردد كل منهما على الآخر كثيرا وحضر مرة في غير وقت ولا موعد في يوم شديد الحر فلما صعد الى أعلى الدرج كان كثيرا فأستلقى من التعب على ظهره لهرمه فلما تروح قال له الشيخ حسن الجبرتي « يا أفندي لأي شيء تتعب نفسك أنا آتيك متى شئت فقال له أنا أعرف قدرك وأنت تعرف قدرى » (٣٩) .

ومن القضاة من جلس للتعليم والقاء الدروس وإفادة الناس والطلبة من هؤلاء القاضي « عرب زادة قاضي مصر » (٤٠) وأيضا المولى « حفيد أفندي » الذي كان يجلس بجامعة المشهد الحسيني لالقاء الدروس (٤١) .

وكان القضاة يقبلون شفاعة العلماء في تعيين أتباعهم أو من يلوذ بهم في أعمال الحكم مثل تعيين « الشيخ زين الدين أبي بكر الدميري » نايبا مالكا بمحكمة قناطر السباع لأجل خاطر سيدنا ومولانا الشيخ الامام العمدة . . مفتي المسلمين أبي عبد الله محمد الرملي الشافعي (٤٢) .

ويقوم القضاة بالتقريظ على مؤلفات العلماء المصريين فعل ذلك القاضي « محمد بن حسن القسطنوني » على مؤلف للشيخ عمر المالكي سماه « المصابيح على الجامع الصحيح » فقال في تقريظه :

كتاب لأنواع المسائل جامع
وجمع الأشعات المباحث نافع

وفيه لطالب الحديث كفاية
كما فيه للشيخ النبيه منافع

جزى ربنا خيرا لجامعه غدا
بأذن لمن يوم الجزاء هو شافع (٤٣)

ولم تكن العلاقات تسيير بينهم على وقيرة واحدة فكثيرا ما تحدثت
علاقات بغض شديدة اذا ما تعارضت المصالح المشتركة بيئهم مثل
عزل العاملين في المحاكم من ذلك عندما عزل « قاض العسكر عرب
زادة » القضاة والشهود واستبدل بهم غيرهم فهجاء « الشيخ
شمس الطلخاوى » (٤٤) كذلك النزاع الذى وقع بين قاضى العسكر
« عبد الباقي بن العربى » والعلامة « شمس الدين الفارضى »
وهجاء العلامة « شمس الدين الفارضى » بقصيدة كبيرة (٤٥) .

ولم تقتصر علاقات القضاة بالعلماء على العلماء المصريين ،
فنتيجة للعلاقات العلمية بين العلماء المصريين وعلماء بلاد الشام
انعكس اثر ذلك على علاقات القضاة العثمانيين بوصفهم علماء
كبارا لهم مكانتهم بين علماء بلاد الشام وفى هذا تأكيد على الذاتية
الثقافية للبلاد الاسلامية فى هذه الآونة والالتحام بين علمائها .

ويلاحظ أن علماء الأزهر الشريف قد مثلوا قوة رقابية على
القضاة فقد كانوا بمثابة المراقبين لهم ولأحكامهم فى القضايا المختلفة
وترتب على ذلك أن القضاة كانوا يحسبون للعلماء منافسيهم
التقليديين حسابا كبيرا فقلت نسبة الخطأ فى الأحكام ، كذلك
التصرفات التى تتعارض مع جلال هذا المنصب .

علاقة القضاة ببقية فئات الشعب المصرى :

بعد أن استعرضنا علاقات القضاة بالعلماء وهم الفئة العليا من الشعب المصرى نستعرض علاقة القضاة ببقية فئات الشعب والذي نلاحظه فى الأغلب الأعم كما تنبئنا المصادر الخاصة بهذه الفترة أن القضاة كانوا ذوى علاقات طيبة معهم .

وحددت العلاقات بينهم وبين الشعب المصرى من خلال تعليمات أول قاضى عسكر عثمانى فى مصر هو « بجانبى أفندى » عندما أعلن عن رغبته فى جعل نساء مصر يمشين على طريقة نساء استانبول مع أزواجهن ، « فان عادتنا اذا دخل الرجل على امراته تعطيه نصف المهر الذى اعطاه لها وان الرجل لا يقرر لزوجه كسوة ولا نفقة فى صداقها بل يكسوها هو فى كل سنة جوخة وقميصين ويطعمها فى كل يوم بما يختار ، ففرح العوام بذلك وحزنت النساء » (٤٦) .

كما أنه منع النساء من الخروج الى الأسواق ومن ركوب الحمير ولا تدخل السوق الا العجائز مما دعا النساء بعد خروجهن للحج الى تصنيف رقصة خاصة وقالوا « قوموا بنا نقحب ونسكر قد خرج عنا قاضى عسكر » (٤٧) .

وبذلك فقد تبين موقفهم من قاضى العسكر تبعا لقراراته وتأثيرها على مصالحهم المختلفة . وان كان فى غالب الأحوال تميزت العلاقات بين القضاة والشعب بالود المتبادل يتضح ذلك من المجاملات الاجتماعية المتبادلة بينهم .

وفى سبيل ختات أولاد « حفيد أفندى » قاضى عسكر مصر اجتمع بالمحكمة ارباب الملاعب والملاهى والبهلوانات وغيرهم واستمر عدة أيام والناس تغدو وتروح للفرجة (٤٨) .

وكثيرا ما قرر القضاة لفقراء المصريين نفقة رسوبوم محكمة الباب العالي لمساعدتهم على العيش وتعيج الوثائق بالعديد من هذه الأمثلة (٤٩) كما تشابكت العلاقات الاجتماعية بين القضاة والشعب المصرى من علاقات قروض ومعاملات مالية وغيرها (٥٠) مما أدى الى نشوء العديد من العلاقات القوية بين الطرفين .

أما عن أهل الذمة فقد كانوا يلجأون الى القضاة المسلمين برغبتهم ودون اجبار ، رغبة فى عدالتهم مما أدى الى وجود علاقات ود واضحة بين الطرفين مادام أهل الذمة لا يخرجون عن العهود المأخوذة عليهم ووجد العديد من المعاملات بين القضاة وأهل الذمة مثل البيع والشراء (٥١) والقروض (٥٢) .

غير أنه فى المقابل كانت تحدث العديد من الخلافات بين القضاة وهذه الفئات من ذلك ما حدث فى رمضان ١١٢٣ هـ - ١٧١١ م عندما جلس رجل رومى يعظ الناس بجامع المؤيد فازدحم عليه الناس وأخذ يعد ذلك فى التشديد على المنكرات التى يفعلها الناس وشدد فى أمر زيارة المقامات والأولياء فحدثت خلافات بينه وبين علماء الأزهر ، فما كان من العامة الا أن هجموا على القاضى فى منزله وأخذوه مكرها الى الباشا بعد أن أكرهوه على أخذ حجة بما يريدون . فما كان من القاضى الا أن هدد بالخروج من القاهرة نتيجة لهذه الفعلة ولكن تدخل الأمراء المماليك ونفوا الواعظ من البلاد اكراما للقاضى (٥٣) .

كما تنازع القاضى « عبد السلام » قاضى دمياط سابقا مع « عبد الرحمن بن على بن محمد » لأنه سبه وجعله ظالما ومرتشيا ومزورا وآذاه بذلك وثبت ذلك على المدعى عليه بشهادة الشهود فأمر القاضى بتعزيز المدعى عليه (٥٤) .

يتضح من هذا أنه وجدت العديد من العلاقات الاجتماعية بين الشعب والقضاة ، وهذا يدحض الأقاويل القائلة باستعلاء القضاة وانعدام علاقاتهم بالشعب . كذلك من الممكن أن يكون القصد من التبعاد عن عدم الألفة مع كل الناس مما يؤثر في سير العدالة وليس تكبرا .

تعليم القضاة ونتاجهم الأدبي

تعليم القضاة :

وضعت الدولة العثمانية شروطا علمية لتولى منصب القضاء ، لا بد أن يمر بها طالب هذا المنصب ويجتاز مراحله المختلفة وهو ما تطلق عليه المصادر الخاصة بهذه الفترة « طريق المولوية » ووضعت هذه الشروط حتى تطمئن الدولة الى توافر الشروط الفقهية في القضاة من العلم بالكتاب والسنة والاجتهاد والقياس .

وفي بداية نشأة الدولة العثمانية أدرك السلاطين الأوائل أنه لا بد من قيام المدارس والتعليم فعملوا على استقدام العلماء من البلاد الإسلامية مثل بلاد الشام ومصر والعراق بأذنين لهم الوعود والتشجيع بكافة أنواعه حتى يقودوا الحركة العلمية في الدولة الناشئة . وبعد ذلك ظهر العلماء الأتراك الذين تولوا التدريس في المدارس المختلفة والفوا الكتب الكثيرة بجانب العلماء المسلمين الوافدين من البلدان الإسلامية الأخرى .

ووضع الفقهاء المسلمون شروطا علمية لتولى منصب القضاء

وهي :

- ١ - العلم بكتاب الله على الوجه الذي تصح به معرفة ما تضمنه من الأحكام .

٢ - العلم بسنة الرسول الكريم من أقواله وأفعاله .

٣ - العلم بتأويل السيلف فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه ليتبع الاجماع .

٤ - علمه بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها الى الأصول المنطوق بها (٥٥) .

وفي بداية نشأة الدولة العثمانية وجد نوعان من التعليم الاسلامي بها هما :

(ا) المستوى الأدنى الذي كانت جزعات التعليم فيه قليلة ومناهجها بسيطة تتكون من الأدب والقرآن الكريم .

(ب) المستوى العالي فكان يتكون من المدارس حيث العلماء الطموحون الى اكمال تعليمهم ، وكان يدرس فيها كل فروع التعليم الاسلامي شاملا العلوم الدينية مثل التفسير وعلم الكلام والفقه والقانون وقواعد اللغة العربية وعلم الخط كما يدرس فيها العلوم العقلية مثل المنطق والفلسفة وعلم التنجيم (٥٦) .

ومع السلطان أورخان (٥٧) بن عثمان خرج التعليم من المسجد الى المدرسة فبعد فتح أزميد بنى فيها أول مدرسة في تاريخ الدولة العثمانية وبذلك خرج التعليم من المسجد الى المدرسة وكانت الكتب المقررة فيها وبالتالي في المدارس العثمانية هي في مادة التفسير كتاب « الكشاف عن حقائق التنزيل » ويعرف اختصار باسم تفسير الكشاف لمؤلفة العلامة الزمخشري وكتاب « أنوار التنزيل وتنزيل التأويل » والمعروف باسم « تفسير البيضاوى » وفي مادة الحديث النبوى « الكتب الست الصحاح في الحديث » وفي مادة

الفقه كان يدرس كتاب « الهداية » لشيخ الإسلام « برهان الدين علي بن أبي بكر المرغتاني » ، وكتاب « الوقاية » لبرهان الشريعة و « العناية في شرح الوقاية » لعلاء الدين علي بن عمر الأسود ، و « مختصر القدوري » لأحمد بن محمد القدوري البغدادي . كما درس عدد من الكتب في أصول الفقه وفي علم الكلام وقرر كتاب « تجريد الكلام » للطوسي وكتاب « طوابع الأنوار » للبيضاوي و « المواقف » للأيجي وفي علم البلاغة كتاب « مفتاح العلوم » للسكاكي وتلخيص « المفتاح في المعاني والبيان » للقزويني وفي المنطق كتاب « الأيساغوجي » وكتاب « مطالع الأنوار » للقاضي سراج الدين الأرموي (٥٨) .

وفي عهد السلطان محمد الثاني أعاد تنظيم التعليم في الدولة العثمانية وفقا لمراحل محددة وذلك بعد أن بنى المدارس الثماني حول مسجده ثم ثمانى أخرى . أى بنى ست عشرة مدرسة حول المسجد (٥٩) .

وكان الطالب يمر بأربع مراحل تعليمية هي :

- (أ) مرحلة أولى وتسمى الخارج .
- (ب) مرحلة ثانية وتسمى الداخل .
- (ج) مرحلة ثالثة وتسمى موصلة الصحن .
- (د) مرحلة رابعة وتسمى الصحن (٦٠) .

ومن المهم أن نذكر أن الدولة العثمانية لم تكن متكفلة بالخدمات الاجتماعية مثل التعليم ، بل كانت هذه تدخل في اختصاص الوقف وكان ركنا أساسيا في اقتصاد الدولة العثمانية . وعن طريقه نشطت الحركة العلمية في جوامع استانبول فقد كان الجامع في ذلك الوقت مؤسسة اسلامية متكاملة تضم المسجد والمدرسة والمطعم الخيري (٦١) .

لذلك فقد اهتم السلاطين برصد الأوقاف على المدارس وأهم هذه المدارس هي التي بناها السلاطين « محمد الثاني » و « بايزيد الثاني » و « سليمان القانوني » وكانت كل المدارس في مسجد بايزيد مخصصة لدراسة القانون . وبعد بناء مدارس السلمانية نظم التعليم في كل هذه المدارس بصورة نهائية في ١٢ مرحلة وكان على كل تلميذ في مرحلة من المراحل الاحدى عشرة الأولى أن يحصل على اجازة تعلن أنه على علم تام بأى مؤلفات يكون قد درسها من الأساتذة المختصين قبل أن ينتقل الى المرحلة التالية (٦٢) .

واذا أراد الطالب أن يتخصص في مادة ، الحق بمدارس الصحن وتلقى فيها الدرس في تلك المادة واذا لم يرغب في الالتحاق بالصحن مكتفيا بدراسة المراحل السابقة فكان يعين قاضيا في المدن ما عدا الكبيرة (٦٣) .

اما الطالب الذي يريد اكمال تعليمه في مدارس الصحن فيتولى التدريس ويختار قضاة العسكر بعد ذلك من بين الحائزين على رتب التدريس من كبار الأساتذة الذين امتازوا بكفاءتهم ومؤلفاتهم القيمة (٦٤) .

ولم تكن هناك سنوات محددة لمراحل الدراسة وكان المعيار في تحديد سنوات الدراسة هو الاستعداد العقلي للطالب وقابليته للدراسة ولكن كانت الدراسات العليا تنتهى في سن يتراوح بين الثلاثين والأربعين كما أن التعليم لم يكن اجباريا (٦٥) وكان الطلبة يحصلون على رواتب اضافة الى المسكن المجانى والطعام .

ولكن في القرن الثامن عشر تجمع الكثير من الأسباب التي أدت الى انهيار التعليم في الدولة العثمانية وبالتالي انهيار تعليم القضاة ، وربما يكون السبب الأول لذلك هو حب العثمانيين للتقديم

ومحافظتهم عليه وبالتالي عدم التجديد في روح التعليم الذي أصابه الجمود في تلك الفترة .

وأیضا من أسباب ضعف التعليم في هذه الآونة التسامح في كل أمر وكثرة التدخل في المصالح حتى قضت الأحوال بإعطاء المناصب الى غير من يستحقها فصار قضاة العسكر يعزلون بغير ذنب (٦٦) .

يتضح من ذلك الآتي :

١ - أن القضاة كانوا يخضعون لطريق دراسي صعب وطويل للوصول الى مناصبهم ومن الجدير بالذكر أن القضاة كانوا يتلقون تعليمهم باللغة العربية اذ كيف يدرسون كتب التفسير والفقه والبلاغة والنحو بغير اللغة العربية ؟ مما أدى الى تحديثهم بها بل كتابة مؤلفاتهم باللغة العربية وهذا يدحض الأقاويل القائلة بجهل القضاة باللغة العربية .

كما ترتب على الضعف العام في القرن الثامن عشر أن تدخلت عوامل الضعف والاضمحلال الى التعليم وتسربت اليه روح الجمود وعدم التجديد مما أدى الى بروز الوساطة في التعيينات واصبحت الاختبارات التي تجرى للشخص المتقدم لاجتياز مرحلة تعليمية اختبارات شكلية . ففقدت هذه المناصب أهميتها وتطرق اليها الضعف .

الانتاج الأدبي للقضاة :

من المهم هنا أن نعرض للانتاج الأدبي للقضاة سواء كان هذا الانتاج أشعارا باللغة العربية أو كتباً أدبية وتراجيم ، كذلك كتب الدين والفقه . فقد خلف لنا قضاة تلك الفترة العديد من الكتابات التي مازالت موجودة الآن ما بين مطبوع ومخطوط يستفيد

منها كل في مجاله حتى الآن كما وجد لبعض القضاة كتابات في المجالات العلمية مثل الكيمياء . ولا غرابة في ذلك فقد كان القضاة علماء كبارا تلقوا تعليمهم كما رأينا من قبل في المدارس العثمانية وتعلموا أمهات الكتب الإسلامية في الفقه والأدب وعلم الكلام والعلوم المختلفة .

وكما يتضح من خلال كتب التراجم أن لمعظم القضاة أشعارا باللغة العربية . من هؤلاء قاضي عسكن مصر « فيض الله أفندي أحمد قاف زادة » الذي نظم القصيدة التبريزية بمناسبة انتصار السلطان « سليمان خان بن سليم » على الصفويين فقال فيها :

الله در جيوش الروم اذ ظهوروا
على الروافض قد صارت بهم عبر
ثم ابدعوا بدعى سيادة مظلمة
لهم قلوب يحاكى لينها الحجر
ويل لهم آمنوا من مكر ربهم
حتى بصحب رسول الله قد مكروا
فقد أضالوا يد الناس ظالمة
عن هتكها حرمان الله ما قصروا
فالناس تجار للرحمن من يدهم
والله يسمع منهم كلما جاوروا
حتى اذا جاء وقت الموت واقتربت
آجالهم واتتهم بالآسى النذر
وعندما اقترب الجيش العرمرم من
تبريز ثم بدا جيشهم جورا (٦٧)

ووجد من قضاة الأقاليم من وجد له إنتاج أدبي رائع مثل
« تقى الدين التميمي » وله تصانيف منها طبقات الحنفية في مجلدات
وله أشعار (٦٨) .

ووجد من القضاة من له مؤلفات علمية مثل قاض عسكر مصر
« صالح بن اسحاق الشرواني » وله مصنفات حسنة الأسلوب تدل
على زيادة تبحره في العلم منها في الفقه تعليقات على تفسير
البيضاوي وله رسائل كثيرة كما أن له مؤلفات في الكيمياء
والعلوم (٦٩) .

ووجد « مصطفى بن محمد الشهير بعزمي زادة » له التأليف
التي ملأت سمع الزمان فائدة منها حاشيته على « الدرر والغرر » في
الفقه وحاشية « علي بن مالك في الأصول وغيرها » وله « الشعر
النبير » في العربية والتركية و « رباعياته » مشهورة مرغوبة وقد
جمعها في سفر مستقل وهي في التركية كرباعيات « سديد الدين
الأنباري » في العربية « وعمر الخيام » في الفارسية إليها النهاية في
القبول والتحسين وآثاره كلها لطيفة وأخباره جميعها ظريفة (٧٠) .

وهناك من قضاة الأقاليم من كانت له مؤلفات بارعة مثل
« محمد بن أحمد حسن الطنباوي » الشهير بالحتاتي المصري الحنفي
ذهب من القاهرة الى استانبول عام ١٠١٨ هـ - ١٦٠٩ م ومن
مؤلفاته العديدة :

- ١ - حاشية على تفسير البيضاوي .
- ٢ - الاسفار عن الأسفار وهي رحلة جامعة الفرائد .
- ٣ - تعليقات في فنون الحكمة .
- ٤ - له شعر قال فيه الشهاب الخفاجي في رياحينه انه يحط

قدر الحطيثة ويبلد ذهن لبيد ويدغ اياس منه في الذكاء في
اياس (٧١) .

ولو أخذنا مثالا من القضية لنعرض أعماله سواء المطبوعة
أو المخطوطة لاخترنا « شهاب الدين الخفاجي المصري » ومن أعماله :

١ - شفاء الغليل بما في كلام العرب من الدخيل جمع فيه
ما ذكره قبله وزاد عليه وصدر الكتاب بمقدمة في
التعريب وشروطه ثم أتى بالألفاظ المعربة ورتبها على
الحروف الأبجدية .

٢ - شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري طبع
بمصر عام ١٨٥٦ م .

٣ - طراز المجالس وهو من كتب الأدب واللغة قسمه الى
خمسين مجلسا .

٤ - حاشية على البيضاوى طبع بمصر عام ١٨٦٩ م في
ثمانية مجلدات .

٥ - شرح كتاب الشفا في تاريخ حقوق المصطفى طبع في
استانبول ١٨٥٧ م .

٦ - رياحين الدمان أو ذوات الأمثال .

٧ - خبايا الزوايا في الرجال من بقايا وهو من كتب الأدب .
وبه تراجم لأكثر من سبعين من العلماء .

٨ - ريحانة الألباب وزهرة الحياة الدنيا توسع في تراجم
الشعراء مع انتقادها وإيضاحها .

٩ - له ديوان شعر مخطوط بمكتبة الجامعة الأزهرية .

١٠ - له مجموعة من القصائد مجموعة في مخطوط بدار الكتب
المصرية (٧٢) .

وتدل مؤلفات الشهاب الخفاجي على تمكنه من الأدب العربي
وحفظه الكثير من شعر القدماء وإذا أورد في تراجمه لمعاصريه شيئاً
من شعرهم اتبعه في كثير من الأحيان بما يماثله من آثار السابقين
وهو ناقد بارع وكاتب لا يشق له غبار يناقش ويجادل كما نرى
في كتابه طراز المجالس وغيره من كتبه (٧٣) .

يتضح مما سبق الآتي :

١ - غزارة الانتاج الأدبي للقضاة ما بين كتب في الفقه
وال تفسير واللغة والتراجم والأدب والتاريخ وهو
ما يدلنا ما يدلنا على مبلغ ما وصلوا اليه من علم بالعلوم
المختلفة وما زالت هذه الكتابات ما بين مخطوط ومطبوع
يستفيد منه الدارسون الى الآن .

٢ - كانت هذه المؤلفات باللغة العربية الفصحى التي تباروا
بالكتابة بها واستخدام الأساليب اللغوية والبلاغية
بالكتابة بها واستخدام الأساليب اللغوية والبلاغية
الطنانة للدلالة على مدى حذقهم اللغة العربية مما ينفي
الزعم بجهلهم اللغة العربية .

ثانيا : الحياة الاقتصادية للقضاة

أولا - الموارد المالية للقضاة :

(١) الرسوم القضائية للقضاة ومرتباتهم .

(ب) الأنشطة الاقتصادية للقضاة .

ثانيا - الاختصاصات الاقتصادية للقضاة :

(١) الإشراف على الأوقاف .

الحياة الاقتصادية للقضاة

تمتع القضاة في مصر ابان العصر العثماني بمكانة اقتصادية كبيرة ناتجة عن توليهم أعمالهم القضائية ولاسيما قضاة العسكر وقضاة الأقاليم وإن كانت قد تراوحت المستويات فيما بينهم . فقضاة العسكر كنتيجة لتوليهم المحكمة الكبرى وما يترتب عليها من رسوم كثيرة وكذلك لاشرافهم على الأوقاف . في نفس الوقت يصرف لهم مرتبات مالية كبيرة ، ومرتبات عينية من الجراية والعليق . وقد أدت هذه العوامل الى تمتعهم بمكانة اقتصادية هائلة .

كما اشترك العديد من القضاة في المجالات الاقتصادية المختلفة في هذه الآونة من تجارة وزراعة اضافة الى تربية المواشي وان كان هذا منتشرا بين قضاة الأقاليم اكثر من قضاة العسكر الذين حالت كثرة مشاغلهم عن ذلك .

أولا - الموارد المالية للقضاة :

(١) الرسوم القضائية للقضاة ومرتباتهم :

قاضي العسكر - اعتبر القضاء جزءا من الولاية العامة لولى الأمر فهو من حقه عزل وتولية القضاة كما أن من حقه تفويض الأمر في معظم اختصاصاته القضائية أو حجبها وذلك بحكم ولايته

العامه وعلى هذا اعتبر القضاء من أهم واجبات الدولة ، وعليه فقد حرصت الدولة الاسلاميه على القائمين على القضاء وبذلت لهم المرتبات التى تكفيهم مؤنتهم ، وذلك خشية السؤال والانزلاق الى مهاوى الرشوة وفرضت المرتبات للقضاة منذ عصر الرسول الكريم وخلفائه واستمر هذا التقليد فى الدولة العثمانية .

أما عن مرتباتهم فقد وجدت درجتان لأصحاب مرتبة المولوية أدناها من يتقاضى يومية مقدارها ٣٠٠ أقبجة وأعلاها من يتقاضى خمسمائة أقبجة ومنهم موالى مصر (٧٤) .

ويذكر ابن اياس أن القاضى « جلبنى القاضى » (أول قاضى عسكر عثمانى فى مصر) جعل على كل مجلس من مجالس القضاة شاويشا من العثمانية يضبط ما يتحصل فى كل يوم من أجرة اشغال الناس ، فيقسم للقاضى من ذلك المتحصل شيئا وللشهود شيئا وله شيئا ، ثم يأخذ الباقي ويضعه فى صندوق برسم السلطان سليمان يودع فى بيت المال (٧٥) .

وبهذا يتضح أن الرسوم القضائية التى تفرض على القضايا المختلفة كانت توزع ما بين القضاة والعاملين فى الجهاز القضائى ويخصص جزء منها كرسم للسلطان وعلى ذلك فقد كانت النسبة محددة ولكن لم تمدنا المصادر الخاصة بهذه الفترة بها .

وبالرغم من الحملة الشديدة التى واجه بها العثمانيون نتيجة لفرضهم الرسوم القضائية وهو أمر غيّر مألوف من قبل فاتها أدت الى فائدة كبيرة وهى أن الدولة منعت المتقاضين الذين يلجأون الى القضاة مكيدة فى خصومهم ، وذلك لفرض هذه الرسوم مما أدى الى فرض نوع من الجدية على اللاجئين الى القضاة .

ولقد أصبحت الرسوم القضائية في الوقت الحاضر جزءا متما من سيادة الدولة الحديثة تفرضه على رعاياها المتقاضين .

وعامة فقد حددت الرسوم القضائية في محكمة الباب العالي مقر قاضي العسكر وكذلك الديوان العالي بحوالي ٢٥٪ من قيمة الحق المتنازع عليه أو من قيمة موضوع التصرف القانوني الذي يجري توثيقه ، وقد زادت هذه الرسوم زيادة كبيرة في القرن الثامن عشر ليصل الى ٨٪ و ١٠٪ (٧٦) .

أما عن المخصصات العينية فقد حدد لقاضي العسكر مرتب من الجراية وعليق من القمح والشعير يصرف له من الخزانة كل شهرين وقد بلغ هذا المرتب ٤٨٠ أردبا من الغلال في السنة منها ٢٤٠ أردبا من القمح و ٢٤٠ أردبا من الشعير وظل هذا المرتب دون تغير طوال الحكم العثماني لمصر (٧٧) .

ووجد موظف يعمل بخدمة قاضي العسكر يطلق عليه « موظف جباية المحاسبة النقدية بخدمة قضاة العسكر » (٧٨) يبدو أنه كان مسئولاً عن جمع الرسوم الخاصة بقضاة العسكر من متحصل أموال محكمة الباب العالي .

قضاة الأخطاط في القاهرة :

حددت الرسوم القضائية التي يحصل عليها قضاة الأخطاط في مقابل نظر القضايا التي تنظر أمامهم تحديدا دقيقا ، كما يلاحظ من خلال الوثائق أن قضاة العسكر كانوا يفرضون رقابة شديدة على هذه المحاكم خشية تعديهم في أخذ الرسوم أكثر من المعتاد . وحددت رسوم الحجة في هذه المحاكم في القرن السادس عشر باثني عشر نصفا (٧٩) ولكن في أغلب فترات القرنين السابع عشر

والثامن عشر زيدت - كما يبدو من الوثائق - الى خمسة عشر نصفاً (٨٠) وكان قاضى العسكر يحذرهم من التعدى وأن القصد هو راحة الرعايا والشفقة على الفقراء (٨١) .

وكان القضاة من أولاد العرب (وهم قضاة المذاهب الشافعى والمالكى والحنبلى) يقومون بضبط محصول المحكمة طوال الشهر وفى آخره يرسلون دفترها الى قاضى العسكر بما ورد الى المحكمة (٨٢) .

ومن الواضح أن قضاة الأخطاط بعد تسليم السجلات الخاصة بضبط الرسوم القضائية الخاصة بمحاكمهم الى قاضى العسكر ، كانت تحدد النسبة الخاصة بهم والعاملين معهم من الشهود والكتاب وغيرهم ، وكذلك النسبة المخصصة لقاضى العسكر من هذه الرسوم وتوزع عليهم - ثم بعد ذلك يوضع الجزء المحدد برسم السلطان الى بيت المال حتى يرسل مع حصيلة المحكمة الى السلطان .

القسام العسكرى :

نتيجة لأن القسام العسكرى كان تابعا لقاضى عسكر الأناضول رأسا ولم يكن هناك اشراف أو تبعية لقاضى عسكر عليه ، فقد حددت له رسوم معينة ويذكر على مبارك فى كتاب لم يقف على مؤلفه أن رسم الحجة أمام القسام العسكرى على كل ألف عثمانى خمسية عشر عثمانيا . كما أنه اذا قوم على الورثة عروضاً أو عقارات فلا يقوم بزيادة عن القسمة (٨٣) .

ولكن اتضح من الوثائق أن النسبة التى كان يحصل عليها القسام العسكرى لم تكن محددة دائماً فقد تراوحت بين ٢١ فى الألف و ٧١ فى الألف (٨٤) بل وصلت النسبة التى يحصل عليها

القسام العسكرى فى بعض الحالات الى ثلث التركة التى يتركها صاحبها دون وريث وذلك فى صافي التركة بعد خصم المصاريف (٨٥) .

وللدلالة على القيمة المالية التى يحصل عليها القسام نلاحظ أنه على سبيل المثال فى عام يبدأ من ذى الحجة عام ١١٥٨ هـ ١٧٤٥ م الى ذى الحجة عام ١١٥٩ هـ ١٧٤٦ م كانت الرسوم التى جبيت فى هذه الفترة هى ٣٤٥٠٠٠ بارة (٨٦) فلو افترضنا أن الرسم المحدد على كل ألف عثمانى هو ١٥ عثمانى فبذلك تكون رسوم القسام العسكرى عن ذلك هو ٢٣٠٠٠ بارة فى عام واحد وهو مبلغ ضخم .

قضاة الشرع فى الأقاليم :

حددت رسوم معينة على القضايا التى تنظر أمام قضاة الأقاليم وهذه الرسوم خصص جزء منها للقضاة وجزء منها للعاملين فى المحاكم فى نفس الوقت نعتقد أن جزءا من هذه الرسوم قد خصص لقاضى عسكر الأناضول وذلك لأنه صاحب الولاية عليهم ولا دخل لقاضى عسكر فى هذه الرسوم لأنه لا سلطة له عليهم .

كما يتضح أن قضاة الأقاليم كانوا يحصلون على مرتبات يومية قدرها ٣٠٠ أقجة وينص على ذلك فى مرسوم التعيين الصادر من قاضى عسكر الأناضول (٨٧) .

كما تنوعت الموارد المالية للقضاة فى الأقاليم ، ولكنها اختلفت فى الأقاليم الريفية عن الشغور ، ففي الشغور خصص للقاضى كيس من النقود قدره ٢٥٠٠٠ بارة وذلك من قيمة الصادر الى الميناء (٨٨) .

أما فى الأقاليم الريفية فقد خصصت للقضاة مبالغ مالية كعائد لهم من ضمن العوائد المقررة للحكام فى أراضى الكشوفية (٨٩) .

كما كانت تخصص لهم أجزاء من أراضى الرزقة الاحباسية للانتفاع بها في مواجهة أمور الحياة . كما كانت تخصص لهم أجزاء من أراضى الأوسية (٩٠) للانتفاع بدخلها (٩١) .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - تمتع قاضى العسكر بموارد مالية مهمة من حصيلة الرسوم القضائية سواء التى كانت تجبى من القضايا التى تنظر أمام محكمة الباب العالى أو الديوان العام . كما أن له جزءا من الرسوم على القضايا التى تنظر أمام محاكم الأخطاط فى القاهرة .

٢ - تمتع القسام العسكرى بالحصول على مورد مالى ضخم وذلك لضخامة الرسوم التى تجبى من المحكمة كنتيجة لضخامة ثروات العسكرين وكثرتهم .

٣ - كان قاضى عسكر الأناضول يحصل على جزء من الرسوم التى تجبى من محكمة القسمة العسكرية بل انها كانت تجمع فى كثير من الأحيان باسم قاضى عسكر الأناضول، وكذلك يحصل أيضا جزءا من رسوم محاكم الأقاليم بحكم ولايته العامة عليهم .

٤ - تنوعت الموارد المالية لقضاة الشرع فى الأقاليم فهم بالإضافة الى ما يحصلون عليه من رسوم مالية - نظير الرسوم القضائية - فقد خصص مورد مالى سواء على الأراضى الزراعية أو على الجمارك فى الثغور كما كانوا يحصلون على مورد مالى نظير تفويض القسام العسكرى لهم فى نظر قضايا العسكرين فى الأقاليم . إضافة الى رواتبهم التى يحصلون عليها .

٥ - يتضح من المصادر المعاصرة أن جزءا من الرسوم المالية التي فرض على القضايا خصص كرسم باسم السلطان يوضع في بيت المال حتى يرسل مع الخزائنة السلطانية .

٦ - تشير بعض مصادر هذه الفترة ولاسيما مصادر القرن الثامن عشر الى شراء القضاة لمناصبهم ، وكذلك بيع المناصب القضائية للعاملين معهم ، ولكننا لا نعلم شيئا عن هذه من خلال السجلات الخاصة بهذه الفترة ، كما أننا نعتقد أن الدولة لن تسمح ببيع هذه المناصب القضائية المهمة لمن يدفع أكثر ففي هذا سماح لعديمي العلم والأهلية بدخول هذا المجال وهو ما يتناقض مع ما نعلمه من خلال نفس المصادر من اهتمام الدولة بالنظام القضائي . كما نعلم أن العاملين تحت اشراف القضاة مثل قضاة الأخطاط التزموا بدفع جزء من الرسوم الخاصة بمحاكمهم الى قاضي العسكر ، فيبدو أن الأمر اختلط عليهم فظنوا أنه بيع مناصب نظير رسوم مالية ..

الأنشطة الاقتصادية للقضاة :

شارك القضاة سواء قضاة العسكر أو قضاة الأقاليم في ممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة في ذلك الوقت من تجارة وزراعة وغيرها ، ولكن من الملاحظ أن قضاة الأقاليم قد قاموا بدور كبير في ذلك المجال بعكس قضاة العسكر - كما يتضح من خلال السجلات التي أمكننا الاطلاع عليها - وربما يكون السبب في ذلك هو أن قضاة العسكر كنتيجة لوجودهم في القاهرة وهي بؤرة الأحداث السياسية في البلاد وانشغالهم الدائم بالمشاركة في الديوان

إضافة الى اشرافهم على الأوقاف ، لم تغطي هذه الأحداث المتلاحقة الفرصة للمشاركة في هذه المجالات ، وقد نتج عن دخول القضاة في هذه المجالات تحسين مستواهم الاقتصادي .

التجارة :

بالرغم من تأثر الحالة التجارية لمصر بكشف طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية العصر المملوكي . فان الحالة التجارية لم تستمر في تدهورها كثيرا ، واستمر وجود التجار الأجانب بها وخاصة بعد تشجيع الفاتح العثماني لهم على المجيء الى البلاد والتجارة بها للاستفادة من هذا الدخل .

وقد عمل الكثير من القضاة في الأعمال التجارية بالاشتراك مع التجار بل انهم أقاموا الشركات التجارية معهم مثل « القاضي أبو الثنا نصوح بن سليمان الرومي الحنفى الحاكم الشرعى بشفر دمياط الذى أقام شركة مع الزينى خير الدين بن المرحوم محمد المعروف بابن زعيتر التاجر وهو المسئول عن هذه الشركة ، ويرسل الربح الى القاضي أبو الثنا كل فترة زمنية » (٩٢) .

كما اشترك القضاة في عمليات تجارية بعضهم مع بعض ، فقد اشترى القاضي عمر أفندى ٠٠٠ من القاضي أحمد الشهير بالزردار الناظر فى الأحكام الشرعية بالمحلة الكبرى بالغربية اشترى منه ثلاثة وأربعين قنطار بن بالوزن المصرى وثمان ذلك كله ثلثمائة وخمسين دينارا « (٩٣) .

وكان « درويش أفندى القاضى بولاية الفيوم يتاجر هو الآخر فى البن فقد اشترى من الخوجة عبد الرازق بن ياسين بن محمد العسكرى بنا يقدر ثمنه بثمانمائة دينار واثنتين وأربعين دينارا من الذهب الشريقى » (٩٤) .

ولم تقتصر تجارة القضاة على مواد محددة من البضائع بل تعددت هذه البضائع مادام الهدف منها في النهاية هو الربح ، وإن كانت قد تركزت حول تارة البن بصورة كبيرة وذلك لما كانت تدره من أرباح خيالية في هذه الآونة . فقد تاجر « القاضي أبو الجود محمد التميمي القاضي بدمياط في الحطب الرومي واشترى من الرئيس شحاتة بن الحاج عبد النبي الشهير بابن البياع الرئيس بمراكب بحر المالح ١٣٣٥ قنطار من الحطب الرومي بالوزن الدمياطي (٩٥) » .

وارتبط القضاة مع أفراد من الأوجاقات العسكرية بعلاقات تجارية مثل « القاضي محمد أفندي القاضي باقليم المنزلة فقد ارتبط بالأمير أحمد بن مصطفى والزيني أحمد بن عبد الرحمن من المتفرقة ومصطفى بن اسكندر الينكجري والأسطى محمد والأسطى رجب من المتفرقة وهؤلاء من التجار في الطواقي ، ارتبط في علاقات تجارية كبيرة وخاصة بالوصلات من القماش القصب » (٩٦) .

وباع « محمد أفندي الرومي الحنفي الناظر في الأمور الشرعية بولاية البحيرة الى السيد الشريف عبد السميع العلوي خنجرا فضة مطليا بألف نصف واحدة وسبعماية نصف فضة وكذلك مبخرة فضة بتسعمماية نصف فضة واثنين وسبعين وعن ظهريين ثلثمائة نصف فضة واثنين وخمسين نصفاً وعن ثمن ستة ظهور أربعة وعشرين قرشاً أسدياً » (٩٧) .

كما ارتبط القضاة بعلاقات تجارية مع التجار من أهل الذمة وكذلك العاملون في القنصليات الأجنبية (٩٨) .

هذه نماذج من العمليات التجارية التي كان يقوم بها القضاة والتي كانت تدر عليهم قدراً من الربح ولكن هذه الأرباح كانت

غير محددة بالوثائق ، وقد قامت هذه العمليات التجارية بدور مزدوج في النواحي الاقتصادية ، فمن الناحية الاقتصادية أدت الى رفع المستوى الاقتصادي لهم وبالتالي عدم أنزلاقهم الى مهاوى الرشوة ومن الناحية الاجتماعية ساعدت على اقامة العديد من العلاقات المتشابكة بين القضاة وطبقات الشعب المضرى .

كما يلاحظ أن النشاط التجارى للقضاة وان انحصر في قضاة الأقاليم فان هؤلاء قد اختلفوا فيها كثيرا فقضاة الأقاليم الريفية لم يظهر لهم دور تجارى كبير بالمقارنة بقضاة الثغور ويعود ذلك الى طبيعة الثغور وما بها من تجار أجانب وما يرد اليها من بضائع وغير ذلك .

(ب) الزراعة :

شكلت الزراعة المصدر الاقتصادي الأساسى لمصر منذ أقدم العصور وذلك لتوافر المقومات الأساسية التى تحتاج اليها من أراض زراعية خصبة ومياه النيل وكذلك الأيدي العاملة ، وقد عمل العثمانيون على الاهتمام بالزراعة منذ دخولهم البلاد فاتحين لعلمهم أنها المصدر الأساسى للثروة وعملوا على ادخال بعض التحسينات عليها .

وعمل العديد من القضاة على تأجير الأراضى الزراعية واستغلالها اقتصاديا . ولكننا لا نعلم كيفية استغلالهم وادارتهم لها . هل كانوا يقيمون بها أو يرسلون من يديرها لهم ويحصلون هم على الأرباح ؟

اننا نرجح أنهم كانوا يرسلون من يديرها لهم ويحصلون هم على الأرباح ولاسيما أن القضاة فى كثير من الأحيان كانوا يقيمون

في أقاليمهم القضائية ويستأجرون أراضي زراعية في أقاليم بعيدة عنهم ، فلا يعقل أنهم يتركون أعمالهم الأساسية للتفرغ للإشراف على الأراضي الزراعية وزراعتها .

فقد استأجر القاضي « حسين أفندي بن نصر الدين جميع القطعة الطين السواد الكاينة بميت عقبة بالجيزة ومساحتها مائة فدان ، واستأجر جميع الطين الكاين بكفر منيل العطش بالمنوفية وجميع الطين المعروف بالبرك والقنصرة بجزيرة بنى مضرين غمرين وبركى . وقدره ثلاثة وسبعون فدانا » (٩٩) .

كما استأجر « مصطفى أفندي جاويش زادة الناظر في الأحكام الشرعية بمدينة دمياط ونواحيها من مؤجره الأمير محمد بن عبد الله جميع أراضي ناحية العادلية وكفرها المعروف بالعادلية بولاية دمياط » (١٠٠) .

واستأجر القاضي « تقى الدين بن عبد القادر التميمي الداري القاضي في الأحكام الشرعية بمدينة الفيوم من الشيخ زين الدين عبد الجواد جميع القطعتين الأرض الطين السواد الكائنتين بناحية تاج الدول » (١٠١) واستأجر القسام العسكري « أحمد بن شعبان من الأمير محمد بن مصطفى عمر حجازي جميع القطعتين الأرض الطين السواد والرزقتين الأحباسيتين الكاين أحدهما بملقة زقين بالجيزة وعبرتها عشرة أفدنة والثانية بناحية المعتمدية بالخيرية أيضا وعبرتها عشرة أفدنة » (١٠٢) كما استأجر القاضي « محمد أفندي جلبي القاضي باقليم الدقهلية النصف حصة من أصل عشر حصص شايها ذلك بأرض ناحية سلنت بالدقهلية » (١٠٣) واستأجر القاضي حسن أفندي التميمي القاضي بدمياط جميع الحصص التي قدرها النصف شايها ذلك في القطعة الطين السواد الكائنة بناحية

أبنوب « (١٠٤) كما استأجر القاضي حسن أفندي قاضي ثغر دمياط، جميع الطين المعروف بالجوراني الواقع فيها بين العدلية وفارسكور بالقرب من ثغر دمياط وهو جار في أوقاف الحرمين الشريفين للانتفاع به بالزراع والزراعة (١٠٥) . كما عمل بعض هؤلاء القضاة على تربية المواشي بجانب الزراعة وكذلك للاستفادة منها في عمليات الزراعة والمتاجرة فيها أيضا . من هؤلاء « عمر أفندي بن أحمد بن شعبان القسام العسكري بمصر » (١٠٦) .

من هذا يتضح التواجد الكبير للقضاة في الانتاج الزراعي عن طريق تأجير الأراضي الزراعية واستغلالها اقتصاديا للاستفادة بما تدره من أرباح كبيرة ولكن لم يدخل القضاة مجال الالتزامات الزراعية بعد تطبيق الالتزام في مصر وربما يعود ذلك الى عدم استقرارهم النهائي في البلاد فاكثفوا بتأجير الأراضي الزراعية فقط من ملتزمها .

ثانيا - الاختصاصات الاقتصادية للقضاة :

(أ) دور القضاة في الاشراف على الأوقاف :

الوقف في الشريعة الاسلامية صدقة محرمة ، لا تباع ولا تشتري ، ولا توهب ولا تورث ويصرف ريعها الى جهة من جهات البر . وقسم الناس الوقف الى قسمين : الأول الوقف الخيري وهو ما يصرف فيه الربيع من أولى الأمر الى جهة خيرية كالفقراء والمساجد والملاجيء ونحو ذلك . والنوع الثاني : هو الوقف الأهلي وهو ما جعل استحقاق الربيع فيه للواقف نفسه أو لغيره من الأشخاص المعينين بالذات أو الوصف سواء أكانوا أقاربه أم من غيرهم - ثم من بعد ذلك يكون لجهة خيرية - وهذه التسمية حديثة (١٠٧) .

وقد ظلت الأوقاف في مصر مع كثرتها منذ دخول المسلمين مصر . في أيدي المستحقين أو نظار الوقف ، حسب شروط الوقف دون أي تدخل أو إشراف من الدولة حتى ولي قضاء مصر القاضي الأموي توبة بن ثمر « في زمن هشام بن عبد الملك » فقال ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدي عليها حفظا من البوار والتوارث ومنذ ذلك الوقت أصبحت الأوقاف تابعة للقضاة ، وصار من المتعارف عليه أن يتولى القضاة النظر في الأوقاف ، بحفظ أصولها واستثمارها وقبض ريعها في أوجه صرفه فإن كان عليها مستحق للنظر فيها حسب شروط الواقف ، راعاها القاضي ، وإن لم يكن هناك من ينظر فيها تولى القاضي النظر فيها (١٠٨) .

وتنوعت الأوقاف في العصر المملوكي حتى نظمت في عهد الظاهر بيبرس البندقداري فانقسمت إلى ثلاثة أقسام رئيسية على الأقل بحسب رئاستها أو تبعيتها وهذه الأقسام هي الرزق التابعة لديوان الأعباس والأوقاف الخيرية على الحرمين وجهات البر وكانت تحت إشراف قاضي القضاة الشافعي وهي التي عرفت بالأوقاف الحكومية ثم الأوقاف الأهلية أو تلك الأوقاف التي امتزج فيها الوقف الخيري بالوقف الأهلي ، وكانت بيد نظار من أولاد الواقف (١٠٩) وكان قاضي القضاة الشافعي يتناول معلوما من ريع الأوقاف الحكومية نظير إشرافه عليها وهناك من القضاة من تنازل عن هذا المعلوم (١١٠) .

وعند مجيء العثمانيين إلى مصر كانت مساحة كبيرة من أراضي مصر أوقافا بلغت عشرة قراريط (على اعتبار أن مصر كلها ٢٤ قيراطا) كانت غالبية مباني القاهرة والفسطاط (١١١) وكانت سياسة السلطان سليم قائمة على أساس إبقاء القدر الأكبر من

الأمر على ما هو عليه وعدم أخذات تغيير جوهرى في قوانين السلف وما تعارف عليه الناس ما دامت لا تتعارض مع بقاء سلطته العليا وتبعية الولاية له ، لذلك أصدر السلطان مرسوما في ٢٤ ربيع الآخر ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م الى الكشاف والمباشرين والمتحدثين بعدم التعرض لجهات أوقاف الجوامع والمدارس والمساجد والزوايا والربط والمعابد وأنواع البر والقربات حتى الأوقاف الأهلية والرزق ليس هناك ما يدل على أن سليم قد تعرض لها بل الأغلب أنه ترك أمرها بيد ذويها (١١٢) .

وهناك قصة حول هذا الموضوع وردت في كتب المؤرخين تدل على مدى حرص السلطان سليم الأول على الحفاظ على الأوقاف وهي أنه عندما تقدم خاير بك بمفاتيح البلد الى السلطان سليم ردها عليه وولاه عليها الى أن يموت وشاوره على ابقاء أوقاف الجراكسة وهي نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأجازه بإبقائها على ما كانت عليه فشوش وزيره « وقال فتى مالنا وعساكرنا ونسلمهم بلادهم وندخلهم في عساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بذلك ؟ فقال السلطان سليم أين الجلاد ؟ ف ضرب عنق الوزير » (١١٣) .

وبدأ اشراف قاضى العسكر العثماني على الأوقاف في مصر منذ حضور أول قاضى عسكر لمصر « هو جلبى أفندى » الذى قرر القاضى شجاع العثماني وجعله قاضى عسكر متحدثا على أوقاف الجوامع والمدارس ومعالم النظار ، فطلب الجباة وقال لهم « ارفعوا لى حساب الأوقاف وقدر معالم النظار وما تدرها كل شهر فشرعوا فى أسباب ذلك فى عمل الحساب » (١١٤) .

وللدلالة على الحفاظ على الأوقاف فى مصر ، نلاحظ أن أحد خواص السلطان العثماني فى مصر وهو «داود أغا» أرسل للسلطان مراد خان مصحفا شريفا مسطرا باللازورد والذهب محورا

بخط جميل ، بقلم السلطان بعد ذلك أنه موقوف ضمن أوقاف مضر فأرسل الى قاضى القضاة الذى أخذ يبحث فى كتب الأوقاف عمن وقفه حتى اهتدى الى أن واقفه هو بيبرس جاشنكير على جامع الحاكم فأعاده مرة أخرى (١١٥) .

وقد نص فقهاء المسلمين على أن من ضمن وظائف القاضى ان كانت ولايته عامة مطلقة التصرف النظر فى الأوقاف بحفظ أصولها وتنمية فروعها والقبض عليها وصرقها فى سبيلها (١١٦) .

ويبدأ دور القاضى فى الاشراف على الأوقاف منذ تسجيلها أمامه وإقرار الواقف بوقفه وتصديق القاضى على ذلك الوقف وأنه صحيح واصدار حجة بذلك الوقف (١١٧) . ومن القضاة من تألق فى استخدام العبارات الانشائية القوية البليغة فى الامضاء على الأوقاف من ذلك ما كتبه القاضى « عثمان أفندى بن محمد باشا قادرين زادة » (على وقفية) الشيخ عبد المعطى شيخ الجرايحية بالديار المصرية وهو قوله ما تضمنه فحوى هذا الكتاب من أصل الوقف الواجب رعاية ما يجب رعايته من هذا المجاب حكمته لصحته ولذويه حكما يعتد به عند أرباب الألباب واقفا على مواقف الخلاف الواقع بين المجتهدين المستنبطين من السنة والكتاب « (١١٨) .

وبحكم مسؤولية القاضى عن ادارة الأوقاف فقد كان من حقه ان يعين الناظر على الأوقاف مع مراعاة شروط الواقف فى ذلك ، وينص قرار تعيين الناظر من قبل القاضى على اختياره لاستقامته وحسن سيرته (١١٩) .

واضافة الى الناظر الاصلى على الأوقاف كان القاضى يعين ناظرا آخر وهو ما يعرف باسم (الناظر الحسبى) وهو غالبا - كما تمدنا المصادر - من العسكريين وتنص المصادر « على أنه عين

ليستعين به القائمون على الوقف على استخلاص مال الوقف ممن هو
في جهته كائنا من كان « وغالبا ما يعين بناء على طلب الناظر الأصلي
للووقف أو المستحقين في الوقف من القاضي تعيينه (١٢٠) ولا يحق
للناظر الأصلي على الوقف أن يتصرف في شيء من أمور الوقف بدون
معرفة الناظر الحسبي ومراجعته له (١٢١) وللحفاظ على الأوقاف
من عبث المفسدين وحماية أموالها من القائمين عليها فقد كان يحق
للقاضي عزل الناظر إذا خالف شروط الواقف أو إذا أقام شيئا
فيه ضرر على الوقف أو على المستحقين أو عدم قدرته على القيام
بإدارة الوقف مما يؤدي إلى تعطيله عن القيام بواجباته فقد عزل
قاضي عسكر « الحرمة زاهدة ناظرة وقف تمر بن عبد الله اليوسفي
لأنها لم تعمل للوقف محاسبة مدة مديدة ولشكاية المستحقين
بسبب معاليهم ولحصول الضرر لهم بسبب ذلك » (١٢٢) وعزل
« حسن بن علي الرايحي الناظر على زاوية سيدي إلى الدلائل بخط
قناطر السباع . . . وذلك لتقصيره ولتصرفه الفاسد وقطع أشجار
الوقف واستغلال ريعها » (١٢٣) كما عزل « فخر الدين الناظر
الحسبي على وقف المرحوم يرسباي الخليلى لقوته وإساءته
الأدب » (١٢٤) .

وفي الأقاليم كذلك كان لقاضي الاقليم بحكم ولايته على أوقاف
اقليمه أن يقوم بعزل الناظر إذا ما حدث منه ما يخالف وظيفته
فقد عزل « شاهين بن يحيى العثماني الناظر على مسجد بن وكيل
السلطان بالجلعين ومسجد بن هارون وزاوية قاعة السلاح وذلك
لأنه من حين توليته لم يحصل منفعة ولا عمارة بالمساجد المذكورة
وآلت إلى الخراب لأكله ريع ذلك وعدم صرفه في مصالح الأوقاف
المذكورة ولم يوف معاليم المستحقين بالوقف فحصل لهم بذلك غاية
الضرر وسيرته كذلك ذميمة وأفعاله غير مستقيمة » (١٢٥) .

بهذا يتضح مدى اشراف القضاة على نظار الأوقاف وحقهم في عزلهم تحت أى مخالفة كما يجدر القول أنه حتى في حالة حصول الشخص على براءة سلطانية بتعيينه ناظرا لأحد أوقاف القاهرة فلا بد من موافقة قاضى العسكر بحكم ولايته الخاصة على الأوقاف وهى مقدمة على الولاية العامة (١٢٦) .

أما في حالة الأوقاف المشروطة نظارتها بقاضى القضاة ، ففي أغلب الأحيان يوكل غيره في نظارتها عملا بالقاعدة الشرعية من ملك تصرفا شرعيا جاز له أن يوكل به غيره وللناظر أن يعزل من وكله بسبب أو بغير سبب لأن وكيله يستمد التصرف منه وله أن يوكل غيره بعزله وهكذا (١٢٨) فقد استناب قاضى القضاة « درويش أحمد في وظيفة النظر والتحدث على وقف السيد الشريف البروينى المشروط له نظارته » (١٢٨) كما أقام قاضى القضاة « البدرى حسن بلوك باشى طائفة الشراكسة بثغر دمياط وكيله عنه في التصرف في أوقاف المدرسة المعينية بثغر دمياط المشمولة بنظره بموجب شرط الواقف له » (١٢٩) كما قرر قاضى القضاة عبدى بن ناصرى محمد الشهير بكتخدا في نيابة النظر والتحدث على وقف المرحوم جانيه بهلوان المشروط نظارته لحضرة مولانا قاضى القضاة « (١٣٠) .

وبالرغم من ذلك فإن الوثائق لا تمدنا بمعلومات عن الأجر الذى يحصل عليه قاضى القضاة مقابل توليه أعمال النظارة كذلك الأجر الذى يحصل عليه مقابل اشرافه على الأوقاف وموظفيها وأعمالها والتفتيش عليها من آن لآخر .

كما أن من حق القاضى ابطال ما يستخدمه الناظر في الوقف من وظائف خاصة في حالة عدم تحمل الوقف لتلك الوظائف (١٣١) .
ووجد العديد من التصرفات التى لا يجوز لناظر الوقف أن يقوم بها الا بعد الحصول على اذن مسبق من قاضى عسكر - مثل

الديون والعمارة وكذلك زيادة مرتب العاملين بالأوقاف - فلا يحق لناظر الوقف القيام بها من تلقاء نفسه وأعطت هذه الحقوق للقضاة نوعاً من الرقابة الشديدة على الأوقاف وبالتالي أدت إلى قلة حوادث الفساد فيها .

فقد أذن قاضي القضاة « لصالح جلبي » ناظر وقف يشبك ابن مهدي أن يستدين على جهة الوقف المذكور المبلغ المذكور المستحق على الوقف الآن وأن يدفع ذلك من مال الوقف عند حصوله (١٣٢) وبعد ذلك يقر الناظر المذكور أمام القاضي بأنه استدان على الوقف، ويحدد قيمة الدين الذي استدانه على ذمة الوقف (١٣٣) .

كما أن الفقهاء أجازوا للقاضي أن يزيد في المرتبات إذا كان ما عينه الواقف أصبح لا يكفي وخشى القاضي تعطيل الشعائر بترك القائمين بها عملهم لقلة مرتباتهم وأجاز له فقهاء الحنفية مخالفة شرط الواقف في ذلك (١٣٤) .

فقد قرر قاضي القضاء « الشيخ يوسف بن الشيخ شهاب الدين وشريكه مدين بن الشيخ حمادة الطريني في وظيفة أذان وملى فسقية وبوابة وفراشة ووقادة بمدرسة شيخ الاسلام البلقيني وقف بنته ألف على عاداتها ٠٠٠ وزاد لها في معلوم ذلك في كل يوم نصفاً واحداً لاتساع الوقف وكفاية ريعه بأخبار الواقف (١٣٥) .

وللقاضي أن يدخل من يشاء من المستحقين لمرتبات الأوقاف إذا ثبت له احتياجهم لذلك فقد قرر « قاضي القضاة صفية بنت الشيخ محمد الأيار في مرتب قدره ثمانية أرادب قمح حنطة بوقف الشيخ شاهين بالجبل المقطم » (١٣٦) وقرر قاضي القضاة « أولاد الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن المرحوم سليمان في ثلثي مرتب بالمدينة المنورة بوقف المرحوم سنان باشا » (١٣٧) . وقرر أيضاً

الشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحوم الشيخ أحمد بن المرحوم
عبد الرحمن الشنوني في الريع ستة قراريط في مرتب بوقف المرحوم
قائم التاجر « (١٣٨) » .

أما عمارة الأوقاف فلا يجوز لناظر الوقف أن يقوم بها بدون
إذن القاضي وبعد أن يثبت له كشاف الأوقاف الذي يرسله أن الوقف
متهدم وفي حاجة للترميم وفي بعض الأحيان يحدد القاضي المبلغ
الذي على العمارة ويشترط أن يكون الصرف بمعرفة مباشر الوقف
ويقوم القاضي بحاسبة الناظر والعاملين بالوقف عما صرف على
العمارة من مال (١٣٩) .

وقد وصل الأمر بقاضي الاقليم الى الحد الذي منع فيه القاضي
ناظر الوقف ومباشره وشاهديه من قبض مرتباتهم الا بعد العمارة
وذلك لأنهم لم يعمرؤا الوقف واحداث الضرر الشرعي المقتضى
لذلك (١٤٠) .

ومما يحمد به القضاة ويمتدحون تعميرهم الأوقاف واهتمامهم
بها من ذلك ما مدح به « حامد جلبي » بأنه عفيف في ولايته مسارع
بالحق مجتهد في عمارة الأوقاف وأنها عامرة بالأنصاف (١٤١) .

ويقوم قاضي القضاة بتكليف قضاة الأخطاط كل في مكانه
بالكشف عن الأوقاف في منطقة اختصاصه ومعرفة ما يحتاج الى
عمارة وما هو متعطل منها والإشراف على أوقافها والتأكد في
اصلاحها وترميمها وتنظيمها حتى تكون صالحة للعمل تماما (١٤٢) .

أما عن الموظفين في الأوقاف فيقوم قاضي القضاة بتعيينهم
وتحديد مرتباتهم ان لم يكن الواقف قد حدد ذلك في حجة وقفه .
ويتبع التعيين ، الإشراف على الموظفين في الأوقاف بل ان بعض
القضاة استخدم هذه الوظائف كإنعامات على المقربين منه (١٤٣) .

ولكن الأمر الجدير بالملاحظة هو الاستفادة من المذاهب الفقهية في المعاملات الاقتصادية واستغلال الاختلاف بين المذاهب الفقهية في بعض الأمور الاقتصادية لصالح الوقف أو لصالح المستأجر ومن هذا كثرة عقود الإيجار التي تبرم أمام القاضي الحنبلي « على المذهب الحنبلي » واصرار المستأجرين على ذلك ويرجع السبب إلى الاستفادة المستأجرين من أحكام المذهب الحنبلي مما كان يضيف على المستأجرين من مزايا عديدة ، حتى أن بقية مدة الإيجار عند موت المستأجر كانت تورث إلى ورثة المستأجر (١٤٤) .

وأمام القاضي كان يتم تسجيل كافة المعاملات الخاصة بأمور الأوقاف وذلك بغرض الحفاظ على أموال الأوقاف من التلاعب ، وفي حالات كثيرة كان الإيجار يتم أمام قاضي القضاة كطرف في الإيجار وذلك بحكم ولايته العامة على الأوقاف أما الأوقاف المشروطة نظارتها لقاضي القضاة فتتص على أنه أجراها بطريق نظارته الخاصة الكاملة (١٤٤) .

أما في حالة المنازعات على الأوقاف فيتم الفصل فيها أمام القاضي بعد الكشف على هذه النزاعات والتحقيق فيها بواسطة الكشاف الذي يوجهه قاضي عسكر إلى محل النزاع للكشف والتحقيق واستماع الشهود ثم بعد ذلك يقضى قاضي العسكر في النزاع ويصدر حكمه في ذلك (١٤٦) .

ويتم محاسبة ناظر الوقف على مصروفات الوقف وأرباحه وما أدره كل عام أمام القاضي ويقدم الناظر كشفاً بالحساب في هذا الأمر فعندما تقدم « الشرفي يحيى » ناظر وقف الجامع المعروف بالبدرى بشعر دمياط إلى قاضي الولاية قدم كشف محاسبة مما جاء فيه ، قديم بيانا بما تحصيل من المستحقات في المدة المذكورة وكذلك

ما تحصل من البساتين ثم المصروف في ذلك في المدة المذكورة
وما صرف بعد ذلك من مرتبات المستحقين والعمارة والمرمة وغير ذلك
من الأمور الخاصة بالوقف (١٤٧) .

وكان يتم تفتيش دورى على الأوقاف كان في البداية بعناصر
عثمانية وافدة ثم بعد ذلك أصبح يتم بواسطة عناصر ادارية محلية
تحت اشراف القضاة . واشهر تفتيش تحدثنا عنه المصدر هو
تفتيش عام « ٩٥٤ هـ - ١٥٤٧ م » وما أعقب هذا التفتيش من
اعداد بيانات مفصلة عن الرزق والأوقاف في مصر ، يستوى في ذلك
العقارات والأطيان الزراعية فقد تم تدوين وتنظيم هذه المعلومات
في دفاتر عرفت بعد ذلك « دفتر المولى عبد الله الغزالي » مفتش
الأوقاف المصرية وهو قاض أوكل اليه مهام التفتيش على الأوقاف
المصرية (١٤٨) .

وما يجدر الاشارة اليه انه قد جرت بعض المحاولات بفرض
خراج على الأرض الزراعية الموقوفة في مصر وابطال المرتبات
والأوقاف . وصدر مرسوم بذلك من السلطان وفتوى من شيخ
الاسلام ولكن السلطان طلب أنه اذا عارض أحد من الأئمة في البلاد
هذا الأمر يعول على رأيه (١٤٩) .

القضاة والاشراف على اوقاف أهل الذمة :

اما عن الأوقاف الخاصة بأهل الذمة فمنذ العصر الاسلامى
كان القضاة ينظرون في اوقاف أهل الذمة ، ويجددون الشهادة بها ،
وليس أدل على ذلك من الشكوى التى تقدم بها أحد النصارى الى
أحمد بن طولون يشكو فيها القاضى بكار بن قتيبة قائلا : « ان هذا
الذى كان يزعم انه كان قاضيا جعل ريع أبى حبسا ، فقبال بكار

ثبت عندى أن أباه حبس هذا الريع ، وهو يملكه فأمضيت الحبس فجاء هذا متظلماً فضربته فخرج الى بغداد فجاءنى بكتاب هذا الذى يزعم أنه الموفق ألا تمضى أحباس النصارى فعرفت أنه جاهل ، فلم التفت له « (١٥٠) » .

وفى العصر العثمانى أشرف القضاة على أوقاف أهل الذمة وأمامه كان يسجل الوقف ، من ذلك ما وقفه « المعلم أبو المناين عيسى النصرانى الصايغ » وشرط فى وقفه أن للذكر من ابنائه مثل حظ الأنثيين (١٥١) .

ويقوم قاضى عسكر بتعيين نظار الأوقاف النصرانية فقد قرر قاضى القضاة « الذمى رزق بن عبد السيد النصرانى اليعقوبى » على وقف جده « نصر الله بن ميخائيل النصرانى اليعقوبى العطار بالفحامين » (١٥٢) ومن حق القاضى كذلك عزل الناظر على الأوقاف الذمية فقد عزل « الذمى خير الله النصرانى » ناظر الكنيسة الكائنة بحارة الروم السفلى وذلك لعدم تقيده بخدمة الكنيسة ولا ينظر الى فقرائها والمنقطعين بها ولعدم رضا القسيسين به وأنهم يرضون المعلم عبد المسيح النصرانى المباشر ليتقيد بخدمتهم (١٥٣) كما حدثت نزاعات شديدة على الأوقاف الذمية من ذلك أن المعلم « مردفای بن خلف الله زكريا اليهودى » وقف وسبل وتصدق بوقف فى باب زويلة وبعد ذلك رجع عن الوقف وادعى على ناظر الوقف المذكور وطالبه بتسليمه الوقف ليتصرف فيه تصرف الملاك . ولكن قاضى العسكر حكم بصحة الوقف على قاعدة مذهبه وعدم جواز الرجوع عنه (١٥٤) .

بذلك يتضح أنه كان للقاضى المسلم على الأوقاف الذمية من الاشراف مثلما كان له على الأوقاف الإسلامية من حقوق الاشراف

تماما . كما أن أهل الذمة كعادتهم في تلك الفترة كانوا يلجأون إلى القاضي المسلم في كافة تصرفاتهم برضائهم رغبة في عدالتهم .

وقد حدثت بعض المحاولات لصرف القضاة عن النظر في الأوقاف من هذه المحاولات عندما حصل شخص من القاهرة وجه أنها للسلطان بأن القضاة ليسوا أمناء بل خونة أجلاف وحكم على كلهم بأنهم فقدوا الاستقامة والانصاف ولأجل هذا طلب من السلطان أن يتولى تقرير الأوقاف ومحاسبتها والإشراف عليها ، وصدر المرسوم للسلطان بتولية ذلك الشخص ، ولكن قاضي العسكر طلب الفتوى من العلماء على ذلك وهل يجوز تولية الإشراف على الأوقاف بدليل أن القضاة خونة وهو لم يأت في ذلك بدليل كما أنه بمراجعة كتب الأوقاف في مصر اتضح أن النظر به انقراض الموقوف عليهم من أولى الأمر إلى من يراه الحاكم الشرعي الحنفى في القاهرة . حتى أن من تقلد التولية في نظارة الأوقاف بمرسوم السلطان لا يتصرف فيها بمجرد المرسوم بل يمكن فيها بتقرير قاضي عسكر كما أن الولاية الخاصة للقضاة على الأوقاف مقدمة على الولاية العامة للسلطان (١٥٥) .

وأجاب العلماء على هذه الفتوى أن النظر في الأوقاف مشروط للقاضي وليس للسلطان وذلك لأن الولاية الخاصة للقاضي مقدمة على الولاية العامة للسلطان كما قال بذلك الفقهاء كما أن العرف الذي يعتبر قاعدة من قواعد الفقه قد جرى على تقليد سلاطين آل عثمان القضاة النظر على الأوقاف وبذلك فلا يحق للسلطان تعيين ذلك الرجل للإشراف على الأوقاف وسحب هذا الاختصاص من القضاة . لذا فقد طلبوا من السلطان عزل ذلك الرجل العامي الجاهل بأمور الشرع عن النظر في أوقاف المسلمين — كما قالوا للسلطان أنه من علامات الساعية إذا وكل الأمر إلى غير أهله — وأبطلوا العمل بموجب المرسوم الذي أصدره السلطان .

فما سبق يتضح الآتي :

١ - مثل القضاة ادارة رقابية شديدة على الأوقاف ونظارها وموظفيها ومحاسبتهم عما أنفقوا وعما جبي من إيرادات الوقف وكذلك عزلهم في حالة خطئهم فأدى ذلك الى تقليل نسبة الفساد في الأوقاف الى حد بعيد واستمرار الأوقاف في القيام بواجباتها التي وقعت عليها من قبل الواقف .

٢ - كان القضاة يحصلون على مرتبات من أرباح الوقف نظير اشرافهم عليه ولكن الوثائق لا تمدنا بقيمة هذا المرتب ولكن من الواضح أن الأوقاف مثلت مصدرا رئيسيا لدخل القضاة في تلك الأيام ولاسيما لضخامة حجم الأوقاف في مصر في تلك الآونة وكذلك كثرة الأوقاف التي اشترطت في نظارتها الخاصة أن يكون قاضي القضاة ناظرا لها .

٣ - اشرف القضاة على أوقاف أهل الذمة ومحاسبة نظارها وعزلهم وكذلك النظر في المنازعات التي تحدث على هذه الأوقاف تبعا للشرع الاسلامي ووفقا لشروط الواقف والذي نلاحظه أنهم في غالب الأحيان يستخدمون القواعد الفقهية الاسلامية مثل اشتراط بعضهم في تقسيم ريع وقفه « وللمذكر مثل حظ الأنثيين » .

٤ - نلاحظ أن بعض الأوقاف التي اشترط واقفها أن يكون ناظرها قاضي القضاة ، كانوا يهدفون من وراء ذلك توفير نوع من الحماية للأوقافهم عن طريق ناظرها قاضي القضاة وما لهم من مكانة وقدرة على حماية الأوقاف

من أى معتد واستخلاص حقوقها من أى طرف كائنا
من كان .

هـ - جرت بعض المحاولات لإبعاد القضية عن النظر في
الأوقاف ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع
لافتاء العلماء بعدم أهلية ذلك حتى لو أصدر السلطان
مرسوما بهذا الأمر وذلك لأن النظر الخاص للقاضي مقدم
على النظر العام للسلطان .

هوامش الفصل الرابع

(١) يتخذ البعض من ذلك ذريعة لوصم الحكم العثماني بالطابع العنصرى والتعصب بدليل قصر التمييزات على الأتراك فى هذا المنصب الجليل ويذكرون أنه نتيجة لهذا ولكون قاضى مسكر تركيا دائما فقد كان جاهلا باللغة العربية مما توجب عليه قصر نظرهم فى الأحكام وعدم الانسجام بينهم وبين الشعب المصرى مما أدى فى النهاية الى تدهور النظام القضائى ولكن كما اتضح وجد من بين المصريين من تولى منصب قاضى المسكر . كما كان قضاة المسكر يجيدون اللغة العربية ولهم مؤلفاتهم بها .

(٢) الشيخ أحمد العريشى مصدر سابق ص ٢ واعتمد عليه من درس هذا الموضوع من بين الباحثين والمؤرخين المحدثين عن هذا المنصب انظر أيضا :

- د/ ليلى عبد اللطيف ، مرجع سابق ، ص ٢٦٤ .
- دى شابرول ، مرجع سابق ، ص ١٩٩ .
- د/ محمد نور فرحات ، مرجع سابق ، ص ٣١ .
- د/ عبد العزيز الشناوى . الأزهر جامعا وجامعة - الأنجلو-امصرية القاهرة ١٩٨٣ ، ج ١ ص ١٩٥ .
- حسين أفندى الروزنامجى ، مصدر سابق ، ص ٢٣ .
- (٣) الحسن بن محمد البورينى - تراجم الأعيان من أنباء الزمان تحقيق د/ صلاح الدين المنجد - المجمع العلمى دمشق ١٩٥٩ - ج ١ ص ١٣٧ .
- المحبى - مصدر سابق - ج ١ ص ٣٣٣ .
- محمد بن أبى السرور البكرى - الروضة المأثوسة - مصدر سابق ص ٥٣ .

(٤) شهاب الدين الخفاجى - ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا . المطبعة المامرة ، القاهرة ١٢٧٣ هـ . ص ٣٦١ وما بعدها .

- (٥) المحبى - مصدر سابق ، ج ١ ص ١٣٠ .
- (٦) الشهر العقارى - سجلات تقارير النظر - س ٧ ق ٧١٨ ص ١١٠ .
- (٧) المحبى - مصدر سابق ، ج ٤ ص ٨٢ .
- (٨) بلاد الروم - يطلق هذا الاسم على استانبول وما جاورها من البلاد التابعة للدولة العثمانية - والسبب في ذلك أنها كانت سابقا تابعة للدولة البيزنطية .
- (٩) نجم الدين الغزى - الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة . تحقيق جبرائيل سليمان جبور المطبعة الأمريكية - بيروت ١٩٤٥ ج ١ ص ٢٢٠ .
- (١٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة الزاهد . س ٦٨٧ ص ١ ، ص ٢٨٢ .
- سجلات محكمة القسمة العسكرية . ش ٤٣ ق ١٣ ص ٧ - انظر كذلك الدميرى - مصدر سابق ، ص ٣٠ .
- الغزى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٩ .
- (١١) المحبى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٦٢ .
- (١٢) الغزى - مصدر سابق ، ج ٢ ص ١٠٩ انظر كذلك نفس المصدر ج ٣ ص ١٤٠ .
- الحسن البورينى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٦٧ .
- (١٣) مصطفى بن فتح الله الحموى - فوائد الارتحال ونتائج السفر في اخبار القرن الحادى عشر الهجرى . مخطوط بدار الكتب المصرية ٣١٨٧ تاريخ ج ١ ص ٦٤ .
- (١٤) المنزلة - من المدن القديمة سميت في العصر الرومانى بدار الضيافة - وهى موجودة في نهاية البحر الصغير من جهة بحيرة المنزلة واصبحت مركزا بمحافظة الدقهلية منذ ١٦ مايو ١٩٢٩ . انظر محمد رمزى ، مرجع سابق ، القسم الثانى ص ٢٠٤ .
- (١٥) الغزى - مصدر سابق ، ج ٣ ص ٦٢ .
- المحبى - مصدر سابق ، ج ٣ ص ٩ ، ج ١ ص ١٥٨ .
- (١٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى . س ١٢٣ ق ١٩٧٥ ص ٤١٩ .

(١٧) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي ص ١٢٤

ق ٢١٨ ص ٣٨ .

(١٨) ابن اياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٥٨ .

(١٩) نفسه ونفس الجزء ص ٤٦٠ .

(٢٠) أحمد شلبي عبد الغنى - مصدر سابق ص ١٦٨ .

(٢١) محمد بن أبي السرور البكري - كشف الكربة - مصدر سابق ،

ص ١٤٧ .

١٤ - في الاسحاقى - مصدر سابق ، ص ١٤٧ .

(٢٢) أحمد الدمرداش - مصدر سابق ، ص ٣٢ .

(٢٣) محمد البرلسى السعدى - مصدر سابق ، ص ٣٠١ .

- محمد بن أبي السرور البكري - كشف الكربة - مصدر سابق .

(٢٤) المحبى - مصدر سابق ، ص ١٨ .

(٢٥) الدميرى - مصدر سابق ، ص ١٨ .

(٢٦) نفسه ص ٢٣٢ .

(٢٧) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . ص ٢٠٩ - ص ١ .

(٢٨) الدميرى - مصدر سابق ، ص ٢٢٤ .

(٢٩) نفسه ص ٢٨ .

(٣٠) دى شابرول - مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

(٣١) مصطفى القينالى - مصدر سابق ، ورق ٩٩ .

(٣٢) أحمد شلبي عبد الغنى - مصدر سابق ، ص ٣٩٠ .

(٣٣) الجبرتى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٢٧ .

(٣٤) ابراهيم الصوالحي - مصدر سابق ، ص ٨٦ .

(٣٥) أحمد شلبي عبد الغنى - مصدر سابق ، ص ٤٦٥ .

(٣٦) الدميرى - مصدر سابق ، ص ٩٣ ، ص ٢٢٨ .

(٣٧) ابن اياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٦٧ .

(٣٨) الدميرى - مصدر سابق ، ص ٦٠ ، ص ١٦٩ .

١٥ - المحبى - مصدر سابق ، ج ٢ ص ٣٠٥ .

(٣٩) الجبرتى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٢٧ .

(٤٠) المحبى - مصدر سابق ، ج ٢ ص ١٩٤ ، ج ٣ ص ١٨٤ ،

ج ٤ ص ١٩ .

٢٨٩

(١٩٢ - تاريخ القضاء)

(٤١) الجبرتي - مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٢٦ .
(٤٢) الشهر العقاري - سجلات محكمة قناطر السباع سن ١٢٢٧
ص ١٠٣ .

- (٤٣) - المحبي - مصدر سابق ، ج ٣ ص ٤٣٦ ، ج ٢ ص ١٩٨ .
- الدميري - مصدر سابق ، ص ٧ .
(٤٤) - الدميري - مصدر سابق ، ص ٧ .
(٤٥) - المحبي - مصدر سابق ، ج ٢ ص ١٩٨ .
(٤٦) - ابن أبياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٦١ .
(٤٧) - نفس المصدر والجزء ص ٤٦٨ .
(٤٨) - الجبرتي - مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٢٧ .
(٤٩) - الشهر العقاري - سجلات تقارير النظر سن ٤ ق ١٠١٩ ص ٩٠ ،
س ٢ ق ٧١٦ ص ٥٩ ، ق ٥٨ ص ٥ .
(٥٠) - دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط س ٥٠ ق ٥٤ ط ١٩ .
- الشهر العقاري - سجلات الباب العالي سن ٨٤ ق ١١٦ ص ٢٩ ،
س ٩١ ق ١٠٤١ ص ٤٥٣ في س ٦٧ ق ٢٢١ ص ٥١ .
(٥١) - الشهر العقاري - سجلات الباب العالي سن ٣ ق ٤٠٦ ص ٨١ ،
س ٨٤ ق ٤٨٢ ص ١٠٠ .
(٥٢) - الشهر العقاري - سجلات الباب العالي سن ٧٠ ق ١٢٣٧
ص ٣١٢ .
(٥٣) - أحمد شلبي عبد الغني - مصدر سابق ، ص ٢٥١ .
- الجبرتي - مصدر سابق ، ص ٦٤ .
(٥٤) - الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي ، سن ٦٣ ق ١٦
ص ٣ ، س ٢ ق ٤١٠ ص ٨١ .
(٥٥) - أبي الحسن بن حبيب الماوردي - مصدر سابق ، ص ٥٤ .
(٥٦) Bernard G. Weiss and Arnold. H. Green Asurvey
of Arab History American University in Cairo, 1980. P. 397.
(٥٧) - السلطان أورهان بن عثمان - تولى الحكم بعد أبيه الغازي عثمان ،
قام بالكثير من الفتوحات ونقل مقر الحكم إلى مدينة بورصة توفي في ٧٦١ هـ
١٢٦٠ م . انظر محمد فريد - مرجع سابق - ص ٤٤ .

- (٥٨) د/ محمد حرب - العثمانيون في التاريخ والحضارة . المركز المصري للدراسات العثمانية - القاهرة ١٩٩٤ ص ٣١٥ .
- (٥٩) عرفت المدارس الثمان الاولى منها باسم مدارس الصحن الثمان لوقوعها في وسط استانبول تماما . وتضم كل مدرسة منها تسع عشرة غرفة وثمانى غرف للمدرسين كل مدرس في غرفة منفصلة ، ويتقاضى ٥٠ أقة يوميا ولكل مدرس من المدرسين الثمانية معبد ، أما الثمانى الأخرى وتسمى موصلة الصحن أو التتمة ويدرس في كل حجرة منها ثلاثة طلبة ويخصص لهم يوميا ما يكفى حاجاتهم .
- (٦٠) على همت افنسكى - مرجع سابق ، ص ٨٣ .
- جودت - مرجع سابق ، ج ١ ص ١٢٠ .
- (٦١) د/ محمد حرب - مرجع سابق ، ص ٣١٠ .
- (٦٢) جب/ بووين - مرجع سابق ، دار المعارف - القاهرة - ١٩٧١ ج ١ ص ١٦٧ .
- جب/ بووين - مرجع سابق ، ج ٢ ص ٢٨٢ .
- (٦٣) على همت افنسكى - مرجع سابق ، ص ٨٩ .
- Bernad and Arnold, Op. Cit., P. 398. (٦٤)
- د/ محمد انيس - مرجع سابق ، ص ١٠١ .
- جودت - مرجع سابق ، ص ١٢٢ .
- دى همت افكى - مرجع سابق ، ص ٨٣ .
- Bernad and Arnold, Op. Cit., P. 398. (٦٥)
- (٦٦) جودت - مرجع سابق ، ص ١٢٤ .
- (٦٧) الدميرى - مصدر سابق ، ص ١٠٣ ص ٢٣٨ .
- (٦٨) الشهاب الخفاجى - مصدر سابق ، ص ٢٣٣ - للمزيد انظر أيضا المحبى - مصدر سابق ، ج ٣ ص ٣ .
- (٦٩) المحبى - مصدر سابق ، ج ٢ ص ٢٣٨ .
- (٧٠) نفسه - ج ٤ ص ٣٩٠ .
- (٧١) مصطفى بن فتح الله الحموى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٤٥ .
- (٧٢) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية - مراجعة د/ شوقى ضيف - دار الهلال - القاهرة د/ت ج ٣ ص ٣٨٨ .
- محمد سيد كيلانى - الادب المصرى فى ظل الحكم الثمانى ١٥١٧ ، ١٨٠٥ - دار الفرغانى - القاهرة - ١٩٦٨ ص ٢٧٩ .

(٧٣) محمد سيد تيلاني - مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .
Ismail Hakki. Uzuncarsili. P. 57.

(٧٤)

(٧٥) ابن اياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٦٦ .

(٧٦) دي شلبرول - مرجع سابق ، ص ١٩٧ ، د/ محمد نور فرحات -

مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٧٧) د/ عبد اللطيف - مرجع سابق ، ص ٢٦٦ .

(٧٨) الشهر العقاري - سجلات تقارير النظر س ٣ ق ٦٩٣ ص ٥٧ .

(٧٩) الشهر العقاري - سجلات محكمة قناطر السباع س ١٢٢ ق ١٦٤٦

ص ٤٧٩ .

(٨٠) الشهر العقاري - سجلات محكمة بولاق س ٣٢ ق ١٧٧١ ص ٥٦٥ ،

س ٣٦ الصفحة الأخيرة .

(٨١) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي س ١٥١ ص ٢ .

- سجلات محكمة البرمشية - س ٧١٠ ص ١ ، مصر القديمة س ٩٤

ق ١١٢٨ ص ٢٣٠ .

(٨٢) الشهر العقاري - سجلات محكمة مصر القديمة س ٩٤ ق ١١٤٦

ص ٢٣٠ ، ق ١١٢١ ص ٢٢٩ .

- سجلات جامع الحاكم س ٧٣٣ ق ٣ ص ١ .

(٨٣) علي مبارك - مصدر سابق ، ج ١٦ ص ٨٨ .

(٨٤) الشهر العقاري - سجلات القسمة العسكرية س ١١٥ ق ٦٠٣

ص ٤٠٨ ، س ٤٤ ق ٢ ص ٣ ، س ٧٩ ق ٨ ص ٥ ، س ١٢٠ ق ١٦٦ ص ١٢٨ ،

س ١١٥ ق ٥٠٤ ص ٢٠٥ .

(٨٥) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - فصول - مرجع سابق ، ص ٣٤٢ .

(٨٦) الشهر العقاري - سجلات القسمة العسكرية - س ١٥٦ ق ٢٠٤

ص ١٦٢ .

Ismail, Hakki. Uzuncarsili. P. 95.

(٨٧)

(٨٨) دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س ١٢ ص ٥٧ ،

ص ٧٧ ، س ٧٦ ص ٩٧ .

(٨٩) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة س ٢٧ ق ٥٣ ص ٢٤ ،

س ٢٧ ق ٢٥٣ ص ١٦٢ .

(٩٠) أرض الأوسية - أصبح الملتزم طبقا لنظام الالتزام ممثلا للحكومة . وثالبا عنها في ادارة الارض . وخولته الحكومة المركزية سلطات واسعة في حصر التزامه . وكان على الملتزم أن يعمل على صيانة المرافق التي توجد في حصة التزامه ، وفي نظير قيامه بهذا العمل فإن الحكومة خصصت له جزءا من أرض القرية التي توجد في حصة التزامه عرف باسم « أرض الأوسية » وهي مفضاة من الضرائب ويقوم الفلاحون بزرع هذا الجزء سخرة . انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن الريف مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٩١) دار الوثائق - محكمة البحيرة . س ٣٥ ق ٩٢٦ ص ٤٠٩ .

(٩٢) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٢٥ ص ٨ .

(٩٣) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . س ٧٠ ق ١١٧ ص ٣٠٣ .

(٩٤) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . س ٩٦ ق ٥٨٥ ص ٨٨ ، س ٩٣ ق ١٣٨٦ ص ٣٥٩ .

(٩٥) دار الوثائق - سجلات محكمة الباب العالي . س ٨٦ ق ٥٨٥ ص ٤٤ ، س ٩٣ ق ١٣٨٦ ص ٣٥٩ .

(٩٦) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٤ ق ٨٨ ص ٢٤ .

(٩٧) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة . س ١٧ ق ٢٢٧ ص ١٢٠ .

(٩٨) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ١ ص ٣٠١ ص ١١٧ ، س ٥٦ ق ٣٨ ص ٢٣ .

(٩٩) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٣ ق ١٥٣٧ ص ٣٦٦ .

(١٠٠) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . س ٩١ ق ٨٧٢ ص ٣٨٨ ، س ٦٣ ق ١٧٨٣ ص ٤٢٧ .

(١٠١) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . س ٦١ ق ٣٣٧ ص ٩٧ ، س ٦٥ ق ٣٩٦ ص ١٢٥ .

(١٠٢) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . س ٧٤ ق ٩٤٦ ص ١٦٨ ، س ٧٤ ق ٨٤٠ ص ١٤٦ ، س ٧٠ ق ١١٤٠ ص ٢٤٦ .

(١٠٣) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . س ٦٧ ق ١٨ ص ١٦ ، س ٧٨ ق ٦٣ ص ١٩٢ .

- (١٠٤) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . س ٦٧ ق ١٤١
 من ٣٣٥ ، س ٧٤ ق ١٢٣٢ من ٢٢٢ ، س ٧٨ ق ١٠٢ من ٢٤١ .
- (١٠٥) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ١١٩٣
 من ٢٧٢ .
- (١٠٦) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . س ٧٤ ق ٨٥
 من ١٤٠ .
- (١٠٧) عن معنى الوقف وأقسامه النظر :
 - أحمد إبراهيم - أحكام الوقف والميراث في الإسلام - المطبعة السلفية
 بالقاهرة ١٩٣٧ من ١٤ وما بعدها .
 - محمد الطاهر بن عاشور - الوقف وآثاره في الإسلام - مطبعة الهداية
 الإسلامية القاهرة ١٩٢٦ من ١٢ وما بعدها .
 - د/ محمد محمد أمين - الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ -
 ٩٢٣ هـ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٠ من ٣٨ .
 - د/ محمد عفيفي - الأوقاف والحياة الاقتصادية في العصر العثماني .
 ج ٢٠٠ ع . القاهرة ١٩٩١ من ١١٦ .
- (١٠٨) د/ محمد محمد أمين : مرجع سابق ، ص ٤٨ .
- (١٠٩) د/ محمد محمد أمين : مرجع سابق ، ص ١٠٨ .
- القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٤ ص ٣٦ .
- (١١٠) محمد محمد أمين : مرجع سابق ، ص ١١٦ .
- (١١١) محمد محمد أمين : مرجع سابق ، ص ١١٨ .
- (١١٢) د/ محمد عفيفي : مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .
- (١١٣) محمد بن عبد المعطي الاستحاقى - مصدر سابق ، ص ١٤٧ .
- (١١٤) ابن اياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٦٠ .
- (١١٥) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ١٠٦٢
 من ٢٣٦ .
- (١١٦) المارودي : مصدر سابق ، ص ٥٤ .
- (١١٧) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٣ ق ٨٣٦
 من ١٦٦ ، س ٦٧ ق ١١٥٩ من ٢٣١ .
- (١١٨) الدميرى : مصدر سابق ، ص ١١٣ .

(١١٩) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٣٩٠ ص ٤٧٨
ق ٤٣ ص ١٠ ، س ٨٦ ق ٦٨٨ ص ١٠٥ ، س ٧٠ ج ٨١٠٣ ص ١٠٥ ، سجلات
تقارير النظر س ٣ ق ٩ ص ١ ، س ٣ ق ١٣٨ ص ١٢ ، س ٩ ق ١٦٣ ص ١٩
دار الوثائق القومية - سجلات محكمة البحيرة س ٢٨ ق ١٢ ص ٩ ، س ٢٧
ق ١٠٥٩ ص ٨٠ ، س ٣٧ ق ٣١٧ ص ٢٠١ سجلات محكمة دمياط س ٢٧٩
ق ٧٢ ص ٥٩ .

(١٢٠) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٩ ق ٥٤٦ ص ٧٧
س ٣ ق ١٦ ص ٢ ، ق ٣٠٦ ص ٢٥ .
سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٤٨١ ص ٩٨ .
(١٢١) الشهر العقاري : تقارير النظر س ٩ ق ٨٥ ص ١٠ .
(١٢٢) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي س ٦٣ ق ٨٥١ ص ١٨٢ .
(١٢٣) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٧٦ ص ٢ .
(١٢٤) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٦٧ ص ١٢ .
(١٢٥) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٧ ق ٢٧٢ ص ١٣٦ .
(١٢٦) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٥ ق ٥٢٧
ص ١٥٤ .

(١٢٧) أحمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص ١٠٨ .
(١٢٨) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٨٥٩
ص ١٨٣ .
(١٢٩) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٩ ق ٢٥٥ ص ٨٦ .
(١٣٠) دار الوثائق : الباب العالي . س ٦٣ ق ١٢٢ ص ٢٦ .

(١٣١) دار الوثائق : سجلات الباب العالي . س ٥٧ ق ٨٩٣
ص ٢٥٣ .
(١٣٢) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٢٧٩
ص ٦٠ .

(١٣٣) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٥٦٣
ص ١١٤ ، س ٨٦ ق ٢٣٧ ص ٣٧ .

(١٣٤) أحمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص ٦٣ .
(١٣٥) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ١٠٨١
ص ٢٤٤ .

- (١٣٦) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ١١٩ ص ١٠ ،
الباب العالي س ٩٣ ق ٣٩١ ص ٧٩ .
- (١٣٧) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٢٩٦ ،
ص ٤٣ ، الباب العالي س ٦٣ ق ١٥٨ ص ٥٥ .
- (١٣٨) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ١٥ ق ٣٠٥ ،
ص ٥٩ .
- (١٣٩) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ١١٦٢ ،
ص ٢٢٦ ، س ٦٥ ق ١٣٨٥ ص ٣٩٣ ، س ٨٦ ق ١٤٦١ ص ٢٦٣ . سجلات
تقارير النظر . س ٩ ق ٤٩٣ ص ٦٢ .
- (١٤٠) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط : س ٦ ق ٣٠١ ص ٦٩ ،
ق ٧١٠ ص ١٣٤ ، س ٢٧٨ ق ٢٢ ص ١٦٨ .
- (١٤١) محمد بن أحمد على السكندري القبطي : التأثيرات العلمية للأوقاف
المصرية - مخطوط بدار الكتب المصرية - حنفى رقم ٧١٣٤ ، ورقة ٦ .
- (١٤٢) الشهر العقاري : سجلات محكمة الصالحية . س ٤٧٩ ص ٢ .
- (١٤٣) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . ص ٥٤ ق ٤٣٥ ،
ص ٩٧ ، س ٩٣ ق ١٠٧٩ ص ٢٤٣ س ٥٣ ق ١٠٤٠ ص ٢١٨ ، س ٥٤
ص ٥٣٣ ق ١٢٢ س ٨٦ ق ٢٥٠ ص ٣٩ .
- سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ١ ص ١ ، ق ٢٤٤ ص ٢ .
- الدميري : مصدر سابق ، ص ١١ ، المحبى : مصدر سابق ، ص ٤ .
- ص ٤٦٨ .
- (١٤٤) د/ محمد عفيفي : الأوقاف ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ .
- (١٤٥) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٤٢٧ ،
ص ٨٥ ، ق ١٠٨٧ ص ٢٤٧ ، ق ٥٤٨ ص ١١٠ ، س ١٥١ ق ٨٢٤ ،
ص ٢٠٣ ، س ٧٠ ق ٩٣٩ ص ٢٤٥ ، س ٣ ق ٣٦٠٢ ص ٧٣٤ ، ق ٣٦٠١
ص ٧٣٤ .
- (١٤٦) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٩٣ ق ١٠٢٥ ،
ص ٢٦٤ ، س ٨٦ ق ٣ ص ١ ، س ٦٣ ق ٥٤٢ ص ١٠٩ .
- (١٤٧) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦٦ ق ٧١٥ ص ١٣٥ .
- سجلات محكمة البيرة . س ٢٧ ق ١٦٥ ص ٨٣ ، ق ٢٥٢ ص ٧٥ ،
ق ٢١١ ص ١١١ .

ـ الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٨٦ ق ٦٢٦
ص ٩٥ .

(١٤٨) / محمد عفيفى : مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(١٤٩) لمعرفة هذه المحاولات انظر :

ـ محمد بن أحمد القيطى : مصدر سابق ، ورقة ٢ .
ـ عيسى بن عيسى الصفتى ـ عطية الرحمن : فى صحة ارضاد الجوامك
والأطيان . مخطوط بدار الكتب المصرية . فقه المداعب طلعت ٦٧ . وهو يتكون
من ١٢ ورقة حول هذا الموضوع .

(١٥٠) د/ محمد محمد أمين : مرجع سابق ، ص ٥١ .

(١٥١) دار الوثائق : محكمة البحيرة . س ٢٨ ج ٧٧ ص ٤٤ .

(١٥٢) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١ ج ٤٣٠

ص ٢٨ .

(١٥٣) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١ ج ٤٣٠ ص ٤٨ .

(١٥٤) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٨٤ ص ١٦٢٢

ص ٣٣٤ .

(١٥٥) سجلات الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٢٠٩

ص ٣٧٩ . وهو ملحق رقم ٦ من ملاحق الرسالة وتقع هذه الفتوى فى أربع
صفحات .

Journal of Management Studies, 37(6), 809–826
© Blackwell Publishing Ltd. 2004

1. The first group of people who are interested in the study of the history of the world are the historians. They are the people who study the past and write about it. They are the people who tell us what happened and why it happened. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

2. The second group of people who are interested in the study of the history of the world are the archaeologists. They are the people who dig up the remains of the past and study them. They are the people who tell us what people were like in the past and what they were doing. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

3. The third group of people who are interested in the study of the history of the world are the geographers. They are the people who study the earth and the people who live on it. They are the people who tell us about the different parts of the world and how they are different. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

4. The fourth group of people who are interested in the study of the history of the world are the anthropologists. They are the people who study the people of the world and how they live. They are the people who tell us about the different cultures of the world and how they are different. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

5. The fifth group of people who are interested in the study of the history of the world are the linguists. They are the people who study the language of the world and how it has changed. They are the people who tell us about the different languages of the world and how they are different. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

6. The sixth group of people who are interested in the study of the history of the world are the economists. They are the people who study the economy of the world and how it has changed. They are the people who tell us about the different economies of the world and how they are different. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

7. The seventh group of people who are interested in the study of the history of the world are the sociologists. They are the people who study the society of the world and how it has changed. They are the people who tell us about the different societies of the world and how they are different. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

8. The eighth group of people who are interested in the study of the history of the world are the psychologists. They are the people who study the mind of the world and how it has changed. They are the people who tell us about the different minds of the world and how they are different. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

9. The ninth group of people who are interested in the study of the history of the world are the philosophers. They are the people who study the philosophy of the world and how it has changed. They are the people who tell us about the different philosophies of the world and how they are different. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

10. The tenth group of people who are interested in the study of the history of the world are the scientists. They are the people who study the science of the world and how it has changed. They are the people who tell us about the different sciences of the world and how they are different. They are the people who help us to understand the world and ourselves.

الفصل الخامس

معاونو القضاة

- ١ - العدول •
- ٢ - الكتاب •
- ٣ - الخبراء •
- ٤ - كشاف الأوقاف •
- ٥ - المحضرون •
- ٦ - الانكشافية •
- ٧ - أمناء السجلات •
- ٨ - المترجمان •
- ٩ - وكلاء الدعاوى •
- ١٠ - المفتون •

معاونو القضاة

لم يكن الجهاز القضائي مقصورا على القضاة اذ كان يوجد العديد من الموظفين الذين يعملون في خدمة القضاة ومساعدتهم بدءا من احضار الخصوم الى المحكمة وترتيب دخولهم الى القضاة حسب ادوارهم وكذلك توثيق الدعوى وكتابتها في السجلات وانتهاء بحفظ السجلات في الخزائن الخاصة بذلك ، ووجد كذلك المفتون الذين يقدمون فتاواهم للقضاة للاسترشاد بها في احكامهم .

• ويمكن القول ان الجهاز القضائي المكون من القضاة واعوانهم كان يكون فريقا للعمل القضائي مهمته النظر في قضايا الناس وتسهيل امور المتعاملين مع القضاة سواء عند نظر القضايا او عند استنساخ حجج لهم .

١ - العدول :

تعيينهم : العدالة وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريحه ومهمة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملا عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس واملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم ، وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام فصولها

ومن جهة أحكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه (١) .

ومن المعروف أن الشهادة أو البينة هي الدليل الأول المعتمد في نظام القضاء الاسلامي ولم تكن الأدلة الكتابية تصلح بمفردها وسيلة مستقلة للاثبات ان رفضها الطرف المدعى عليه ، ففي هذه الحالة لا يقبل الدليل الكتابي ما لم يكن مدعما بشهادة شاهدين على الأقل على صحته ويصدق ذلك على المستندات الرسمية والمستندات العرفية على حد سواء (٢) .

وأول من اتخذ شهودا ثابتين في المحكمة هو القاضي غوث بن سليمان (١٤٠ هـ - ١٤٤ هـ ٧٥٧ م - ٧٦١ م) فهو أول من سأل عن الشهود بمصر في خلافة أبي جعفر المنصور ، وكان الناس قبل ذلك يشهدون ، فمن عرف عنه خير قبل ، ومن عرف عنه غير ذلك لم يقبل على ظاهر الأمر ، حتى كثرت شهادات الزور ، ونشأت في زمن غوث ، فسأل عن الشهود في السر ، واستمر الأمر على ذلك (٣) .

وليس معنى ذلك هو عدم الأخذ بشهادة من يأتي الى المحكمة من الشهود ، ولكن هؤلاء الشهود الثابتين كانوا يحكم وجودهم في المحكمة أكثر صدقا واعتمادا عليهم من غيرهم ونيطت بهم أعمال أخرى بجانب الشهادة في المحكمة .

ويعين قاضي العسكر الشهود وتسجل قرارات تعيينهم في سجلات المحاكم على النحو التالي « اذن حضرة مفيدنا ومولانا . . . الناظر في الأحكام الشرعية بمصر المحمية حالا . . . للشيخ السماعيل النفراوي بان يجلس شاهدا بهذه المحكمة وعليه بتقوى الله في السر والعلانية فانه من سلك طريق الحق نجح ومن يترك الله يجعل له مخرجنا » (٤) .

ويرأس مجموعة الشهود في المحكمة « باش، شاهد »
أو « شاهد كبير » كما تطلق عليه الوثائق وتسجل قرارات تعيينهم
في سجلات المحكمة على النحو التالي « تذكرة من حضرة سيدنا
ومولانا . . . مصطفى أفندي قاضي القضاة بالديار المصرية جالا
مضمونها وموجب حروفها هو أن الشيخ شرف الدين يحيى الشرفي
المالكى بن الشيخ عيد يجلس باش شاهد بمحكمة جامع الحياكم
بمصر المحروسة لضبط الوقائع الشرعية التي تصدر بالمحكمة
وعليه العمل في ذلك بتقوى الله » (٥) .

وكانت تتم حركة تنقلات قضائية للشهود في المحاكم المختلفة
في القاهرة مثل نقل « الشيخ محمد البكرى المجولى الشاهد بمحكمة
الشيخ أحمد الزاهد الى محكمة مصر القديمة بناء على طلب
الحاكم الحنفى بها والحياكم الشافعى لوجود أهليته واستقامته
ومعرفته للوراقة » (٦) .

ويلاحظ أن بعض الناس كانوا يرفعون التماسات لقاضى
العسكر لطلب تعيينهم في المحاكم المختلفة في القاهرة متذرعين في
غالب الأحوال بقرهم وأنهم ذوو عيال . وفي نفس الوقت أهليتهم
لذلك وقدرتهم على القيام بأعباء هذه الوظيفة (٧) .

وعلاقة القضاة بالشهود يسودها المودة في غالب الأحيان
إذا أبقي القضاة على الشهود في وظائفهم بدون استبدال
غيرهم بهم . وعلى العكس من ذلك في حالة استبدال غيرهم بهم
يتعرض القضاة في هذه الحالة للنقد الشديد والهجاء اللاذع من جانب
الشهود (٨) .

وعلى هذا كانت علاقة الشهود بالقضاة يغلب عليها المصلحة
قبل أى شئ آخر ففي حالة عزلهم ينعتون القضاة بالعديد من
الصفات السيئة ويهجونهم بالقصائد الشنعوية التي تتداع بين

الناس . وعلى هذا ينبغي الا نتخذ من قصائد الشعر ذريعة ضد
القضاة قيل ان نفهم الظروف وراء قولها وشاعرها .

ولم يكن عدد الشهود في المحاكم ثابتا فقد كان يتعرض للنقصان
والزيادة ، ويخضع هذا لحجم المحكمة وعدد المتعاملين معها .
فقى عهد القسام العسكري « لطف الله محمد بن أبي بكر » وجد
في محكمة القسمة العسكرية أكثر من خمسة عشر شاهدا ، وادى
ذلك الى الاختلاف واللفظ بينهم كذلك طمعوا في أموال المسلمين
وكانت أعمال المحكمة تتم بشاهدين يكتبان الأمور الشرعية الصادرة
بين العساكر . لذا فقد عزل غالب الشهود العاملين معه (٩) .

اما في محاكم الأقاليم فيعين قاضي الاقليم الشهود في محاكمهم
وتحديد أعمالهم ويقيد قرار التعيين في سجلات المحكمة على النحو
التالى « بين يدى مولانا محمد أفندى دام فضله قرر . . . الشيخ
شمس الدين محمد ابن المرحوم المغفور له القضاى أحمد الشهر
نسبه الكريم بابن حجر الشافعى عدلا بالمحكمة المشار اليها وذلك
لعدالته وأمانته وحسن سريرته واستقامته واثقانه للحساب واذنه
بتعاطى ما شرح وبكتابة الحجج الشرعية الموافقة للشرع الشريف
والقانون المنيف أسوة امثاله من السادة العدول بالمحكمة المشار
اليها (١٠) »

اختصاصات الشهود :

ويظهر أن وظيفة العدول هي :

اولا - كتابة العقود بين الناس في معاملاتهم مستوفية شروطها
الشرعية .

ثانيا - ان يستعين بهم القاضى على تزكية الشهود الذين
يشهدون عنده في الخصومات لأن القاضى انما يحكم بالبينه المزكاة
وليس له ان يلزم المشهود له باحضار من يزكى شهادته (١١) .

وفيما يتعلق بالدعوى القضائية ، كان عمل الشاهد يبدأ بمجرد أن يتوجه المدعى بدعواه الى المحكمة . اذ يقوم الشاهد بسماع شهادة المدعى شفاهة وتدوينها في صورة دقيقة تصلح لتقديمها الى القاضي فعمله هنا أشبه بعمل قاضي التحضير (١٢) .

وفي القضايا المختلفة التي كانت تعرض على القضاة كانوا يأخذون بآراء الشهود وينص على ذلك في آخر القضية وعند اصدار الحكم وفي نفس الوقت تمتع الشهود بحرية كبيرة في التحقيق في قضايا الجنايات والطب الشرعي . فقد كانوا يقومون باستجواب شهود الحوادث ومحاولة معرفة ملابساته وكذلك القيام بالكشف على جثة المتوفى ومعاينتها وتحديد الاصابات الموجودة بها ورفع تقرير بذلك الى القاضي الذي يأخذ بما جاء فيه عند اصدار حكمه في القضية (١٣) .

ويقوم الشهود بتحرير الحجج الشرعية المثبتة للأحكام القضائية ، كما كانت لهم وظيفة أرحب في تحرير الحجج الشرعية المثبتة لكافة أنواع التصرفات القانونية من زواج وطلاق وبيع واجارة وهبة ورهن وشركة وغير ذلك وكان يصدق على حجية هذه الوثائق نفس من يصدق على حجية الأحكام (١٤) .

ولم يكن من حق الشهود التوجه الى خارج المحكمة الا بعد الاذن من نائبها الحنفى (١٥) ومن يتوجه الى الاشهاد خارج المحكمة بدون اذنه يعزل من عمله . كما أنهم لا يأخذون الرسوم بأيديهم (١٦) .

وكانت الأوامر تصدر من قاضي العسكر بوصفه رئيس الهيئة القضائية في القاهرة الى الشهود في كافة محاكم القاهرة وبولاق

ومصر القديمة بتنظيم أعمالهم وعدم شرب الدخان في المحاكم ،
وعدم تناولهم الطعام بمجالس الحكم وكذلك عدم دخولهم الى القهاوى
لأن في ذلك مساواتهم بالأرذال وهو يتعارض مع ما للمنصب من
شرف ومكانة رفيعة (١٧) .

عزل الشهود :

وخضع العاملون في المحاكم ومن ضمنهم الشهود لرقابة
شديدة من النواب في محاكم الأخطاط وكذلك من قبل قضاة
العسكر . وكان يتم عزل المخالف منهم على الفور « فقد عزل
الشيخ سليمان المنزلاوى من تعاطى الشهادة بمحكمة الصالحية
النجمية لأنه تعاطى الأمور الممنوعة بدون أمر من له ولاية الأمر في
ذلك فانه ساقط العدالة » (١٨) وعزل « أحمد بن أحمد أصالة من
محكمة مصر القديمة لعدم أهليته وعدم استقامته وأكله الحشيش
بالمجلس شفاها وقلة أدبه على النايب الحنفى وسببه بالألفاظ
القبیحة وكتابة الامضاءات بالتزوير على اسماء النواب » (١٩) .

كذلك كان يعزل الشهود في حالات كثيرة مختلفة مثل تقاضيهم
الرشاوى من أجل الشهادة الزور واضرار المسلمين لارتكابهم الأعمال
الباطلة (٢٠) .

كما يلاحظ أن الباشا بحكم ولايته العامة المستمدة من سلطة
السلطان وذلك بوصفه نائبا عنه ، كان يقوم بتوقيع العقاب على
المخالفين من الشهود ففي (رمضان عام ١١٠٨ هـ - مارس ١٦٩٩ م)
أمر الوزير باحضار محمد الزرقانى أحد شهود المحكمة لأنه
كتب وقفية بيت آل الى بيت مال الوزير بالتزوير . فأمر الوزير
بعقابه عن طريق حلق لحيته وشهره على جمل في أسواق القاهرة ،

والجلاد ينأدى هذا جزاء من يكتب الحجج المزورة ثم أمر
بنفيه (٢١) .

وكان الشهود ينتسبون الى الأوجاقات العسكرية لتوفير نوع
من الحماية عندما يرتكبون الأمور المخالفة . لذا صدرت الأوامر
من قاضى العسكر بعدم الانتساب الى الأوجاقات ومن حدث منه
ذلك يعزل (٢٢) .

كذلك لم يكن شهود محاكم الأقاليم بمنأى عن العقاب في حالة
خروجهم عن مقتضيات وظائفهم فقد كان يوقع العقاب الشديد
والعزل الفورى من جانب قاضى الاقليم ، وكذلك من قبل الباشا
بحكم ولايته العامة (٢٣) .

ولم تكن علاقة الشهود بعضهم ببعض تخلو من شحناء
وتباغض وهى لا يخلو منها أصحاب العمل الواحد في الوقت نفسه
كانت هناك علاقات التصاهر بين الشهود (٢٤) .

وعلى الرغم من ذلك وجد العديد من الشهود العلماء أصحاب
المؤلفات الأدبية والدينية مثل « محمد الفشنى الشافعى أحد الشهود
بمحكمة الزاهد كان فاضلاً أديباً ناظماً ناثراً توفى في (١٧ ذى القعدة
١٠٢٧ هـ - ٧ نوفمبر ١٦١٧ م) » (٢٥) ومنهم كذلك « محمد بن
ابراهيم المبلط » أحد الشهود الفضلاء بمحكمة الصالحية النجمية
وهو من أكابر العلماء وله العديد من المؤلفات العلمية والأدبية (٢٦) .

الموارد المالية للشهود :

قررت للشهود رسوم معينة على الحجة لا يتعدونها تبعاً
لما قرره لهم قاضى العسكر وهو نصفان على كل حجة ومن خالف
من الشهود يعزل على الفور (٢٧) .

وترك للشهود حرية العمل في وظائف أخرى بجانب وظيفتهم في المحكمة مثل الوظائف الادارية والدينية في الأوقاف حيث كانت تستوعب أعدادا كبيرة منهم وذلك بغية إبعادهم عن قبول الرشاوى في أعمالهم .

فقد « قرر الشيخ بدر الدين حسن البدوي » أحد السادة الشهود بمحكمة الباب العالي في كامل اقامة وكامل فراشة وكامل بوابة ونصف قراءة آية الكرسي ونصف ترقية بوقف شمس الدين الواسطي بما لذلك من المعلوم (٢٨) وقرر « الشيخ ابراهيم بن الشيخ شمس الدين أحد السادة العدول بمحكمة باب الخرق في وظيفة الشادية (٢٩) بوقف المرحوم سيد بن سلطان شاه بما لذلك من المعلوم » (٣٠) .

ويبدو أن الشهود نتيجة لهذه الأعمال كانوا ذوى مستوى اقتصادى عال فمنهم « الشيخ محمد الأشبولى الشافعى أحد العدول بالمحكمة الكبرى وكان ذا ثروة وشهرة وكانت له دار بحارة كتامة المعروفة بالعينية بقرب الأزهر وأخرى عظيمة بقناطر السباع على الخليج الناصرى وأخرى بشاطئ النيل بالجيزة » (٣١) .

ويظهر من السجلات أن الشهود كان لهم نشاط في الأراضى الزراعية فقد « اشترى علم الدين سليمان بن المرحوم حمزة المبياوى أحد السادة العدول بمحكمة الباب العالي من ولد أخيه الزينى نصار بن حمزة اثنى عشر سهما من أصل أربع وعشرين سهما شايعا هذا فى أراضى ناحية منية الرخا والقليوبية بحوض يعرف بأبى دورة وثمانها من الذهب الشريفى معاملة تاريخه بالديار المصرية أربعة وثلاثون دينارا شريفيا (٣٢) مقبوضا بيده القبض الشرعى » (٣٣) .

ولا يمنع هذا من وجود شهود ضعاف النفوس تطلعت أعينهم الى ما ليس لهم فقبلوا الرشاوى ، وكذلك تحايلا على النواب فى المحاكم فى تضييع الرسوم المالية عليهم وذلك بعدم تقييدهم القضايا فى السجلات ، كذلك قيامهم بالفصل فيها فى غياب النواب حتى وصفتهم مراسيم قاضى العسكر « بانهم يأكلون الرسوم اكل الكلاب » (٣٤) .

وقد كان الشهود فى الأقاليم يدفعون رسوما لجانب بيت المال وتصدر الأوامر من الديوان لهم بدفع هذه الأموال كما هى العادة فى شهر توت وبعد ذلك تكتب لهم البراءة بتولية أعمالهم والاستمرار فيها (٣٥) .

ولكن لا نعلم اذا كان هذا الأمر خاصا بشهود الأقاليم كما يتضح من نص الوثيقة أم أن ذلك كان أمرا منطبقا على الشهود فى كافة المحاكم سواء فى الأقاليم أو فى محاكم القاهرة وهذا ما نميل اليه .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - لم تكن أعمال الشهود مقصورة على الوظيفة التقليدية لأشهود بل وجدت لهم أعمال مختلفة تماما فى المحاكم بجانب الشهادة مثل توثيق العقود سواء الزواج أو الشراء أو البيع وكافة المعاملات .

٢ - خضعت أعمال الشهود للمراقبة الشديدة من جانب القضاة حفاظا على فقراء المسلمين من التدليس والنش والرشاوى التى قد تقع عليهم من جانب بعض ضعاف النفوس من الشهود الذين يتم عزلهم على الفور ولا تقبل فيهم شفاعاة .

٣ - تتطلب وظيفة الشهادة صفات خاصة فيمن يطلبها يجب ان يكون قد مر بمراحل تعليمية معينة ونال قسطا وافرا من علم الفقه وعلوم الدين حتى يكون قادرا على التعامل مع القضايا المختلفة التي تعرض عليه ويقوم بكتابتها وتوثيقها .

٤ - تمتع الشهود بسلطة تحقيق واسعة في القضايا الجنائية واستجواب شهود الحوادث والكشف على المجنى عليه ، وتقديم تقريرهم الى القاضى الذى يأخذ برأيهم . فهم يقومون بما يقوم به الطبيب الشرعى فى الوقت الحاضر .

٥ - سمح القضاة للشهود بالعمل فى الوظائف الادارية فى الأوقاف وذلك لرفع مستواهم المادى حتى لا تمتد أعينهم الى ما ليس لهم بحق وينزلقوا الى المهادى الاخلاقية التى تؤدى الى فساد اعمال القضاة بل انهيار النظام القضائى .

٦ - تراوحت العلاقة بين القضاة والشهود تبعا لموقف قضاة العسكر منهم ففى حالة عزلهم واستبدال غيرهم بهم يتعرض القضاة لحملة شديدة من الهجاء والنقد اللاذع . أما اذا استمررا فى وظائفهم فتكون علاقتهم حسنة فهى علاقة نابعة من المصلحة الخاصة لهم .

٢ - الكتاب :

تعيينهم : يعتبر الكتاب من أهم معاونى القضاة فقد نيط بهم كتابة الحجج فى السجلات وكذلك الكشف عنها واستخراجها وقت الحاجة اليها . واختلف عدد الكتاب فى المحاكم تبعا لنوع المحكمة وعدد المتعاملين معها وكثافة القضايا التى تنظر امامها .

فعدد الكتاب في محاكم أحياء القاهرة كاتب أو اثنان أو ثلاثة ولا زيادة على ذلك بعكس محكمة الباب العالي فقد كثر عدد الكتاب على ذلك نظرا لأنها كانت مقرا لقاضى العسكر (٣٦) .

ويعين قاض العسكر الكتاب ويحدد اختصاصاتهم تبعا للمحكمة التى يعملون بها واختصاصاتها النوعية ، فكتاب القسمة العسكرية يختصون بأمورها فقط كذلك كتاب الباب العالي لا يتعدون الاختصاصات المنوطة بالباب وهكذا .

ويسجل قرار تعيين الكتاب فى سجلات المحاكم على النحو التالى « هو أن حضرة سيدنا ومولانا شيخ الاسلام . . . أذن للشيخ الامام العمدة علم الدين سليمان الحنفى بان يجلس بالقسمة العسكرية ويتعاطى ضبط تركات الأموات العسكرية ذكورا واناثا وأتباعهم وأيتامهم والأيلولات والاشهادات والتصادقات المتعلقة بذلك » (٣٧) كذلك « أذن مولانا شيخ الاسلام . . . للشيخ زين الدين أحمد الخريبي بان يجلس كاتبا بمحكمة الباب العالي لتعاطى كتابة التمسكات وضبط الدعاوى » (٣٨) .

وينص قرار التعيين على اختياره « لحسن سيرته ، لاستقامته وعفته وديانته وأمانته وفضله ومعرفته بوقايح الأحكام الشرعية وضبطه » (٣٩) .

ويقيد فى السجل بداية عمل الكاتب ثم يظهر بعد ذلك امضاؤه على الحجج الشرعية على النحو التالى « فى يوم السبت تانى شهر صفر الخير سنة ١٠٠٩ هـ - ١٤ أغسطس ١٦٠٠ م وفيه جلس الشيخ شمس الدين مقيد بالسجل » (٤٠)

ووجد بعض الكتبة الذين كانوا يجمعون بين العمل فى أكثر

من محكمة في وقت واحد مثل « الشيخ شمس الدين محمد المهدي الكاتب بمحكمة بولاق ومحكمة الباب العالي » (٤١) و « الشيخ رشيد الدين مصطفى كاتباً بالباب العالي وبمحكمة القسمة العسكرية » (٤٢) .

وكان بكل محكمة رئيس للكتاب يطلق عليه « باش كاتب » المحكمة ومهمته الاشراف على الكتاب وتوجيههم للأعمال المختلفة وكذلك مراجعة أعمالهم لضمان حسن سيرهم وعدم التدليس أو الخطأ فيها ، وكانت تحفظ تحت يده السجلات الشرعية للمحكمة (٤٣) وتصدر الأوامر التي تنص على وجوب امتثال الكتاب للأوامر ونواهيها في سائر الأمور الخاصة بالمحكمة وعدم تعديهم لما يأمرهم به (٤٤) .

ويصدر قاضي العسكر قرار تعيين باش كتبة المحاكم المختلفة ، وأحيانا يتدخل في طلب تعيينهم الأوجاقات العسكرية والسادة العلماء والسادة الأشراف والأمراء (٤٥) .

ويعين باش كتبة المحاكم في أحيان كثيرة بناء على طلب الكتاب لهم مثل « تعيين الشيخ زين الدين مصطفى الوسيمي باش كاتب محكمة قناطر السباع حسب طلب الكتاب بالمحكمة له » (٤٦) .

هكذا نجد ان باش كتبة المحاكم المختلفة كانوا هم المسئولين عن الكتاب وأعمالهم وأن اختصاصتهم كانت قد زادت في القرن الثامن عشر فقد نيط بهم « سماع الدعاوى الشرعية » (٤٧) كما تنص مراسيم تعيينهم ، وربما يكون مرد ذلك ما يقابلنا في السجلات من وجود قاض واحد تولى سبع محاكم في وقت واحد فأدى ذلك الى زيادة اختصاصات الباش كتبة .

تنظيم أعمال الكتاب :

صدرت العديد من الأوامر من قاضى العسكر الى الكتاب فى محاكم القاهرة المختلفة لتنظيم أعمالهم مثل عدم التعدى على اختصاصات الكتاب فى المحاكم الأخرى وعدم كتابتهم لشيء من ذلك الا بعد الاذن لهم (٤٨) وعليهم ألا يكتبوا مادة متأخرة التاريخ بعد مرور أكثر من ثلاثة أيام على كتابتها (٤٩) .

ولا يسمح للكاتب الواحد بأن يقوم بكتابة حجة بمفرده ما لم يكن معه رفيقه عملاً بقوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) ويمنع الكاتب من التوجه بمفرده الى أى مكان للكتابة ما لم يكن معه رفيقه (٥٠) ولا يخرج الكتاب لقضاء المصالح الخاصة بالمحكمة خارجها الا بعد الاذن لهم من النائب الحنفى بها (٥١) .

وعلى الكتبة أن يجلسوا بمقر المحكمة التى يعملون بها من ضحى النهار الى اذان العصر يومياً ومن لم يفعل ذلك يطرده من العمل (٥٢) ولكن الباش كتبة يحضرون الى محكمة الباب العالى فى كل يوم من الصبح الى الظهر وبعد ذلك من الظهر الى العصر فى محاكمهم يعملون بها (٥٣) .

كذلك كانت المراسيم الصادرة من قاضى العسكر تمنع الكتاب من كتابة حجة بتاريخين والا تعرضوا للعقاب (٥٤) وعند مراجعة قاضى العسكر لسجلات محاكم أحياء القاهرة اتضح أن بعض الحجج مكتوبة بخط مشوش ولحن فاحش يغير المعنى وفى ذلك ضياع لحقوق المسلمين وعلى ذلك أمر ألا يكتب الحجج الا صاحب الخط الحسن حفظاً لحقوق المسلمين (٥٥) .

وفى حالة خروج الكتاب عن مقتضيات وظائفهم كانوا يتعرضون للشكاوى من جانب العلماء والأوجاقات العسكرية من ذلك شكوى

أوجاق الانكشارية لقاضى العسكر من الكتاب « بسبب تقصيرهم وعدم التحرى فى الدعاوى والأحكام الشرعية وعندئذ أمر قاضى العسكر بعدم فعل ذلك مرة أخرى ومعاقبة المخطيء بالعزل من العمل » (٥٦) .

وعلى الرغم من ذلك كان الكتاب يقومون فى أخطاء ويقومون بالشطب عليها والكتابة بعد ذلك ، فيوجد فى احدى الوثائق قول الكاتب « مبطل اولها وجارى العمل بباقيها لسهو حصل فيها » (٥٧) وعند اتمام السجلات تختتم بالرباط والشمع وترسل الى خزانة الباب العالى .

عزل الكتاب :

خضع الكتاب للمراقبة الشديدة سواء من جانب الباش كتبة أو من جانب القضاة ، وان كانت أعمال المحاكم بوجه عام تخضع لنوع من الرقابة الشديدة من جانب العلماء المصريين والأوجاقات العسكرية التى كانت تتدخل فى بعض الأحيان لطلب عزل أو اقرار العاملين فى المحكمة .

لذا فقد تعرض بعض الكتاب للعزل نتيجة خروجهم عن الواجب المألوف القيام به ، فقد صدر أمر قاضى العسكر بعزل « الشيخ محمد بن الشيخ مصطفى العبادى من الكتابة بساير المحاكم ولا أحد يقبل منه كتابة الأمور صدرت منه غير لايقة » (٥٨) كما عزل « الشيخ أحمد الطولونى من محكمة الصالحية وساير المحاكم لصدور أمور منه غير لايقة فى حق السادة المجاورين بالأزهر » (٥٩) .

وفى حالة ما اذا اتضح أن عزل بعض الكتاب كان نتيجة لوشاية كاذبة ويتم التحقق من هذا الأمر يتم إعادة الكاتب مرة أخرى

من ذلك عندما أمر قاضى العسكر بعودة كل من « الشيخ أحمد القصر والشيخ منصور الضوى وابقائهم فى الكتابة مع ما كانوا فيه من الرعاية والاكرام لكون ما ذكر فى المراسلة السابقة فى شأنهم من صدور أمور غير لايقة انما هو مجرد قيل وقال » (٦٠) .

وفى حالة رجوع الكاتب عن ذنبه وتوبته وتعده بعدم العودة الى مثل ما ارتكب من التزوير والتدليس وقبول الرشوة فى هذه الحالة يأخذ عليه قاضى العسكر التعهدات ويسمح له بالعودة لممارسة عمله مرة أخرى . وفى حالة العودة الى مثل هذه الأمور يعزل فوراً من عمله (٦١) .

ولم تخل مجاكم الأقاليم من مثل هذه الأمور فقد رفع الحاكم الشرعى بشعر دمياط شكوى للديوان العالى بسبب « شكوى الحاج أحمد الدمياطى على ابراهيم الكارمى وأنه كتب عليه حجة بالتلبيس والتدليس وأن الكاتب المذكور تسحب من الشعر ووجدت له وقايع كثيرة بالسجلات فصدر أمر من الديوان الى القضاة والكشاف والحكام بالوجهين القبلى والبحرى بالفحص عن المذكور والقبض عليه وتجهيزه للديوان مجنزرا عليه » (٦٢) .

الموارد المالية للكتاب :

وقرر للكتاب على كل حجة نصفان فضة (٦٣) كما سمح لهم بالعمل فى وظائف الأوقاف والأعمال الادارية بها ، كما عمل بعضهم فى الأعمال الدينية كالامامة وقراءة القرآن الكريم وذلك لزيادة دخلهم من هذه الأعمال وحمايتهم من تناول الرشاوى . فقد كانت هذه الوظائف توفر دخلا اضافيا للكتاب مما يجعلهم يعيشون فى ثراء من العيش :

فقد قرر قاضي العسكر « الشيخ محمد القرافي من السادة الكتاب بالقسمة العسكرية في كامل المباشرة (٦٤) وكامل الامامة والشادية وخدمة المسجد ونصف وربع اذان ونصف شهادة بوقف المرحوم القاضي عبد اللطيف بما لذلك من المعلوم » (٦٥) وقرر « زين الدين عبد الوهاب القرافي رئيس الكتاب بالقسمة العسكرية في وظيفة النظر والتحدث على وقف القاضي عبد اللطيف القرافي » (٦٦) .

يتضح من ذلك الآتي :

- ١ - تمتع الكتاب بمكانة كبرى بين موظفي المحاكم تبعا لما نيظ بهم من أعمال قضائية تطورت مع الزمن مثل سماع الدعاوى الشرعية في القرن الثامن عشر .
- ٢ - خضع الكتاب في المحاكم المختلفة لرقابة شديدة من جانب قاضي العسكر وقضاة الأخطاط وكانوا يتعرضون للعزل في حالة خروجهم عن مقتضيات وظائفهم أو صدور أمور غير لائقة منهم .
- ٣ - كان الكتاب يتوجهون للكتابة خارج المحكمة في حالات معينة مثل الكتابة على المريض وعدم القادرين على الذهاب الى المحكمة بعد الاذن من القضاة لهم في ذلك ولا يتوجه كاتب بمفرده ما لم يكن معه رفيقه .
- ٤ - لم يكن عدد الكتاب في المحاكم متساويا بل اختلف عددهم تبعا لمكانة المحكمة وكثافة المتعاملين معها من المتقاضين اللاجئين اليها .
- ٥ - يتقيد الكاتب في محكمته بالاختصاصات النوعية للمحكمة التي يعمل بها وتصدر الأوامر من قاضي العسكر

بتحديد هذه الاختصاصات ، وتهديد من يتعرض لها
بالايداء والطررد من العمل فورا .

٦ - بعد انتهاء السجل الذى يقيد به الكتاب القضايا كانوا
يقومون بختمه بالشمع ويرسلونه ليحفظ فى الخزانة
الخاصة بالسجلات فى الباب العالى .

٧ - عمل القضاة على أن يأمرؤا الكتاب بأن تكون خطوطهم
واضحة وأسلوبهم جميلا حتى لا تضيع حقوق المسلمين
من جراء سوء الخط والأسلوب .

٨ - وجد من الكتاب من خالفوا ضمائهم وسمحوا لأنفسهم
بتقاضى الرشاوى والتدليس فى الكتابات وتأخير كتابة
القضايا وفى هذه الحالة كان يتم عزلهم فورا حرصا
على مصالح المسلمين .

٩ - يقوم الباش كاتب فى المحكمة بالاشراف على الكتاب فى
المحكمة التى يعمل بها ، وتقويم أعمالهم اذا انحرفوا عن
وظائفهم كذلك فقد كان الباش كاتب يتوجه الى محكمة
الباب من الصبح حتى أذان الظهر ، ويبدو أن ذلك كان
لامضاء الأعمال الخاصة بمحاكمهم وبعد ذلك يقضون
من الظهر الى العصر فى محاكمهم التى يعملون بها .

٣ - الخبراء :

استعان القضاة فى هذه الآونة بالخبراء لامدادهم بالآراء الفنية
فى القضايا التى تتطلب آراء فنية خافية على القضاة مثل
الجراحية والقابلات والمهندسين وغير هؤلاء من أعضاء الطوائف
الحرفية الذين تستعين بهم المحكمة ولاسيما عند تقرير قيمة التركات
وتقسيمها بين الورثة .

وهذا الأمر معروف في العصر الحديث وشائع في الأنظمة
القضائية الحالية وهو ما يعرف بلجنة الخبراء ويدل على ذلك مدى
الاهتمام بأمور الناس وقضاياهم والتحرى فيها من أهل الخبرة
حتى حقوق الناس ،

فعندما اشترى الحاج « ابراهيم بن المرحوم سعود المقرئ
جارية سوداء تدعى حليلة من بايعها السيد الشريف عبد الله بن
المرحوم السيد يوسف الديار البكري وأنه اشتراها منه سالمة من
العيوب الشرعية والآن ظهر بها عيب شرعي وهو الحمل . وعندما
انتدب القاضي المدعى عليه ، طلب القاضي احضار القابلات للكشف
عليها وكشفتا على الجارية المذكورة وأخبرت كل منهما بين يدي
شيخ الاسلام بان الجارية المذكورة بها حمل ظاهر من نحو ثلاثة
أشهر سابقة على تاريخه . فأخذ شيخ الاسلام بشهادة القابلتين
وفسخ العقد بينهما وعادت الجارية الى بايعها مرة أخرى « (٦٧) .

كذلك عندما ادعى « الزيني بالي بن محمود الجاويش بالديوان
العالى بانه اشترى من محمد الدمياطى جارية بيضا تدعى زاهدة
بصحة وسلامة وأنه ظهر بها عيب شرعي وهو جنون متقطع سابق
على شرائها فأحضر القاضي الشيخ شهاب الدين أبو العباس
أحمد حكيم باش بالديار المصرية وأحضر كريمة الشيخ محمد رئيس
الأطباء بالبيمارستان المنصوري للكشف على الجارية وشهدا لدى
الحاكم الشرعي بان الجارية بها جنون متقطع قديم سابق على البيع
وأنه عيب شرعي قديم موجب لرد العقد فأخذ الحاكم الشرعي
بأقوالهما « (٦٨) .

وفي محاكم الأقاليم كان القضاة يستعينون بأهل الخبرة في
القضايا التي تحتاج لمشورتهم مثل الطب الشرعي . وكان القضاة

يستعينون بالجراحين في ذلك وهم الذين يقومون بكتابة تقريرهم
ثم يرفعونه الى القاضي الذي يأخذ بما جاء فيه عند حكمه (٦٩) .

كما كانت المحاكم تستعين بالخبراء في الأمور الخاصة بالمباني
والأوقاف ، ففي الأوقاف استعانت بالمهندسين لتقدير نفقة العمارة
التي تتطلبها الأوقاف مثل وقف « شرف الدين الصغير » فقد أذن
القاضي لناظره في الصرف على عمارة المنصرة وتوابعها حسب
ما قدرة المهندسون من الفضة الأنصاف أربعة عشر ألف نصف
وخسماية نصف وما قدر على نقل أتربة الخرابة المجاورة لذلك
ألف نصف وذلك حسب تقدير المهندسين (٧٠) .

وفي حالة النزاع بين الجيران على الحدود ووصول الأمر الى
القضاة كانوا يرسلون الخبراء المختصين بالمباني الى المكان محل
النزاع للفصل في الأمر على الطبيعة . وبعد ذلك يرفع تقريرهم الى
القاضي الذي يأخذ بما جاء فيه (٧١) .

على هذا كان القضاة يستعينون بأهل الخبرة في مختلف
المجالات التي تتطلب آراء خافية على المحكمة وذلك لامدادها بالآراء
الفنية الصحيحة ، وفي نفس الوقت تصدر الأحكام بناء على هذه
الآراء التي يتقدم بها الخبراء .

ولم يكن أهل الخبرة هؤلاء معينين في المحاكم بل كانوا من
أعضاء الطوائف الحرفية التي تستعين بهم المحكمة وقت الحاجة
اليهم في مقابل رسوم معينة يحصلون عليها نظير الاستعانة
بخبراتهم .

٤ - كشاف الأوقاف :

نتج عن اشراف قضاة العسكر على الأوقاف وتعيين نظارها ،
وكذلك اقرار تعيين موظفيها أن وجد جهاز تابع لقاضي عسكر

فهمته العمل على حل المنازعات الخاصة بالأوقاف . يعمل به
كشاف في الأوقاف الذي كان يكلف بالتوجه الى العين محل النزاع
أو التي في حاجة الى تعمیر أو استبدال ليكشف عليها بالاستعانة
بأهل الخبرة في ذلك الوقت ثم يقدم تقريره الى قاضي العسكر ليقيم
باتخاذ ما يلزم بناء على تقرير الكشاف .

ويعين قاض العسكر الكشاف ويقيده قرار التعيين في
السجلات على النحو التالي « قرر مرلانا شيخ الاسلام . . . الشيخ
شهابي أحمد بن المرحوم الشيخ عثمان الرضائي الخلوتي في الشهادة
على كشف الأوقاف والجلوس بالبواب العالي ليتصرف بغاية الهمة
والاجتهاد وتمكينه من ذلك » (٧٢) وأحيانا يضاف اليه ضمن
اختصاصه « قسمة العقارات وغير ذلك مما يتعلق بأمور
الكشف » (٧٣) .

فعندما وقع نزاع بين « يوسف جاويش ناظر زاوية ابن
الأوجاقي وبين القاضي عبد الوهاب عرف بابن اسرائيل وذلك بسبب
النزاع حول رواق وحانوت وهل هما من أملاك الزاوية أم كما يدعى
القضاي عبد الهادي عبد الهادي بأنهما وقف لوالده ، عندئذ توجه
الكشاف الى محل النزاع وقام بمقابلة الحدود التي في الحجة
التي قدمها عبد الوهاب ، فاتضح اختلاف الحدود فعندئذ طلب
الكشاف قداماء أهل المحلة فذكروا بمعرفة الرواق والحانوت محل
النزاع وأنه وقف على الفيومي على الزاوية المذكورة ، وقدم
الكشاف تقريره الى الحاكم الشرعي الذي أصدر حكمه بناء على
ما جاء فيه » (٧٤) .

وفي حالة النزاع على حدود الأوقاف كان يتوجه الكشاف
ليحقق في هذا النزاع عن طريق سماع أقوال المتنازعين ومطابقة
حجة الوقف على أقوالهم ، وبعد ذلك يرفع تقريره الى الحاكم
الشرعي (٧٥) .

وعند الاستبدال في الأوقاف يتوجه الكشاف بأذن قاضي
العسكر الى الوقف محل الاستبدال لمعاينته وهل يستحق الاستبدال
أو لا ؟ وما هي الدواعي لهذا الاستبدال ؟ (٧٦) .

ووجد في الأقاليم كذلك كشاف الأوقاف وهو يعمل تحت
إشراف قضاة الأقاليم وكان الباشا يحكم ما له من ولاية عامة يأمر
الكشاف في الأقاليم بالكشف على الجوامع والمساجد والزوايا
والأضرحة وتعمير ما يحتاج منها الى عمارة (٧٧) .

وعلى ذلك فقد كان كشاف الأوقاف هو المسئول عن القيام
بالتحقيق في منازعات الأوقاف والبت في أمور الاستبدال والتعمير
الخاصة بالأوقاف بعد الكشف عليها والتحقق من مدى منفعتها في
حالة الاستبدال وكذلك التأكد من حاجتها للتعمير في حالة العمارة .
كما يقوم كشاف الأوقاف بالكشف الدوري على المساجد والزوايا
والأضرحة وغيرها من الأوقاف .

وبعكس الخبراء غير المعينين في المحكمة فقد كان كشاف
الأوقاف موظفا يعمل في المحكمة وله رسوم معينة يتقاضاها نظير
عمله ، ولكن الوثائق لا توضح لنا قدرها .

ويعتبر تقرير الكشاف أساسيا عند اصدار أحكام القضاة فهم
يضعونه محل الاعتبار وتصدر أحكامهم بناء على ما جاء فيه .

٥ - المحضرون :

وهم المنوط بهم احضار المدعى عليهم الى المحكمة للمثول بين
يدي الحاكم الشرعي بها ، وكذلك استدعاء من يكون القضاة
في حاجة اليهم عند النظر في القضايا المختلفة ، وأطلق عليهم العديد
من الألقاب مثل « قاصد الشرع الشريف » .

ووقف المشرع العثماني من المخضرين موقف الريبة والشك
فيهم ففي قانون نامة مصر الذي صدر في عهد السلطان سليمان
القانوني في المادة ٤٢ تذكر « أنه لدى القضاة الشرعيين بعض
النواب والمخضرين الأشرار يرتكبون التزوير ويلبسون الحق ثوب
الباطل ويفعلون الباطل على أنه الحق فيظلمون المسلمين ويعتدون
عليهم ولا بد من إبعاد مثل هؤلاء فلا يقدم قاض بعد اليوم على أن
يلحق بخدمته نوابا ومخضرين من هذا النوع . وإن لم يرض الناس
عن نائب أو مخضر أو يمتدحوه لظهور شره فلا يوكل اليه القاضي
عملا » (٧٨) .

ويذكر ابن اياس في أحداث (ربيع الأول ٩٢٤ هـ
مارس ١٥١٨ م) « أن شخصا من أمراء ابن عثمان صار يجلس على
تكة بباب المدرسة الصالحية يسمونه المخضر لا يقضى أمر في الأحكام
الشرعية حتى يعرض عليه ، فكان يقف بين يديه الشاكي والمشتكى ،
وكان يزعم أنه مستوفى على القضاة في الأمور الشرعية وكان يضرب
من كان يستحق الضرب ويسجن من يستحق السجن » (٧٩) .

يتضح من هذا أن وجود منصب المخضر كان سابقا في وجوده
على منصب قاضي العسكر ، كذلك يتضح أن المخضر كان له في بداية
عمله اختصاص قضائي في النظر في القضايا وتوقيع العقاب .

ووجد بكل محكمة عدد من المخضرين الذين يعملون في خدمتها
ويرأسهم في كل محكمة وكيل المخضر باشي الذي يوجد في محكمة
الباب العالي وهو يعين من قبل السلطان مباشرة . وفي حالة خلو
منصب المخضر باشي يقوم قاضي العسكر بتعيين من يخل محله
بصورة مؤقتة حتى يحضر المعين الجديد من استانبول أو تصل
براءة سلطانية لمن اختاره قاضي العسكر (٨٠) .

وكان المحضرون يقومون بحمل أوامر قاضي العسكر الى النواب في محاكم القاهرة وتذكر الوثائق « بعد الاذن من حضرة مولانا أفندي قاضي القضاة . . . لسيدنا الحاكم الحنبلى في فعل ما يذكر فيه على لسان الزينى عبد الفتاح أحد المحضرين بالباب العالى » (٨١) .

وقبل اعتماد المحضر في المحكمة لدى القضاة كان لابد من وجود ضامن له حتى يقوم بكفالتة في أى حدث قد يبدر منه (٨٢) .

الموارد المالية للمحضرين :

حددت مراسيم قاضي العسكر الرسم الذى يحصل عليه المحضر في القضية بنصف واحد ، ولا يدخل في القضية الواحدة سوى محضر واحد (٨٣) ولكن يبدو أن المحضرين كانوا يخرقون هذا النظام لذا فقد صدرت الأوامر العديدة التى تحذرهم من مغبة التعدي على الناس وأخذ أكثر من الرسم المحدد لهم (٨٤) وحدد الرسم الخاص بمحضر باش طبقا لما حدد في الأمر السلطاني بعثمانيين في كل مائة عثمانى ولا يأخذ ذلك الا من جانب المدعى بعد الدعوى (٨٥) .

وبالرغم من ذلك يبدو أن المحضرين كانوا يتعدون في الرسوم بحجة رسم محضر باش وأنهم يلتزمون له برسوم معينة ، ويتخذون ذلك ذريعة لزيادة الرسوم . لذا فقد أمر قاضي العسكر بطرد من يخالف من المحضرين ويأخذ أكثر من الرسم المعتاد (٨٦) .

وفي حالة مخالفة المحضرين الأوامر النواب يعاقب المحضر بالتأديب الشرعى والعقاب والعزل من العمل من جانب النائب الحنفى وذلك بوصفه رئيس المحكمة (٨٧) .

وفى محاكم الأقاليم وجد المحضرون الذين يقومون بأحضار
المطلوبين لدى القاضى فى القضايا المختلفة (٨٨) .

وكما يتضح من الوثائق أن المحضرين اكتسبوا عادة أصبحت
حقا لهم وهو ما عرف بحق الطريق ، فقد كانوا يقومون بتحصيل
رسم من المال لحسابهم الخاص من جانب المدعى عليه الذين يقومون
بأحضاره ، ثم أصبح بعد ذلك المدعى الذى يدفع هذا الرسم ،
وذلك لمنع استئذامه وسيلة للايقاع بين الناس .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - بالرغم من خضوع المحضرين فى المحاكم لرئاسة النائب
الخنفى بالمحكمة ، الذى كان يقوم بعقابه فى حالة
الخطأ ، وجد المحضر باش وهو يوجد فى محكمة الباب
العالى ويقوم برئاسة المحضرين العاملين فى محاكم أحياء
القاهرة . وللمحضر باش رسوم على المحضرين
يسددونها له .

٢ - كان المحضرون يتعدون فى أخذ الرسوم المحددة لهم
وذلك بدليل كثرة الأوامر الصادرة لهم من قاضى
العسكر والتحذير من مغبة تعديهم فى الرسوم .

٣ - بالرغم من قيام قاضى العسكر بتعيين المحضرين بعد
وجود ضامن لهم فان المحضر باش كان يعين ببراءة
من السلطان مباشرة ، واقتصر دور قاضى العسكر فى
تعيينه فى حالة واحدة هى خلو المنصب فيعين قائم مقام
حتى يصل المعين من استانبول أو تصل براءة سلطانية
لمن اختاره قاضى العسكر .

٦ - الانكشارية :

تمتع أوجاق الانكشارية بعدد من الميزات بوصفه أقوى الأوجاقات العسكرية في مصر ، لذا فقد نيطت به العديد من الاختصاصات مثل حفظ الأمن في أحياء القاهرة ، وانبثق عن ذلك أمر آخر وهو عملهم في خدمة قضاة العسكر . فقد كان عدد من الانكشارية يعملون في محكمة الباب العالي برئاسة ضابط يطلق عليه سردار قاضي العسكر .

ويبدو أن عمل الانكشاري في المحكمة كان لاضفاء مزيد من المهابة على مجلس القضاة فقد كان عليه أن يقف ملازماً لباب المحكمة لابساً كسبته مع الخيزانة (٨٩) .

وهناك تشابه بين عمل الانكشارية والمحضرين فقد كان الانكشارية يقومون باحضار الخصوم الى المحكمة ، كما كانوا يقومون بتوصيل أوامر قاضي العسكر الى النواب في محاكم القاهرة (٩٠) .

وقد ميزت الوثائق بایضاح بين الانكشارية والمحضرين ولكن لم توضح الفرق بين عمل الاثنين . وكان الانكشاري يتقاضى نصفين فضة في القضية مقابل الخصوم (٩١) .

وفي بعض الأحيان يعين بعض الانكشارية في بعض الوظائف الصغرى في الأوقاف أو في الوظائف الدينية الصغرى مثل « تعيين حسين بن الدرويش مراد الينكجری بخدمة شيخ الاسلام في كامل ترقية بجامعة الكامل بخط القصرين » (٩٢) .

وعندها تحدث خلافات بين أوجاق الانكشارية وقاضي العسكر كان يقوم الأوجاق بسحب الانكشارية الذين يعملون بخدمته (٩٣) .

ويتضح من الوثائق أن الانكشارية لم يكونوا يعملون الا في محكمة الباب العالي فقط بجانب قاضى العسكر وربما يكون ذلك لاضفاء جو من الهيبة على مجلس قاضى العسكر بوصفه رئيس الهيئة القضائية فى القاهرة وذلك بعكس المحضرين الذين كانوا يعملون فى كافة المحاكم الأخرى .

٧ - أمناء السجلات :

وجدت فى محكمة الباب العالي خزانة لحفظ السجلات الخاصة بمحاكم القاهرة لحفظها من الضياع ولمنع تعرضها للحوادث المختلفة التى قد تؤدى الى فقدانها ، وكذلك حتى يسهل استخراجها واستنساخ الحجج منها وقت الحاجة اليها . وبعد استنفاد صفحات السجل كان الكتاب فى محاكم احياء القاهرة يقومون بارسال السجل مختوما بالشمع الى هذه الخزانة لحفظه بها .

ووجد لهذه الخزانة أمين مسئول عنها وعدد من الخزنة الذين يعملون تحت رئاسته ويعين قاضى العسكر أمين الخزينة ويسجل فى سجلات المحاكم على النحو التالى « قرر شيخ الاسلام . . . الشيخ شمس الدين محمد بن المرحوم الشيخ عبد اللطيف الأشبولى أمين السجلات بمحكمة الباب العالي » (٩٤) وينص قرار التعيين على « اختيار أمين السجلات لما ظهر وتبين وتوضح واشتهر من ديانة الشيخ محمد المذكور وأمانته وصيانيته ومعرفته وقدرته وحسن خطه وكتابته وصون السجلات والخزنة به راضون ولا يرضون بغيره (٩٥) » .

ويرتبط بوظيفة خزن السجلات قيام أمين الخزنة بتفتيشها حتى يتبين منها اذا كان هناك اعتداءات على اختصاص المحاكم

الأخرى أم لا ؟ وإذا كان هناك أخطاء من العاملين بهذه المحاكم
أم لا ؟ .

كما يرتبط بها كذلك استنساخ نسخ من هذه السجلات
عند الحاجة إليها للجمهور سواء للاحتفاظ بها أو للتقدم بها إلى
المحكمة كمستند يدعم حقهم في قضاياهم (٩٦). ويبدو أنه كان يوجد
رسم يدفعه الجمهور مقابل استخراج واستنساخ هذه الحجج وإن
كانت الوثائق لا تمدنا بمعلومات عن ذلك .

وعند استنساخ نسخة جديدة ينص على ذلك في أول الحجة
قائلا : « المنقول صورته من سجله المحفوظ بخزانة السجلات
العامة الموقع نقله في ٠٠٠٠ » (٩٧) .

وتشبه هذه الخزانة في وقتنا الحاضر أرشيف المحكمة حيث
تجمع به السجلات حتى يتم تخزينها بعد ذلك في دار المحفوظات
واستخراج نسخ منها لمن يريد من أصحابها .

وبذلك عرفت المحاكم في هذه الآونة نظام حفظ السجلات
وتخزينها حفاظا لها ومنعا لضياعها وفي ذلك حفظ لحقوق الناس
من الضياع .

٨ - الترجمان :

وجد لمصر في العصر العثماني العديد من العلاقات مع الدول
الأخرى التي وجدت لها جاليات تجارية في مصر . وبالطبع لم يكن
كل هؤلاء يجيدون اللغة العربية ، أو من المتعاملين بها لذا فقد
كان لابد من وجود ترجمان يوضح للقاضي أحداث القضية في
حالة وجود نزاع يكونون طرفا فيه . وكذلك يكون الترجمان
واسطة في الحديث بين القاضي والأجنبي .

ووجد المترجمان الذى يعمل فى خدمة قاضى العسكر وعرف
باسم « ترجمان صغير » واختص كما يبدو من الوثائق بتسلم الحجج
والتمسكات المتعلقة بالباب العالى من قضاة الأخطاء (٩٨) ويبدو
أنه بمرور الوقت أصبحت للمترجمان بعض الاختصاصات القضائية
فتنص الوثائق الصادرة بمحكمة القسمة العسكرية فى بعض
الأحيان بقولها « بمعرفة فخر الأكابر والأعيان . . . عمدة السادة
الموالى الأعالى العظام مولانا مصطفى جلى ترجمان السادة الموالى
بالديار المصرية حالا دام مجده فرض وقرر الأيتام فخر الأعيان . . .
القاصرين » (٩٩) .

كما يبدو أن المترجمان لم يكن عمله مقصورا على الترجمة فقد
وكل اليه التفتيش على أعمال المحكمة والاهتمام بذلك وعدم
التقصير فى الخدمة (١٠٠) .

كما وجدت ترجمة فى حريم قاضى العسكر وربما يكون ذلك
لأنهم لم يكونوا يعرفون اللغة العربية جيدا مثل « الحرمة المصونة
فاطمة الترجمة بحريم شيخ الإسلام » (١٠١) .

ولم يكن الترجمة فى الغالب من الأتراك الوافدين مع شيخ
الإسلام فقد كان منهم عسكريون مثل « الأمير محمد من أعيان
الجاويشية بمصر وترجمان شيخ الإسلام قاضى القضاة » (١٠٢)
وهناك « الشهابى أحمد ابن الجمالى جمال الدين المترجمان
بخدمة قاضى عسكر » (١٠٣) .

من هذا يتضح ضرورة وجود مترجمان فى المحكمة ليكون واسطة
بين المتقاضين الذين لا يتكلمون العربية وهى ضرورة وجدت مع
وجود الجاليات الأوروبية فى مصر للتجارة .

وكان الترجمان موظفا في المحكمة غير أننا لا نعلم شيئا عن أجره وهل كان له رسوم قضائية يحصل عليها من القضايا التي يعمل بها أو لا ؟ وإذا كان له رسوم فما مقدارها ؟ .

٩ - وكلاء الدعاوى :

وكيل الدعاوى هو المحامي الذي يقوم المدعى عليهم بالاستعانة به لإثبات حقوقهم أمام القاضي ، والوكالة هي نيابة اختيارية تثبت لمن ملكها باذن من صاحب الشأن الأصلي في الأمر الموكل به مع بقاء حق المنيب في التصرف أيضا إذ الوكيل كان مقيدا عن التصرف الذي وكل فيه لولا التوكيل ، والتوكيل هو إقامة الإنسان غيره مقام نفسه في تصرف جائز معلوم وهو من العقود الشرعية (١٠٤) .

أما عن شرعيتها فيجوز في مذهب الشافعية الوكالة في الخصومات اثباتا ودفعاً وكذا في استيفاء الحقوق ، وكذلك مذهب الإمام أحمد ، ويجوز التوكيل بالخصومة في جميع الحقوق ، وكذا بإبقائها واستيفائها إلا في الحدود والقصاص فإن الوكالة لا تصبح باستيفائها في غيبة الموكل لأنها تندريء بالشبهات (١٠٥) .

وقد وقف العثمانيون غداة فتحهم مصر من الوكلاء موقف الريبة والشك فيهم لذا أمر السلطان سليم القضاء بصرفهم عن أبوابهم ومعاقبة المخطيء منهم الذي يروج لدعوى باطلة (١٠٦) .

وكان يقوم القضاء بمراقبة أحوال الوكلاء والسؤال عنهم والتحري عن أفعالهم حفظا لناموس العدالة وخوفا على المتقاضين من استغلال الوكلاء لهم ، وفي حالة الوكلاء الذين يتصفون بالصفات السيئة من خداع ومكر ومحاولة الإيقاع بالمتقاضين وجعل قضاياهم سببا للمغارم والحصول على المال ، كان لابد من منعهم

من دخول المحاكم وفي حالة عنادهم وتكرار الدخول الى المحاكم
يتم ابعادهم بالضرب والتهديد (١٠٧) .

وكان يتم توثيق التوكيل واعلانه امام القاضى فى المحكمة
وفى حضور الوكيل والموكل ويأخذان حجة بذلك ومن أمثلة هذه
النماذج « لدى . . . أشهدت عليها الحرمة فاطمة بنت عبد الله
والحرمة لالزار بنت عبد الله . . . شهودهما الاشهاد الشرعى وهما
بحال الصحة والسلامة والطواعية والاختيار أنهما وكلتا الجناب
العالى الأمير محمد بن عبد الله الجاويش بالخدم العالية أن ينوب
عنهما فى استخلاص جميع حقهما قبل من يكون وفى الدعوى بذلك
فى مجالس السادة القضاة ونوابهم وولاة أمور الاسلام وفى الحبس
والترسيم والملازمة والاخراج والمكاتبة والاشهاد وعلى الرسم
المعتاد والابرا وغيره وكالة شرعية مطلقة ، وقبل ذلك الأمير محمد
المشار اليه أعلاه قبولا شرعيا » (١٠٨) .

ولم تكن الوكالة خاصة بالرجال فقط فنجد نساء قد كن
وكيلات أمام القضاة فهناك الحرمة « ليلة المرأة ابنة المرحوم أحمد
العوادلى الثابت توكيلها لدى الحاكم الشرعى » (١٠٩) .

وكان لابد من حضور الموكل أمام القاضى للاعلان عن رغبته فى
توكيل الوكيل الذى اختاره مهما كانت الموانع التى تحول دون ذلك
حتى أصحاب العاهات كالخرس مثلا كانوا يستخدمون اشارات
خاصة أمام القضاة لبيان رضاهم بالموكل الذى اختاروه (١١٠) .

وكان يجب أن يكون الوكيل قوى الحجة قادرا على المجادلة
والمرافعة مستخدما لكافة الأدلة التى تؤدى الى اثبات حق موكله ،
لذا كان يتطلب أن يكون الوكيل حاذقا بأمور الشرع ماهرا فيه حتى
يستخدم ذلك لمجادلة خصمه لأن قانون الشريعة كان هو
السائد (١١١) .

وبالرغم من وجود الموكل أمام القاضي فقد كان الوكيل هو الذي يتحدث ويدافع عن الموكل ويظهر ذلك في الوثائق بجلاء مثل « بين يدي ٠٠٠ شيخ الاسلام محمد أفندي دام عزه ادعى عوض البربري ابن بركات النازل بناحية شراربي بولاية البحيرة وهو القايم في تعاطي ما سيذكر فيه بطريق وكالته الشرعية عن ادريس ابن عبد الرسول البربري الحاضر معه بالمجلس » (١١٢) .

ويتضح من الوثائق ان الوكالة كانت معروفة في كافة الأعمال والمعاملات المدنية والمالية مثل الارث وما يتبع ذلك من منازعات (١١٣) والطلاق (١١٤) وقضايا الدين وما يقع من خلافات بسببها (١١٥) وقضايا العتق (١١٦) .

اما الوكالة في الأمور الجنائية فقد كانت موجودة ومعتبرا بها في ذلك الوقت غير أنها عن المدعى ، أما الوكالة عن المدعى عليه فلم نعثر عليها في الوثائق التي اطلعنا عليها .

ومن أمثلة الوكالة في الأمور الجنائية عن المدعى « عندما تعدى جماعة من المفسدين على الحاج محمد بن الحاج علي ووالدته الحرمة عايشة وتعدوا عليهم بالضرب وبعد الكشف على المجنى عليهم اتضح أن محمد المذكور برأسه ضربة أدمت الجلد ولم تقطع وبرقبته ضربتان كل منهما أدمت الجلد وبكتفه اليسرى ضربة ، كذلك والدته برأسها ضربة رزة قطعت الجلد وأدمت وبكتفها ضربة رزة ، وأخبرت أن بفخذها ضربة سيف وأن المفسدين بعد أن ضربوهم سرقوا الكثير من حاجاتهم » (١١٧) عند ذلك قام الحاج محمد وأمه يتوكيل الخواجا شرف الدين موسى بن الخواجا عبد القادر الشهير بابن الكارمي في مطالبة المتسبب في هذه الحادثة والدعوى عليه بذلك (١١٨) .

ومن حق الوكيل عزل نفسه من الوكالة في أى حالة أراد وينص على ذلك أمام الحاكم الشرعى وأن ذلك « لما علم لنفسه فيه من الحظ والمصلحة عزلا شرعيا وقبل ذلك منه قبولا شرعيا » (١١٩) في نفس الوقت من حق الموكل عزل وكيله لأى سبب أراد من ذلك « أشهدت على نفسها بهى ابنة عبد الله أنها عزلت وكيلها جانم الينكجى وعزلت كل وكيل لها عزلا شرعيا » (١٢٠) .

وكثيرا ما كانت تحدث المنازعات بين الوكيل وموكله في حالة تعدى الوكيل وسرقته موكله وقد شهدت المحاكم أنواعا من هذه القضايا التى يقوم القضاء بالتحقيق فيها (١٢١) .

وفي حالات كثيرة كان المدعى عليه يلجأ الى تعطيل الدعوى والمماطلة فيها عن طريق التشكك في صحة توكيل وكيل المدعى عليه . وفي هذه الحالة كان لابد من حضور شهود لاثبات صحة الوكالة وبعد ذلك تبدأ اجراءات الدعوى القضائية (١٢٢) .

كما عرفت الوكالة بين أهل الذمة وكانت توثق أمام القضاء ذلك عندما « وكل الخواجا يعقوب بن الحاج بيرام بن اسراييل القرمانى ابن أخيه صلتمش بطلب جميع حقوقه من ذمم الناس وبطلب ودائعته التى أودعها عند الناس من التجار وغيره » (١٢٣) .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - أن الوكالة لم تكن في فئة معينة ، وأن كانت كثيرة بين العسكريين وذلك لاستغلال مكانتهم العسكرية في استخلاص الحقوق ، في نفس الوقت لم تكن الوكالة مقصورة على الرجال فقط بل وجدت نساء عملن كوكيلات للدعوى في قضايا مختلفة .

٢ - لم تكن الوكالة وظيفة محددة يعمل صاحبها كموظف في المحكمة ، بل كانت بمثابة العمل الحر الذي يعمل صاحبه وقت الحاجة اليه من أصحاب الدعاوى المختلفة وان كان يخضع لمراقبة واشراف القضاة لما قد يبدر منهم من أفعال قبيحة في حق المتقاضين .

٣ - كان يجب أن يكون الوكيل حاذقاً في أمور الشرع حتى يستطيع المجادلة والمرافعة أمام القاضى واثبات حق موكله وتدعيمه بالأسانيد المثبتة لذلك ، فقد كان يتطلب معرفة واسعة بأمور الفقه .

٤ - عرفت الوكالة في مختلف التصرفات المدنية والمعاملات المالية كما عرفت الوكالة في الأمور الجنائية وان كانت الوثائق التى بين أيدينا لا تدلنا الا على الوكالة عن المدعى وليس عن المدعى عليه .

٥ - لم تحدد أى من القضايا التى وجد فيها وكلاء الرسوم التى كان يتقاضاها الوكيل كما أنها غير محددة بمراسيم من قاضى العسكر بعكس كافة الوظائف القضائية الأخرى ، وربما يكون السبب فى ذلك أن الوكيل عمل حر وليس موظفاً ثابتاً فى المحكمة .

٦ - وقف المشرع العثمانى فى بداية الفتح العثمانى بمصر موقف الريبة والشك فى الوكلاء ، وبالرغم من أنهم لم يكونوا موظفين فى المحاكم ، فان القضاة أعطوا الحق فى مراقبة هؤلاء الوكلاء ومحاسبتهم على تصرفاتهم لمنعهم من الغش والتدليس وإيذاء الناس .

١٠ - المفتون :

وجد المفتون الى جانب القضاة ولعبوا دورا مهما في الحياة القضائية فقد كانوا بمثابة معاونين للقضاة يقدمون لهم الآراء الفقهية التي يحتاجون اليها ويقدمون فتاواهم مكتوبة الى المتقاضين حتى يستعينوا بها أمام القضاة في اثبات حقوقهم .

ولما كان باب الاجتهاد قد أقفل لم يعد هؤلاء العلماء مثل أسلافهم مجتهدين بل مقلدين بمعنى أنه كان عليهم أن يتوخوا الدقة في الالتزام بالسوابق التي استنتجها أسلافهم العظام بصدد اصدار التعليمات والشروح المتعددة التي أضافتها الأجيال التالية ومن هنا كان يكفي أن يكون العالم أو الفقيه الذي يطلب منه الادلاء برأى حول نقطة قانونية متفقها في هذه الأعمال بحيث يمكنه أن يروى السابقة المناسبة حول أي مناسبة مطلوبة (١٢٤) .

تعيين المفتين :

وجد نظام الافتاء في مصر في العصر المملوكي فقد اهتم المماليك باضفاء الصبغة الدينية على أعمالهم وأحكامهم ، لذا فقد عينوا أربعة من المفتين على المذاهب الأربعة ليقدّموا فتياهم سواء للحكام لاضفاء الشرعية على أعمالهم أو للمحكومين في المعاملات والأمر الشرعية ، وكذلك تقديم الفتاوى التي يطلبها منهم القضاة .

وقد وجد في مصر في العصر العثماني مفتون على المذاهب الأربعة فبالرغم من أن المذهب الحنفي كان هو المذهب الرسمي في الدولة العثمانية فقد سمحت الدولة للولايات العربية التابعة لها باختيار المفتين التابعين للمذاهب الثلاثة (١٢٥) .

وفي القرن السادس عشر كان كثير من المفتين في مصر والشام من أصل رومي أي من الأناضول أما في القرنين السابع عشر والثامن

عشر فقد غدا المفتون في مصر وغيرها من البلاد العربية شخصيات محلية عربية ولم يكن يشترط تخرج رجال الافتاء في الأقاليم في مدارس استانبول كقاضى العسكر وانما كان يقبل تخرجهم في أية مدارس مدنية أخرى (١٢٦) .

ونتيجة لمكانة الأزهر العلمية في العالم الاسلامى ولشهرة علمائه فقد كان الأزهر أهم جامعة اسلامية تخرج المفتين في الوسط الاسلامى كله في العصر العثمانى ، وكان خريجوه يشغلون مناصب الافتاء والمناصب الدينية الرفيعة سواء في مصر او في البلدان الاسلامية .

ويذكر محمد بن أبى السرور البكرى « أن والده أول من لقب بمفتى السلطنة الشريفة بالديار المصرية ولقب بشيخ الاسلام » (١٢٧) .

وفي القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر كان المفتون يعينون من استانبول ولم يكن ذلك مقصورا على المفتى الحنفى فقط بل مفتى المذاهب الأخرى . فالشيخ « محمد أبو السرور بن محمد بن أبى الحسن » عمل رسالة دقيقة المعانى تتعلق بمباحث آيات السبع المثانى وبعث بها من الديار المصرية الى دار السلطنة السنية تتضمن طلب منصب افتاء الشافعية بالقاهرة وتم له ذلك (١٢٨) ويبدو أنه استخدم في ذلك علاقاته بالعلماء المقربين للسلطنة لتعيينه مفتيا شافعيًا بمصر .

ووجد من بين المصريين من تولى مناصب الافتاء في البلدان الاسلامية الأخرى « عبد البر بن عبد القادر بن أحمد بن زين الفيومى العوضى فقد تولى افتاء الشافعية في القدس » (١٢٩) .

ولم يكن لقب مفتى السلطنة يطلق على المفتى الحنفى والشافعى فقط فقد وجد مفتى السلطنة المالكى « الشيخ أبى

عبد الله محمد الشهير نسبه الكريم بابن عبد الوارث المالكي « (١٣٠) ولم نعثر في الوثائق التي اطلعنا عليها على لقب مفتي السلطنة الحنبلي فربما يعود ذلك الى قلة انتشار المذهب الحنبلي في مصر .

ويلاحظ أنه لم يوجد أماكن خاصة للمفتين مثلما كان عليه الحال في العصر المملوكي من جلوسهم بدار العدل ، غير أنه في أواخر القرن الثامن عشر لما « بنى محمد بك أبو الذهب جامعة قرر الأمير المذكور ثلاثة من العلماء وقصر عليهم الافتاء وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها أنشأها لهم يجلسون حصة من النهار ضحوة كل يوم للافتاء ورتب لهم ما يكفيهم » (١٣١) .

وأطلقت الوثائق على المفتين في القرن الثامن القابا مثل « شيخ الافتاء والتدريس بالجامع الأزهر » (١٣٢) . « من أعيان مشايخ الافتاء والتدريس بالجامع الأزهر » (١٣٣) واختفى لقب مفتي السلطنة الشريفة وربما كان ذلك بسبب زوال تعيين المفتين من جانب السلطنة العثمانية في هذه الآونة .

وتعرض المفتون للعزل بل النفي في حالات كثيرة في القرن الثامن عشر من جانب الأوجاقات العسكرية العثمانية والقوى المملوكية التي تنامي دورها كثيرا في هذه الآونة (١٣٤) .

ففي عام ١١٩٢ هـ - ١٧٧٨ م غضب ابراهيم بك ومراد بك على « الشيخ عبد الرحمن العريشي مفتي الحنفية فعزلوه من الافتاء وأحضروا الشيخ محمد الحريري والبسوه خلعة ليكون مفتي الحنفية وأرادوا نفي الشيخ العريشي فشفع فيه شيخ السادات » (١٣٥) كما عزل الشيخ « حسن الكفراوي من افتاء الشافعية وتقرر مكانه الشيخ أحمد بن يوسف الخليفى وذلك نتيجة لغضب الأمير يوسف بك تابع محمد بك أبو الذهب على الشيخ الكفراوي » (١٣٦) .

المفتون في الأقاليم :

ووجد مفتون رسميون في الأقاليم وهم ممن تعلموا في الأزهر الشريف وعادوا الى بلادهم بعد اجازتهم بالفتيا من علمائه مثل « على بن صالح بن موسى المالكي مفتي فرشوط » (١٣٧) والامام الفقيه « ابراهيم بن الشيخ عبد الله الشرقاوي الشافعي انفراد بالافتاء مدة طويلة على مذهبه بين أهل القرى » (١٣٨) .

وكان الباشا هو الذي يصدر قرار تعيين المفتين في الأقاليم بعد اختيارهم من جانب جماعة العلماء فقد صدق الوزير « محمد باشا » والى مصر (١١٩٨ هـ - ١٧٨٣ م) على تعيين المفتي السيد « سليمان قنيد » مفتي مالكي بشعر اسكندرية ومنع التعدي عليه (١٣٩) .

وفي حالة خروج المفتين على واجب وظائفهم يتقدم الناس بالشكوى الى القضاة وحكام الولاية ، ففي ولاية البحيرة اجتمع قائمقام الولاية والأمراء والعلماء والخاص والعام في المحكمة بسبب الشكوى من الشبيخ أحمد بن المرحوم الشيخ منصور الشافعي المفتي . وأشهد على نفسه بالتوبة والاقلاع عن الأعمال التي من شأنها ايذاء المسلمين وايقاع الضرر بهم (١٤٠) .

وعلى هذا كانت هناك رقابة مفروضة على المفتين من جانب العلماء والقضاة وفي نفس الوقت من جانب الباشا الذي كان يحكم ولايته العامة يعين المفتين في الأقاليم ومن حقه أن يسألهم .

عمل المفتين :

وكان للمفتين نوعان من الأعمال يدخلان في وظيفتهم العامة في الفتيا الشرعية ، العمل الأول وهو الفتيا العامة أي بذل المشورة الشرعية لمن يطلبها من المسلمين في مسائل العقائد والعبادات

والمعاملات والعمل الثانى هو الفتيا القضائية اى بذل المشورة
فى مسألة من مسائل المعاملات بمناسبة نزاع معروض على
القضاء (١٤١) .

وبالرغم من أن الطابع العام لهذا العصر كان هو التقليد وليس
الاجتهاد ، فقد كان المفتون من الناحية العملية يستطيعون اختيار
السوابق المناسبة وإهمال ما لم يعد منها قابلا للتطبيق أن يطوعوا
الشريعة للظروف الجديدة ، وهو ما قاموا به بالفعل (١٤٢) .

وكان القاضى يستضىء بنصائح رجال الشرع ، ويستطيع
الأطراف المتنازعة أن يحصلوا مقدما على نوع القرار الذى يصدره
المفتى ، ويلجأ القضاة عادة الى هؤلاء المفتين ولرايهم سلطة معترف
بها . ومع أن حكم القاضى لا ينقض فاذا حدث أن أجمع مفتو
المذاهب على الانتقاص من قرارات القاضى ، فإن القاضى يعترف
بخطئه (١٤٣) .

وأمدتنا وثائق المحكمة الشرعية بالعديد من الفتاوى التى
استخدمها المتنازعون فى المحكمة لاثبات حقوقهم وكان يحكم لجانبهم
لوجود هذه الفتاوى (١٤٤) .

ومن أمثلة هذه الفتاوى الفتوى التى رفعها جماعة من النصارى
القاطنين بشجر دمياط الى المفتين . وذكروا فى سؤالهم أن الكنيسة
كانت متسعة فضاقت لأنه كلما سقط جدار منها كانوا يعمرّون خلفه
من داخلها حتى ضاقت بحيث لم يمكنهم عمارة من داخلها مطلقا
وسقطت كذلك بعض الجدران الساترة لدفن الأموات والصبيان
يدخلون ويخرجون بعض عظام الأموات ويلعبون بها وحصل لهم
بذلك الضرر . فهل يأمر أن يبنى ما خرب من جوانب الكنيسة
المذكورة ويشيّدوا ما انحرف من الأماكن المعدة لدفن الأموات

بالأحجار والتراب الساقط . وأجاب عليهم المفتون بترميم ما تخرّب
من جوانب الكنيسة وتشبيد ما انحرف من الأماكن المعدة لدفن
الأموات (١٤٥) .

والملاحظ من المصادر المعاصرة أن نظام الافتاء في مصر في هذه
الآونة قد احتفظ الى حد بعيد بصورته النقية خالية من كل
ما يعيبها من شوائب وربما مرد بذلك الى أن المفتين كانوا من كبار
العلماء المصريين الذين تمتعوا بمكانة كبيرة في نفوس الشعب فضلا
عن الحكام ، لذا فقد عملوا على المحافظة على صورتهم نقية ،
كذلك الرقابة المفروضة عليهم من جانب زملائهم ومنافسيهم من
العلماء الآخرين . وتعرضهم للنقد الشديد في حالة الشطط في الفتوى
أو اثبات ما يسيء الى مناصبهم وقد كان المفتون خاصة والعلماء
عاما هم الرقباء على القضاة وكذا على الحكام (١٤٦) .

وهناك العديد من المفتين الذين اشتهروا بالتقوى والورع وعدم
المجاملة ، مثل « علي بن محمد بن خليل الملقب نور الدين الحنفى »
فقد نشأ له ولد وكان يميل اليه ميلا زائدا فعلمه العلوم . ثم ان
هذا تغلغل في الهوى والفسق والفجور وتعرض لبعض حرم المسلمين
فأفتى أبوه بقتله (١٤٧) .

كذلك اشتهر « علي بن زين العابدين محمد بن علي » الذي
أصيب في بصره بسبب أن رجلا تزوج ووقع بينه وبين زوجته
مشاجرة فطلقها ثلاثا ثم أدركه تعب فاستفتاه فأفتى بأنها لا تحل
له الا بعد زوج آخر فتوعده بأن يقتله ان لم يردّها ، فلم يكثر
بكلامه ولم يفته الا بما قال فجاء هذا الرجل وضربه بالسيف
على رأسه حتى قام أهل الحلقة وضربوا هذا الرجل بالنعال
حتى مات (١٤٨) .

وبذلك فقد كان المفتون لا يكثرثون بالتهديد والوعيد بل يقدمون فتاواهم طبقا للسوابق السابقة ومحاولة اخضاع القواعد للمتغيرات الجديدة بما يتناسب وروح العصر .

الموارد المالية للمفتين :

لما كانت وظيفة المفتي بشكلها القائم لا تتضمن أى مرتب فقد اعتبرها المتدينون أرقى من وظيفة القاضي . على أن المفتي من الناحية العملية كان يقوم بوجه عام بتحصيل رسم نظير ادلائه بالفتوى وكان هذا الرسم يتناسب مع ثروة الشاكي . ومثل هذه الرسوم التي يحتمل أنها كانت توفر دخلا كافيا لصغار المفتين ولكن كبارهم في المدن الكبرى كانوا يتبوأون مكانة أرفع من ذلك بكثير ويبدو أن السلطات العثمانية درجت على الإبقاء على بعض الاشراف المالي على المفتين بمنحهم اعانات ووظائف ادارية مختلفة (١٤٩) .

وقد عمل كثير من المفتين في وظائف نظارة الأوقاف وذلك حتى توفر لهم دخلا يتناسب مع ما لهذا المنصب من جلالة (١٥٠) كما كان بعض المفتين يحصلون على رواتب نقدية من الأوقاف مثل وقف الحرمين (١٥١) .

الانتاج الأدبي للمفتين :

لم تكن حياة المفتين مقصورة على الافتاء والتدريس بل كانت حياة مليئة بالانتاج الأدبي الذي مازال موجودا حتى الآن ما بين مخطوط ومطبوع يستفيد منه الناس ومنهم :

١- محمد أبو السرور بن محمد أبي الحسن الملقب بتاج العارفين الجامع بين علمي الظاهر والباطن له الكثير من

المؤلفات منها رسالة رشيقة الألفاظ تتعلق بمباحث
آيات السبع المثاني (١٥٢) .

٢ - زين الدين بن نجيم أفتى ودرس في حياة أسياده
وانتفع به خلائق وله عدة مصنفات منها :

(أ) شرح الكنز .

(ب) الاشباه والنظائر وصار كتابه هذا عمدة الحنفية
ومرجعهم (١٥٣) .

٣ - سالم بن محمد عز الدين السنهوري المصري المالكي
كان أجل أهل عصره من غير مدافع وهو مفتي المالكية
ورئيسهم واليه الرحلة من الآفاق واجتمع فيه من العلوم
ما لم يجتمع في غيره وله مؤلفات كثيرة منها :

(أ) حاشية على مختصر خليل في الفقه .

(ب) رسالة في ليلة النصف من شعبان (١٥٤) .

٤ - عبد القادر بن عثمان الحنفي الشهير بالطوري (من
الطور) مفتي الحنفية بمصر من سادة أئمة الحنفية وكان
علما فاضلا فقيها أدبيا وله وجاهة ونباهة في أنواع
العلوم وله تصانيف منها :

(أ) شرح على الكنز في الفقه .

(ب) تكملة البحر الرائق .

(ج) كتاب في الأدب جمعه من نظمه ونثره سماه
الفواكه الطورية (١٥٥) .

٥ - عبد القادر بن محمد بن أحمد بن زين الفيومي المصري الشافعي جمع بين المعقول والمنقول وكان فقيها محدثا صوفيا ويعرف الحساب والهيئة والميقات والموسيقى ألف تأليف كثيرة منها :

(أ) الشرح الكبير لمنهاج النووي .

(ب) الروض المذهب في تحرير ما لخصته من فروع المذهب .

(ج) كتب على شرح البهجة وشرح النزهة في الحساب .

(د) شرح المنظومة الشهيرة بالرحبية في الفرائض .

(هـ) له نظم يتعلق بالتصوف والعقائد (١٥٦) .

٦ - مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكومي نسبة إلى طور كرم مفتي الحنابلة بمصر وكان له العديد من التأليف هي :

(أ) ديوان شعر .

(ب) مسبوك الذهب في فضل العرب .

(ج) غاية المنتهى في الفقه .

(د) الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية .

(هـ) تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك في رمضان .

(و) توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان .

(ز) قلائد المرجان في النسخ والنسوخ من القرآن .

(ح) نزهة الناظرين فيمن ولم مصر من الخلفاء
والسلطين .

(ط) جامع الدعاء وورد الظماء .

(ي) بديع الانشاء والمراسلات (١٥٧) .

٧ - زين الدين أبو المعاطي حسن بن علي بن علي . كان
خطيبا بليغا ذكيا حاد الذهن له سعة اطلاع في العلوم
وله نظم رائع ومن مؤلفاته :

(١) ديوان شعر هو علي فضله عنوان .

(ب) شرح صفة القطب سيدي ابراهيم الدسوقي .

(ج) ألف كتابا في مناقب أستاذه الحفنى .

(د) حاشية علي شرح شيخ الاسلام علي البردة .

(هـ) الجلل السندسية علي أسرار الدائرة الشاذلية .

(و) نظم الأزهرية في النحو .

(ز) منظومة في تاريخ مصر (١٥٨) .

* * *

هوامش الفصل الخامس

- (١) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون . المطبعة البهية . القاهرة د/ت . ص ١٩٥ .
- (٢) د/ محمد نور فرحات : القضاء الشرعي ، مرجع سابق ص ٧٧ .
- (٣) أبي عمر محمد بن يوسف الكندي : الولاة وكتاب القضاء - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨ م . ص ٣٦١ .
- (٤) الشهر العقاري : سجلات محكمة الضاحية النجمية . ص ٥١٥ الصفحة الأولى من الغلاف .
- (٥) الشهر العقاري : سجلات محكمة جامع الحاكم . ص ٥٧٣ ص ١ ، سجلات محكمة الزاهد . ص ٦٨٧ الغلاف . سجلات محكمة قناطر السباع . ص ١٣٨ من الغلاف .
- (٦) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . ص ١٧٩ ق ٦٦٥ ص ١٨٨ .
- (٧) الشهر العقاري : سجلات محكمة مصر القديمة . ص ١٠٠ ص ٣٢١ .
- سجلات محكمة باب الشعرية . ص ٦٤٩ ق ٧ ص ١ .
- (٨) الدميري : مصدر سابق ، ص ٩٢ ، ص ١٠٣ .
- (٩) الشهر العقاري : سجلات محكمة القسمة العسكرية . ص ٢٣ ص ١ .
- (١٠) الشهر العقاري : سجلات محكمة القسمة العسكرية . ص ٢٣ ص ١ .
- (١١) محمود بن عرنوس : مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

- (١٢) د/ محمد نور فرحات : القضاء الشرعى مرجع سابق ، ص ٧٨ .
- (١٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . ص ١٣ ق ٢٤ ص ٢٧ .
- سجلات محكمة الباب العالى . ص ٧٠ ق ١١٣٠ ص ٢٩٤ ، ص ٦٣ ق ١٤٨٩ ص ٣٩٣ ، ص ٨٦ ق ٦٣٩ ص ٩٨ .
- (١٤) د/ محمد نور فرحات : القضاء الشرعى ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .
- (١٥) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . ص ١٢٩ صفحة الغلاف ، سجلات محكمة البرمشية . ص ٧٠٣ ق ٩٣٣ ص ٢٤٢ ، سجلات محكمة بولاق . ص ٣٢ ق ١٧٨٠ ص ٥٦٦ .
- (١٦) الشهر العقارى : سجلات قناطر السباع . ص ١٢٦ ق ٢٧٢٣ ص ٦٤٥ .
- (١٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . ص ١٣٣ ق ٣ ص ٢ .
- (١٨) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . ص ٤٩٢ ص ١ .
- (١٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة مصر القديمة . ص ١٠٠ ص ٣٢١ .
- سجلات محكمة الباب العالى . ص ١٥٣ ص ٩ ، محكمة الزاهد . ص ٦٧٨ ص ٤٦٩ .
- (٢٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . ص ٥٩ الغلاف ، الباب العالى ص ١٥٧ مكرر ص ٦ ، سجلات محكمة جامع الحاكم . ص ٧٣٣ ق ٤ ص ١ .
- (٢١) احمد شلبي عبد الفنى : مصدر سابق ، ص ٢٠١ .
- عبد الرحمن الجبرتي : مصدر سابق ، ج ١ ص ٤٠ .
- (٢٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق ص ٦٥ الصفحة قبل الأخيرة .
- (٢٣) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . ص ٢٩ ق ١٢ ص ٦ .
- (٢٤) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . ص ١٢٣ ق ١٧٠٩ ص ٣٥٧ .
- (٢٥) مصطفى بن فتح الله الحموى : مصدر سابق ، ج ١ ص ١٧٥ .

- (٢٦) نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٩ .
- (٢٧) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . ص ١٥١ صفحة الغلاف ، سجلات محكمة الصالح . ص ٣١٥ ق ٣٢ ص ٨ ، ص ٣٢١ ص ٢ .
- (٢٨) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . ص ٣ ق ٢٣٣ ص ١٩ .
- (٢٩) الشاذي : مهمته أن يسافر في مصالح الوقف لجهاته الموقوفة واحضار غلتها . وكذلك اسندت اليه مهام رقابية وتأديبية ، من توقيع للجزاءات على ارباب الوظائف ، وكانت المهام الموكولة اليه تستلزم الشدة والحزم . انظر د/ محمد عفيفي ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .
- (٣٠) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . ص ٨٤ ق ١٦٠٠ ص ٣٣٠ ، سلات تقارير النظر . ص ١ ق ٩٤١ ص ٩٩ ، ص ١٢ ق ٤٧٢ ص ٦٩ ، ص ٩ ق ٥٦ ص ٧ .
- (٣١) عبد الرحمن الجبرلي ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٤٠٤ .
- (٣٢) الذهب الشريفى : بعد فتح مصر على يد السلطان العثماني سليم الاول أصبحت العملة الذهبية العثمانية تعرف باسم الشريفى وهو اشتقاق لفظى من نفوذ سلاطين المماليك الجراكسة المتأخرين الذى عرفت بالقابهم (الشرفى - الأشراف) وظلت العملة حتى بعد فتح مصر بقرنين (انظر د/ أحمد السيد محمد الصاوى ، مرجع سابق ، ص ٤ .
- (٣٣) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . ص ٩١ ق ٨٦٧ ص ٣٨٥ ، ص ٨٧ ق ٣٤٠ ص ١٠٥ .
- (٣٤) الشهر العقاري : سجلات محكمة بولاق . ص ٦٥ الصفحة الأخيرة .
- (٣٥) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . ص ٦٤ ق ١٨٩ ص ٩٢ .
- (٣٦) الشيخ أحمد العريش : مصدر سابق ، اجابة السؤال السادس ص ٤ .
- (٣٧) الشهر العقاري : سجلات محكمة القسمة العسكرية . ص ١٤٤ ق ٥٢٦ ص ٣٦٩ .
- (٣٨) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . ص ٣٠٧ ص ٣ .
- س ٢٧٢ ص ١ .
- سجلات محكمة بولاق . ص ٦٨ ص ١ ، ص ٧٠ ص ١ .
- (٣٩) الشهر العقاري : سجلات محكمة القسمة العسكرية . ص ١١٤ ق ٥٥ ص ٤٧ .

- سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٥٤ ص ١ .
 (٤٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٧٠ ص ٢٩ .
 - سجلات تقارير النظر . س ١٨ ق ١٤١٩ ص ١٩٩ .
 (٤١) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٦٨ ص ١ .
 (٤٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٢١٤ ق ١ .
 ص ٣ .
 - سجلات محكمة القسمة العربية . س ١٣٠ ق ٣٢ ص ٢٢ .
 (٤٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٥٤ ص ١ .
 - سجلات القسمة العسكرية . س ١٤٤ ص ١ .
 (٤٤) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٤ ق ٣٠٣ ص ٢٨ .
 - سجلات القسمة العربية . س ١٣٠ ق ٣٢ ص ٢٢ .
 (٤٥) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١ ق ١٤١٥ ص ١٥١ ، س ٣ ق ٦٨٠ ص ٥٦ ، س ٤ ق ٣٠٣ ص ٢٨ ، س ١٠٩ ق ٣ ص ٣٣٨ ص ٢٨ .
 - سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٢٢٧ ص ١ .
 (٤٦) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٤٠ صفحة الغلاف .
 (٤٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٥٣٧ ق ١ ص ١ .
 (٤٨) النظر الفصل الثانى : الاختصاصات القضائية للقضاة .
 (٤٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٧٠ ص ١ .
 (٥٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٢٠٩ ص ١ ، باب الشعرية . س ٥٩٦ ص ١ .
 (٥١) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٥٩٦ ص ١ .
 (٥٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣٩ ق ٥ ص ١ .
 (٥٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣٩ ق ١٥ ص ٤ .

- (٥٤) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٧٠ ص ١ .
- (٥٥) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٥١٦ ص ١ .
- (٥٦) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالح . س ٣٥٥ الصفحة المواجهة للفلاف .
- (٥٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٢٣٥ ق ٧٠ ص ٦١ .
- (٥٨) الشهر العقارى : سجلات الضاحية النجمية . س ٥١٦ ق ٤ ص ١ ، س ٥٢٠ ص ١ .
- (٥٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالح . س ٣٥٥ الصفحة المواجهة للفلاف - محكمة بولاق . س ٦٤ ص ٢ من الفلاف - محكمة الزاهد . س ٦٨٢ ص ٣٨ - محكمة قناطر السباع . س ١٤٠ صفحة الفلاف - الضاحية النجمية س ٥١٦ ص ١ - محكمة الصالح . س ٣٦١ ص ٢ ، قسمة عربية . س ٩٤ ص ٢ .
- (٦٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٦٥ ص ٣ من الفلاف .
- (٦١) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٦٥ ص ٣ من الفلاف .
- (٦٢) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٧٠٥ ص ١٣٢ .
- (٦٣) انظر الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١٢ ق ٨٧١ ص ١٢٩ ، س ٣ ق ٧١ ص ٧ .
- الدميرى : مصدر سابق ، ص ١٠١ .
- (٦٤) المباشرة : عرفت الأوقاف وظيفة « المباشرة » وعرف من يشغلها باسم « المباشر » وقد حرصت الأوقاف على أن يتمتع من يقرر في هذه الوظيفة بصفات أخلاقية مثل العفة والأمانة ومهام المباشر هي أن يكون ضابطا لأصول الوقف وممارته ومصارفه التى عينها من غير تهاون فيها . وكذلك تدوين حساب مستأجره ومستحقه . وأعداد حساب شهرى ومستوى للوقف وعلى المباشر أن يعرض الحساب السنوى للوقف أمام القضاة . انظر د/ محمد عفيفى عبد الخالق مرجع سابق ، ص ٩٥ .

- (٦٥) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر : س ٣ ق ٣١٢ ص ٤٥ ،
س ٣ ق ٥٨ ص ٢٩ .
- (٦٦) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر : س ٣ ق ٣١٢ ص ٢٦ ،
س ١ ق ٨٥٨ ص ٩١ .
- سجلات الباب العالي : س ٦٣ ق ٤٧ ص ٩ .
- (٦٧) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي : س ٢٤٧ ق ١
ص ١ .
- (٦٨) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي : س ٧٨ ق ١١٠٩
ص ٣٣٧ .
- محافظ الدشت : محافظة رقم ٢٦٣ لعام ١١٦٥/١١٦٦ هـ ١٧٥١/
١٧٥٢ ص ٥٤٥ .
- (٦٩) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط : س ٢٧٩ ق ٣٢٩ ص ٢٦٥ .
- (٧٠) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي : س ٦٣ ق ١٠٩
ص ٢٢٣ ، س ٢٢١ ق ١١١ ص ٨٣ .
- (٧١) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي : س ٢٢٨ ق ٧
ص ٤ .
- (٧٢) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي : س ١٦٧ ق ١٠١٥
ص ٢٧٠ .
- (٧٣) الشهر العقاري : سجلات محكمة تقارير النظر : س ١٤ ج ٢٠٦
ص ٣٦ .
- (٧٤) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي : س ٦٣ ق ٥٤٢
ص ١٠٩ ، س ١٧٩ ق ٦٦٦ ص ١٨٨ .
- (٧٥) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي : س ١٧٣ ق ٤٦٤
ص ١٧٦ .
- (٧٦) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي : س ٦٣ ق ٤٤٥
ص ٨٩ .
- (٧٧) دائرة الوثائق : سجلات محكمة دمياط : س ٢٧٨ ق ٢٢ ص ١٨ .
- (٧٨) قانون نامه : ص ٨٣ .
- (٧٩) ابن اياس : مصدر سابق ، ق ٥ ص ٢٤٣ وما بعدها .

- (٨٠) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . من ٥ ق ٢٤ ص ١٦ .
 — سجلات محكمة باب الشعرية . من ٥٩٠ ق ٣ ص ١ .
- (٨١) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . من ٤٦ ق ٦١٣
 ص ١٠٦ .
- (٨٢) الشهر العقاري : سجلات محكمة القسمة الغربية . من ٩٤
 ص ١ .
- (٨٣) الشهر العقاري : سجلات محكمة الصالح . من ٣١٥ ق ٣٢
 ص ٨ .
- (٨٤) الشهر العقاري : سجلات محكمة قناطر السباع . من ١٢٦
 ق ٢٧٢٢ ص ٦٤٥ .
- (٨٥) الشهر العقاري : سجلات محكمة الصالح . من ٣١٢ الف .
- (٨٦) الشهر العقاري : سجلات محكمة البرمسية . من ٧١١ ص ١ .
- (٨٧) الشهر العقاري : سجلات محكمة مصر القديمة . من ١٠٠ ق ٣٩٠
 ص ١٨٦ .
- (٨٨) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . من ٢٧ ق ٣٢ ص ٢٤ .
- (٨٩) الشهر العقاري : سجلات محكمة القسمة العسكرية . من ٩٦
 ق ٤٦٤ ص ٢٥١ .
- سجلات محكمة البرمسية . من ٧١٠ الف .
- (٩٠) الشهر العقاري : سجلات محكمة قناطر السباع . من ١٢٢ ص ٤٤٧٩
 قسمة عربية . من ١٣ ق ٤٥٢ ص ٣٢٥ .
- (٩١) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ٦٣ ق ٢١٣ ص ٤٥ .
- البرمسية . من ٤٧٠٣ ق ٩٣ ص ٢٤٢ .
- (٩٢) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . من ٣ ق ٢٦٤ ص ٢٢ .
- (٩٣) أحمد شلبي : مصدر سابق ، ص ٣٨٠ وما بعدها .
- (٩٤) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . من ٢٢٨ ق ٢٢٩
 ص ١١٣ .
- (٩٥) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ١٦٧ ق ٢٣١
 ص ٧١ .
- (٩٦) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ١٦٧ ق ١٦٤ ص ٥٠ .
- سجلات تقارير النظر . من ٩ ق ٩٠٠ ص ٨٤ .

- (٩٧) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٢٢٣ ق ٣٩٤
ص ٢١٥ .
- (٩٨) الشهرى العقارى : سجلات الصالحية النجمية . س ٥٣٤
ص ٤٠ .
- (٩٩) الشهر العقارى : سجلات القسمة العسكرية . س ٧٩ ق ٧
س ٥ .
- (١٠٠) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٧ ق ٦٧ ص ٣٤ .
- (١٠١) الشهر العقارى : محافظت الدشت . س ٢٦٣ ص ٥٤٥ لعام
١١٦٥ ، ١١٦٦ هـ ١٧٥١ ، ١٧٥٢ م .
- (١٠٢) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ١٥١ ق ٥٨٤
ص ٢١٨ .
- (١٠٣) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . ١٢٣ ق ٣١٨ ص ٥٧ .
- (١٠٤) أحمد ابراهيم : أحكام التصرف من الغير بطريق النيابة . مطبعة
العلوم القاهرة ١٩٤١ ، ص ١٨٢ .
- (١٠٥) نفسه ص ١٨٦ .
- (١٠٦) قانون نامة ص ٨٣ .
- (١٠٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٥٩ ق ١
ص ١
- (١٠٨) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٢٣ ق ٤٠
ص ١٤ - سجلات محكمة الباب العالى . س ٦٣ ق ٤٣١ ص ٧٦ - سجلات
القسمة العسكرية . س ٧٩ ق ٧٥ ص ٤٦ ، س ٣٨ ق ٥٣١ ص ٣٢٠ ،
س ٤٣ ق ١٢ ص ٧ - سجلات القسمة العربية . س ١ ق ١٣٨ ص ١٠ .
- (١٠٩) دار الوثائق : محكمة دمياط . س ٣٨ ق ١٣٤ ص ٥٧ ، س ٣٩
ق ١١٦ ص ٤٦ .
- (١١٠) الشهر العقارى : سجلات القسمة العسكرية . س ٩٦
ق ٤٤١ ص ٢٤١ .
- (١١١) أحمد شلبي عبد الغنى : مصدر سابق ، ص ٣٨٠ .
- (١١٢) دار الوثائق : محكمة البحيرة الشرعية . س ٢٧ ق ٢٤٢
ص ١٢٩ .

(١١٣) الشهر العقاري : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٤٨

ق ٢٠٣ ص ١٢١ ، س ٤٣ ق ٣٩٠ ص ٢٤٧ ، س ٤٤ ق ١٢ ص ١١ ، س ٧٩ ق ٦٣ ص ٣٩٠ .

(١١٤) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٨٦ ق ١٤٨

ص ٢٥ .

— دار المحفوظات : محكمة دمياط الشرعية . س ٦ ص ٥٥ .

(١١٥) الشهر العقاري : سجلات القسمة العسكرية . س ٤٣ ق ١٧٥

ص ١٠٣ ، القسمة العربية . س ١ ق ١٣٨ ص ٩٠ .

(١١٦) الشهر العقاري : سجلات القسمة العسكرية . س ١٨ ق ٤٤٧

ص ١٨١ ، س ٤٣ ق ١٢ ص ٧ .

(١١٧) دار المحفوظات : سجلات محكمة دمياط . س ٦ ق ٢٠٧

ص ٤٩ .

(١١٨) دار المحفوظات : سجلات محكمة دمياط . س ٦ ق ٢١٧

ص ٥١ .

(١١٩) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٨٦ ق ٣٥٦

ص ٥٣ .

(١٢٠) الشهر العقاري : سجلات محكمة القسمة العربية . س ١ ق ٣٤

ص ١٠ .

(١٢١) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٣ ق

ق ٢٥٧٠ ص ٤٩٦ .

— سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٧٩ ق ١٢٢ ص ٧٢ .

(١٢٢) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ١٥٣

ق ٩٢١ ص ١٨٣ .

(١٢٣) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٣ ق ٢٦٥

ص ٥٤ .

— سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٥٢٦ ق ٢ ص ٢ .

(١٢٤) جب وبووين : مرجع سابق ، ق ١ ص ٢٥٨ .

(١٢٥) د/ ليلي عبد اللطيف : مرجع سابق ، ص ٢٩١ .

(١٢٦) نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

- (١٢٧) محمد بن أبي السرور البكري : النزهة الزهية . مصدر سابق ، ص ٣١ .
- (١٢٨) مصطفى بن فتح الله الحموي : مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٢ ، ص ٣٩ .
- (١٢٩) المحبى : مصدر سابق ، ق ٢ ص ٢٩٣ .
- (١٣٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٤٧٨ ق ٣٤ ص ١١ .
- (١٣١) عبد الرحمن الجبرتي : مصدر سابق ج ٢ ص ٢٤٢ .
- (١٣٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٢١٤ ق ٢٩٤ ص ١٣٧ .
- (١٣٣) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ٧٣١ ص ٦٤ .
- (١٣٤) أحمد شلبى عبد الغنى : مصدر سابق ، ص ٣٨١ وما بعدها .
- (١٣٥) الجبرتي : مصدر سابق ج ٢ ص ٧٢ .
- (١٣٦) نفسه ج ٢ ص ٢٣ .
- (١٣٧) الجبرتي : مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٢ .
- (١٣٨) نفسه ونفس الجزء ص ٤٨٥ .
- (١٣٩) دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ١٢ ص ٣١ .
- (١٤٠) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٥ ق ٣٥١ ص ١٩٣ .
- (١٤١) د/ محمد نور فرحات : القضاء الشرعى مرجع سابق ، ص ٨٧ .
- (١٤٢) جب بووين : مرجع سابق ، ق ١ ص ٢٥٩ .
- (١٤٣) دى شابرول : مرجع سابق ، ص ١٩٦ .
- (١٤٤) الشهر العقارى - سجلات الباب العالى س . ٢٢٨ ق ١٩٦ ص ١٤٧ .
- (١٤٥) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٧٢ ، ق ٧٢١ ص ١٣٧ .
- (١٤٦) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٣٠٩ ص ٣٧٩ .
- سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ١٤٢ ق ١٦٤ ص ١٣٢ .
- (١٤٧) المحبى : مصدر سابق ، ق ٣ ص ١٨٤ .

- (١٤٨) الحبى : مصدر سابق ، ق ٣ ص ١٥٨ .
- (١٤٩) جب/ بووين : مرجع سابق ، ص ٢٦٣ .
- (١٥٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . ص ٦٣ ق ١٠١٧ ص ٢٤١ ، ق ١٤٠٦ ص ٣٣١ .
- دار الوثائق — سجلات محكمة دمياط . ص ٥١ ق ٢٤ ص ٨ ، ص ٦٥ ق ١٩٩ ص ١٠٨ .
- (١٥١) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . ص ٦٣ ق ٥٧٥ ص ١١٩ .
- سجلات تقارير النظر . ص ٩ ق ٣١٧ ص ٤١ .
- (١٥٢) مصطفى بن فتح الله الحموى : مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٩ .
- الحبى : مصدر سابق ، ج ١ ص ١١٧ .
- (١٥٣) الغزى : مصدر سابق ، ج ٣ ص ١٥٤ .
- (١٥٤) الحبى : مصدر سابق ، ج ٢ ص ٢٠٤ .
- (١٥٥) نفسه . ج ٢ ص ٢٤٢ .
- (١٥٦) الحبى : مصدر سابق ، ج ٢ ص ٤٥٦ .
- (١٥٧) محمد سييد كيلانى : مرجع سابق ص ٢٨١ .
- (١٥٨) الجبرتى : مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٣٧ .

الغائمة

نعتبر دراسة موضوع القضاة في مصر في العصر العثماني على قدر كبير من الأهمية ، وذلك لأنه بعد أن كان القضاة يعينون من قبل سلطان مصر أصبحوا بعد الفتح يعينون من قبل قاضي عسكر الأناضول وذلك تبعاً لتغير مركز مصر فبعد أن كانت مركزاً لدولة كبرى أصبحت مجرد ولاية تابعة لدولة كبرى تضم العديد من الولايات .

ومما يجدر ذكره إن العثمانيين عند دخولهم مصر وجدوا الاضطرابات تسيطر على كافة مناحي الحياة ولاسيما أحوال القضاة وذلك كانعكاس لتدهور أوضاع الدولة المملوكية كذلك فقد تداخلت اختصاصات قضاة الشرع مع اختصاصات قضاة السياسة ولم يعد هناك حد فاصل بين الاثنين وانتشرت الرشوة والمحسوبية في التعيين . وعند دخول العثمانيين مصر أدخلوا العديد من الإصلاحات في هذا المجال وعلى رأسها جعل المذهب الحنفي المذهب الرسمي في القضاء ، وهذه التغيرات من التغيرات النادرة التي أدخلها العثمانيون في البلاد .

وقد انتهت الدراسة الى نتيجة مهمة مؤداها أن اختصاصات القضاة في مصر في العصر العثماني ظلت ثابتة طوال فترة الحكم العثماني للبلاد ، ولم يحدث بها سوى تغيرات طفيفة في نهاية القرن الثامن عشر وأدى الحفاظ على هذه الاختصاصات طوال العصر العثماني الى نوع من الجمود .

كذلك فقد وضعت الدولة العثمانية شروطا علمية لمن يتولى منصب القضاة منها أنه لا بد أن يمر بمراحل تعليمية معينة بمدارس استانبول وقدمت هذه الشروط خدمات جليلة فقد منعت ضعف العلم والنفوس من تولي هذه المناصب ، ولكن في القرن الثامن عشر أصاب الجمود نظم التعليم في الدولة العثمانية وانعكس ذلك بدوره على أوضاع القضاة وتعليمهم وبذلك تسرب اليها الضعف .

وثمة ملاحظة وهي أن قوة القضاء ونظمه وأوضاع القضاة مرتبطة دائما بقوة الدولة ففي القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت أوضاع القضاة مستقرة ونظمهم ثابتة ولكن انعكست أوضاع الدولة في القرن الثامن عشر وهزائمه المتكررة على أوضاع القضاة ونظم التقاضي فبدأ الضعف يتسرب اليها .

وقد حافظ العثمانيون على التقليد الاسلامي الذي يقضى بأن يتولى الحاكم (الباشا) القضاء في أمور الخراج والجنايات واقتصرت سلطة القضاة في هذا المجال على التحقيق فقط أما سلطة الحكم واتخاذ القرار فقد كانت في يد الباشا وللحق فقد كان بعضهم ضعيفا في الأمور الشرعية مما ترتب عليه الوقوع في اخطاء فقهية في الأحكام .

واشرف قضاة العسكر في مصر على الأوقاف وتعيين موظفيها وكذلك محاسبة ناظرها عما أنفق وعما جبي من أموال الأوقاف وإذا كانت هذه الأوقاف تقوم بما أسند اليها من المهام التي رصدت من أجلها أم لا ؟ وقد قدم هذا الاشراف نوعا من الرقابة الشديدة على الأوقاف وبذلك فقد قامت بالمهام التي رصدت لأجلها خير قيام .

وقام قضاة العسكر في مصر بدور بارز في الحياة السياسية في البلاد فقد كانوا أعضاء في الديوان كذلك كانوا يقومون بدور كبير في الوساطة السياسية بين الأطراف المتنازعة في البلاد .

ولكن يلاحظ أن قاضي العسكر شارك مشاركة فعلية في بعض
الفتن مثل فتنة أفرنج أحمد ولكن كانت مشاركته في صف الباشا
الممثل الشرعى للسلطان ، وفيما عدا هذه الفتنة فقد كانت نظرة
جميع القوى المتصارعة اليه على أنه الرجل الثانى فى التنظيم
العثمانى فى مصر وأنه الوحيد القادر على القيام بالوساطة بين هذه
الأطراف المختلفة نظرا لمكانته .

وبالرغم من سيطرة الصناجق المماليك على الحياة السياسية
فى مصر فى القرن الثامن عشر وتسلطهم على الباشوات بالعزل فقد
كانوا يقدمون الاحترام والولاء لقضاة العسكر وربما كان السبب
فى ذلك راجعا الى عدم رغبتهم فى اثاره السلطات عليهم لعزل
الممثل الشرعى له فى الأمور الشرعية بما يحمله من مكانة كبرى فى
زمن تسود فيه الشريعة وتعتمد فيه الدولة على العامل الدينى فى
تجميع رعاياها حولها .

وبخرج البحث بنتيجة مهمة حول انتشار الرشاوى فى أحكام
القضاة ، فكما يبدو من خلال سجلات المحاكم الشرعية أن القضاة
كانوا ينظرون الى المتقاضين نظرة واحدة لا يفرقون بينهم من حيث
المنصب ولا الغنى ، وكثيرا ما كانوا ينصفون رجلا فقيرا ضد خصمه
العسكرى ما دام معه الحق . ولم تمدنا المصادر المختلفة لهذا
العصر بتناول القضاة للرشوة الا فى مثال واحد لذا لا يصح أن
نعلم عليه أن القضاة كانوا مرتشين . ومما ساعد على عدم
انتشار الرشوة خضوع القضاة لرقابة شديدة الوطأة من جانب
العلماء منافسيهم التقليديين .

كذلك نلاحظ أن قضاة العسكر فى مصر كانوا يتكلمون اللغة
العربية بطلاقة ول بعضهم مؤلفات فى الأدب العربى والفقه والتفسير .

وذلك لأنهم كانوا يتعلمون العلوم المختلفة في مدارس استانبول
باللغة العربية مثل النحو والصرف والفقه والتفسير وغيرها من
العلوم الإسلامية .

واعتقادي أنه يتعذر فهم القضاء القنصلي في مصر في القرن
التاسع عشر ما لم نعد الى جذوره في العصر العثماني حيث تمتع
الأجانب بحق اللجوء الى قناصلهم في بعض القضايا ، ولكن هذا
الأمر لم يكن يمثل خطرا على سيادة الدولة لأنها كانت قوية يخشى
جانبها أما بعد ضعفها فقد طمع فيها أعداؤها المتربصون بها وظهر
القضاء القنصلي بوجهه البغيض في القرن التاسع عشر وتفرع عنه
المحاكم المختلطة .

وثمة موضوع آخر يمكن دراسته وهو موقف الشعب المصري
من الإصلاحات القضائية التي أدخلها العثمانيون ، وموقفهم من
القضاة العثمانيين بل من الادارة العثمانية في مصر .

وعند الغزو الفرنسي عام ١٧٩٨ م كان قاضي العسكر ضمن
من فروا من البلاد ، لذا فقد عين الفرنسيون الشيخ أحمد العريشي
قاضيا للعسكر في هذه الفترة وقام الفرنسيون بادخال بعض
الإصلاحات الشكلية في نظم التقاضي السائدة في البلاد مثل التحقيق
وكتابة حيثيات للحكم وما الى ذلك ولكن بعد خروج الفرنسيين
من مصر عاد النظام القضائي فيها كما كان وعاد قاضي العسكر
العثماني ، ولكن أدخلت بعض المحاكم الجديدة ، واعتقادي أن
الحملة الفرنسية تمثل الفترة الانتقالية في أوضاع القضاة ما بين
العهد العثماني وعهد محمد علي وخلفائه الذين حاولوا التملص من
السيطرة العثمانية على القضاء . وعملوا على وضع العراقيل
أمام قاضي العسكر العثماني . وبدأوا في سن القوانين المختلفة
المستمدة من أوروبا وبدأوا في إلغاء المحاكم الشرعية .

الملاحق

ملحق رقم (١)

تعيين قاضى العسكر

يوم الجمعة المبارك ثانى شهر جمادى الآخرة سنة سبع و ألف
من الهجرة المحمدية ورد فيه الخبر بان الصدقات الخندكارية أيد
الله عظمتها وجدد في الدهور معدلها أنعمت بقضاء مصر المحروسة
على مولانا شيخ مشايخ الاسلام انسان عبر الموالى العظام قطب فلك
العقول والافهام محمد أفندى الشهير ببحثى أدام الله تعالى رفعتة
وعمم أقطارها بمزيد عدله وأيد عزته وأقام مقامه مولانا جمال
الشهير بالكفل دامت رفعتة وزيدت مسرته .

ملحوظات :

— مكان الوثيقة — الشهر العقارى — سجلات الباب العالى
س ٩٠ ص ٨١ .

— يتضح من ذلك أن قرار تعيين قاضى العسكر كان يصدر
من السلطان مباشرة بناء على ترشيح قاضى عسكر
الأناضول له .

— كان قاضى العسكر يرسل قائمقام يحل محله الى حين
حضوره .

ملحق رقم (۲)

شہزادہ محمد بن عبداللہ
صاحب دارالادب
۲۹

[illegible]

ملحوظیات :

- ١١١
- ٢١٣ ، ص ١١١ :
١ - مكان الوثيقة : دار الوثائق سجلات محكمة دمياط من ١٥
ق ٢١٣ ، ص ١١١ :
٢ - يتضح من ذلك أن قاضي الاقليم يصدر قرار تعيينه من
السلطان بعد ترشيح قاضي عسكر الأناضول له فهو
نائب له في اقليمه ولا يوجد سلطة لقاضي عسكر
عصر عليه .
٣ - كان قرار التعيين يصل من قاضي عسكر الأناضول الى
الديوان العالي في القاهرة وهو الذي يقوم بإبلاغ النواب
في الأقاليم ويطلب منهم القيام بمهامهم والسمع والطاعة
لقاضي الاقليم الجديد .

ملحق رقم (٣)

تعيين القسم العسكري

يوم الأحد المبارك ثالث عشرين صفر الخير سنة ٩٩٠ هـ وفيه قدم سيدنا ومولانا ابراهيم أفندي بن مولانا علاء الدين الشهير نسبه الكريم بابن المرعس قساما عسكريا بمصر المحمية من قبل سيدنا ومولانا علامة الأمم أفصح علماء العرب والعجم حضرة مولانا قاضي قضاة العساكر المنصورة بولاية أناضولي دامت رفعتة وعظمت مسرته الى يوم الدين .

بمحمد واله أمين والحمد لله وحده

ملاحظات :

- مكان الوثيقة - الشهر العقاري - سجلات محكمة القسمة العسكرية سن ١٢ - ص ٢٢ .
- يتضح من ذلك أن قاضي عسكر الأناضول هو الذي يعين القسم العسكري فهو نائب له .

ملحق رقم (٤)

تعيين شيخ الطائفة

لما حضر لدى مولانا قاضي القضاة شيخ الاسلام جماعة التجار بسوق العطر بالفحامين بسبب مشيخة سوقهم المذكور وبعضه طلب محفوظ الزرنيجي وبعضهم طلب ابراهيم بن الجمال طال القيل والقال وأشرف الأمر على الاختلال فأحضر مولانا قاضي القضاة بعض مفردات من العطر الموضوع بدكاكين أهل السوق ووضع بين يديه في المجلس العام وعرضه على محفوظ وابراهيم

المذكورين بحضرة أهل السوق فلم يعرفه واحد منهما وكان في المجلس من جملة تجار السوق المذكور الشيخ نور الدين علي بن الشيخ نور الدين الباواني فُسئل منه عن المفردات فذكرها فردا فردا ثم اختبره حضرة قاضي القضاة وامتحنه في غير ذلك فيما يتعلق بالعطر والأعشاب فأحسن الجواب واتضح أهليته وتبين كونه أولى وأليق وثبت أنه أحرق وأحق فعند ذلك قرره حضرة قاضي القضاة ونصبه وأقره شيخا على تجار السوق المذكور أسوة من تقدمه في ذلك وضح محفوظ المزبور وإبراهيم المذكورين من التعرض في ذلك وأبطل العمل بما يخالفه من الآن لما ظهر بعد الامتحان جرى ذلك في ثامن عشر شوال سنة ثلاث وألف .

ملحوظات :

— مكان الوثيقة — الشهر العقاري — سجلات محكمة الباب العالي ص ٦٣ ق ٢٧٩ ص ٧٧ .

يتضح من ذلك الآتي : كان يتم تعيين شيخ الطائفة أمام القاضي الذي يقره في عمله في نفس الوقت يمنع المعارضين له من التعرض له في عمله .

وفي حالة تقدم أكثر من مرشح لمشيخة الطائفة يقوم قاضي العسكر باختيار المرشحين في مواد صناعة الطائفة حتى يمكن اختيار الأجدر والأكثر فهما لأمور حرفتهم حتى يمكنه منع الغش والتدليس .

مراجعة قضاء الشكاوى على الرضا

ولاية المتوفى

وفتر ميار على
 ان يشاء الله تعالى يشعل على بحر الجسور الساطانية والبلدية
 باقليم المتوفى حسب الاوامر العالية المعظمة من حضرة
 مولانا المقام العالي المعظم داود باشا دامت مدته
 وزادت بهتته بالحكم العالي الذي مضمونه بعد التسليم
 المنسوب للرسم بالامر الكرم العالي الحاكم اعلاه الله
 تعالى وانقضاء ابريه الى كل واقف على امر الجناح العالي الحاكم
 الشرعي بالمتوفى وقابله بذلك المجلس العالي الكاشف
 بالاقليم والامير محمد ابن بغداد شيخ العرب يتقن اعلاهم
 ان لا يخافهم بلقت خواطرها للاسم الى ما فيه تمام النواهي
 والاقليم وحصول الرضا الكامل الشاغل لسائر بلاد الاقاليم
 ولا يكون ذلك الا باتفاق عمل الجسور السلطانية
 والبلدية ويحتاج الحال في ذلك الى المشي عليها
 الجسور السلطانية والبلدية بالاقليم وبحرير كل جسر
 عرضه وعمقه وطوله وما يجعل به النفع في جرفه والذي
 عادة جرفه على الجرافة السلطانية والذي جرفه على
 العالي النواهي ومقدار ما يصرف على الجسر السلطاني
 وما تحت كل جسر من البلاد وما يروي منه والجسر
 الذي يمل هو من ملازم الفلاحين جميع الخساي والرزق
 والاقواق اهل هو محتصن بمعاينة مغبين ومن المصلحة
 العامة والنفع في مساويا اهل الناحية في المرقا ام لا وبحرير
 ذلك جميعه وكتابه كل جسر على حدة السلطاني على حد
 والبلدية على حدة وبنيين ما في الاقليم من الجسور التي تركت
 بخير جرف حتى استندت وبنيين والسبب الموجب تركها
 بخير جرف ومدة ذلك وعل اذا عمر تلك الجسور يعود نفعها
 بما بين جرفه وعمارته في القديم ام لا وهل المصلحة في بقائه
 على ما هو عليه او عمله وما كان عليه الحال في عمارته القدي
 وهل عمارته على الديوان الشريف او عليه وعلى الاوقاف
 او عليهم خاصة او على من يروي منه وبحرير الخساي
 ايضا بالنواهي بسائر الاقليم وما يروي من الجسور وما
 يروي من البحر وما هو مخرج منها وما هو مسدود وهذا في
 المسدود ومصلحة او ابقاؤه على ما هو عليه اصل من حصة
 الجناح العالي الامير الكبري الا وحدي الاجم

العزيز الاسير محي الدين ابن ابو احمد ادام الله تعالى نعمته
 وجدد جسره لاجل ذلك كله فيستدبر بالاختيار وحرر
 الاسير محي الدين المشار اليه والشقي على الجسور المسماة
 جسور السلطانية والبلدية والبلدية بها ريسها
 له اعلاه من هذا المهم كذا الدين وكتابته في ذلك
 مجموع مفصلا في شقين في نسخة بخط اليد في الشريفة
 ونسخة المشار اليه ونسخة في نسخة من دون الكاشف
 محذوف ويحتل عليها كل من اقتصدت ويسمى الكاشف
 ويسمى على ذلك في ظاهرها والقيام في مصالح الجسور
 كلها بالاعليم يشهدوا باعتماد ذلك كالمشروع والمشروع
 في الجرف والقيام في ذلك بالقلب والقالب ما دام الظاهر
 من طبا والعمل سهلا وعدم التمسك من الجسور كلها
 بالاعليم السلطانية والبلدية طرفه عن خصوصها
 جسور وكل من عليه جرف في الجسور البلدية فيلتزم
 به طوعا او كرها وكل من تاجر عن ذلك او قصر لا يتوكل
 يتأهل ذلك الا جرة ويطلع بامر مساهمة العلماء للتمكين
 غاية المثال وقد شهدنا من اول الدفتر بطلان الجسور
 فيهم ترون ذلك كالاختتام ويحيطون علمه ذلك والله تعالى
 المودع بمنه وكرمه بالخير ثالث عشر في بيان الحكم
 سنة
 وتذبح مولانا قاضي مختصا المسلمين اولى ولاية الموحدين
 في كتاب الدين احد الروحي المسمى الناظر في الاحكام
 الشرعية بالاعليم المنوفية شراوت فلهذا عليه فاشبه في ذلك
 صحيفة السيد الفقير الى الله تعالى المحمدي بن محمد الدين
 ابن ابو حنيفة لطف الله تعالى به وحرره فاشبه المذكور لبا حوي
 فيه علي مسامح الاسير الكاشف المشار اليه الهلا بسلام
 بلد او جسر او جسر او لازم المشي على الجسور الا ان يكون
 فيه السلطانية والبلدية وجرفها الجرف المسمى المتين
 المانع المياة العاليه بعد ان اكتمل على مسامح النواحي
 الا ان ذكرها فيه ويجري الجسور البلدية المذكورة وحاشيتا
 وما يستحق ان حين تمام الرمي الكامل ولا بد لالة الجسور
 الا ان ذكرهم والجسور السلطانية كما حرروا ذلك في تاريخ
 اخرها باني شهر الله المحمدي المرام اقتتاح عام

٩٤٦

الحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل
 وروى الاسير السلطان من حمزة مولانا الولد برغبة الرضا بن
 والمشمس المسمى السلطان من حمزة مولانا الولد برغبة الرضا بن
 سمر الله له من التبرعات ما يشاء بموجب لذي المسجل
 بالتمتع اكثر من خطا بالافندي الموقوف بناهية ابيار كاشف
 ان لا يله بالمنوفية يقتد ذلك بمحكمة اسباب لذي شرفنا
 تان علي في يوم تحت ليل الاحسن المكرم عباد بن بيلك سمر
 النواحي السلطان بالسراحي الذي التفتوا مع جماعة
 المتقربين بالنواحي المذكورين ادناه قاضيها

ملحوظات :

- مكان الوثيقة : سجل الجسور السلطانية باقليم المنوفية
- رقم ١٣٥٦ .
- يتضح من ذلك قيام قاضي الاقليم بالاشراف على الري
- والجسور في اقليمه ويرسل اليه بذلك .
- يقوم القاضي بالمرور على الجسور هو او من ينوب عنه
- من نوابه .

٩٧٢ (٢٩٨٨)
هـ راسوال رفيع للسادة العلماء وى المتأملين
ويعطون اعلش مضمون

ما قول السادة العلماء المحققين والائمة من اهل المذاهب الاربع اولى الفضل واليقين جاهد الله وابنا ما ادى اليه الذي في صحيح
عامي قاطن بقا من مصر حيث ترزمر سوسا سلطانا معنونا بالحفظ الشهي متصفا بالكون بولاية تقاروا له لا يفتكنا الله من
والوعظ والامامة والقرارة والمجاسبات بالوقاف في الواقعة في القاهرة لم يوجبها ذلك الشخص بل انما يصح لها بالاستناد الى الكمال التقار
المذكورة وبمحاسبات الاوقاف على ايدى القضاة العساكر بمصر القاهرة قبل الفتح الحاقا في وديعة على ما تشهد به كل من كان في اوقاف المسلمين والعقار
القدمة في ايدى جم غير جمع كثر الى الان وانهما ذلك الشخص على ما تضمنه ذلك المرسوم بان القضاء ليسوا امتا بل خولته اهلان وجم على
فقدوا الاستقامة والاصناف وما اثبت ذلك في حق الشيخ بل في الامني ذلك المحر وطعه وارادة الاعتراف في هذا العهد النظم الى ان
الاوقاف بمصر القاهرة وحدها النظر بعد ان ارض الموتى عليها من اول الامر الى من يراه الخلق الشرعي الحنفى في ذلك فاما في مصر فكل من
التقار في محاسبات الاوقاف وصارت تلك الكتب الاوقاف التي تضمن شراها الوقف موقفا بها الى الان حيوات من القضاة الكبار في مصر
ما تصرف في مجرى المرسوم بل سكن فيها بتقرير القضاة المصريين على شرط الاوقاف وقد حقق بعض العلماء من جملة اهل القضاة ان الاوقاف في مصر
خاص بما لا يظلمه فاذا كان القاضي ناظرا خاصا بشرط له التقرر ولائته الولاية الخاصة بمقدما على اولاية العامة فله بيع ذلك الشخص الذي في القضاة
الدم الرمز ما يوافق في شرط الواقفين ان يقولوا التقار والمجاسبات ويصرف على خلاف شرط الواقف كجواب المرسوم الشرعي على قول بعض القضاة
الطبعة على ايدى القضاة الواقفين ان يجرى فيه شرط الاوقاف التي في شر لكان فيبقى في ايدي القضاة احرار كالحال الذي اولى ابايائنا في مصر
وعلى التكلان وهو محقق

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

[illegible]

درسه معوضه الرعاب والصلوة والامام على من اولى الحكمة وفضل الخطاب وعلى الرخزير والامام الخ
الحادثة وقعت مالمارة العزيرة بمصر المحمدية سنة خمس واربعين وثمان مائة الف من المجمع النبوية على ما فيها افضل الصلاة والسلام
كرومها اذا كالعاصر الامام العلامة الامام بين العلوم الثقيلة والفنون الادبية والعقلية والحقى اللورى
نا احد المولى العظمى والخط وان المعنى وقد حصل منصرنا السعيها اضطراب وقلق فتعود واحسن من هذا
له لغايتها في نفسها لا لزيادة حكمه الشرعى لان حكم الله اشرى فيها طار رجل لا يخفى على من علم الدين العزير
حينئذ ان لم ياجل لم يستغله بالقوا عد الاصول والبعث في ادلتها اربعة وثلاث اجواب على ما كان
صحة

والله اعلم بالصواب والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والله اعلم بالصواب والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والله اعلم بالصواب والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والله اعلم بالصواب والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والله اعلم بالصواب والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والله اعلم بالصواب والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والله اعلم بالصواب والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والله اعلم بالصواب والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والله اعلم بالصواب والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قائمة الاختصارات

ما بين علامتى التنصيص
مادة مستقاه من مصدر

سجل

س

وثيقة

ق

صفحة

ص

جزء

ج

طبعة

ط

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ع.م.هـ

B.S.O.A.S

Bultine of the school oriental
and African tudies.

* * *

الفهرس

الصفحة

٥	تقديم
١٣	المقدمة
١٩	الفصل الأول : القضاة في الدولتين المملوكية والعثمانية
٢١	— القضاة في مصر في العصر المملوكي
٤٧	— القضاة في الدولة العثمانية
٦٨	— هوامش الفصل الأول
٨١	الفصل الثاني : الاختصاصات القضائية للقضاة في مصر
٨٤	— قاضي العسكر واختصاصاته القضائية
٩٥	— قضاة الشرع في الأقاليم واختصاصاتهم القضائية
١٠٣	— القسام
	(أ) القسام العسكري واختصاصاته
١٠٤	القضائية
	(ب) القسام العربي واختصاصاته
١١٥	القضائية

الصفحة

	— قضاة الأخطاء في القاهرة واختصاصاتهم
١٢٦	القضائية
١٣٦	— الباشا العثماني واختصاصاته القضائية
١٤١	— انحسار الولاية القضائية للقضاة
١٥١	— هوامش الفصل الثاني
١٧٥	الفصل الثالث : الدور الإداري والسياسي للقضاة ...
١٧٧	أولا : الدور الإداري
١٧٨	— الدور الإداري لقضاة العسكر
١٩١	— الدور الإداري لقضاة الشرع في الأقاليم
٢٠٥	ثانيا : الدور السياسي
٢١٠	— دور القضاة في الوساطة السياسية ...
٢١١	— موقف القضاة من فتنة السباهية
٢١٥	— موقف القضاة من فتنة أفرنج أحمد
٢١٨	— هوامش الفصل الثالث
٢٣١	الفصل الرابع : الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقضاة
٢٣٣	أولا : الحياة الاجتماعية
٢٣٤	— الأصول الاجتماعية للقضاة
٢٣٩	— علاقة القضاة بالطبقة الحاكمة
٢٤٥	— علاقة القضاة بالشعب المصري
٢٥١	— تعليم القضاة ونتاجهم الأدبي
٢٦١	ثانيا : الحياة الاقتصادية للقضاة
٢٦٢	أولا : الموارد المالية للقضاة
٢٦٢	— الرسوم القضائية للقضاة ومرتباتهم
٢٦٨	— الأنشطة الاقتصادية للقضاة

الصفحة

٢٧٣	ثانيا : الاختصاصات الاقتصادية للقضاة ...
٢٧٣	— الاشراف على الأوقاف ...
٢٨٧	— هوامش الفصل الرابع ...

الفصل الخامس : معاونو القضاة

٣٠١	— العدول ...
٣١٠	— الكتاب ...
٣١٧	— الخبراء ...
٣١٩	— كشاف الأوقاف ...
٣٢١	— المحضرون ...
٣٢٥	— الانكشارية ...
٣٢٦	— أمناء السجلات ...
٣٢٧	— المترجمان ...
٣٢٩	— وكلاء الدعاوى ...
٣٣٤	— المفتشون ...
٣٤٤	— هوامش الفصل الخامس ...
٣٥٥	— الخاتمة ...
٣٦١	— الملاحق ...
	— ملخص الرسالة ...

صدر في هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ :
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٢ - علي ماهر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى ،
عليه عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمعي المطيعي ، ١٩٨٧
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي ،
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية ،
د. علي بركات ، ١٩٨٧
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزي ، ١٩٨٧
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضى ، ١٩٨٧
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير ،
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨
- ١٣ - أكذوبة الاستعمار المصري للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

- ١٤ - مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي ،
د. علي حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى في مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢) ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨
- ١٧ - القضاء الشرعى في مصر في العصر العثمانى ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية ،
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨
- ٢٠ - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
- ٢١ - التصوف في مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨
- ٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثمانى ج ٢ ، امام التصوف في مصر : الشعرانى ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٤ - الصحافة الوقدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
د. نجوى كامل ، ١٩٨٩

- ٢٥ - المجتمع الاسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د. أحمد
عبد الرحيم مضطفى ، ١٩٨٩
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد
١٩٨٩
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد
١٩٨٩
- ٢٩ - مصر فى عصر الاخشيديين ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
- ٣٠ - الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٩
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضاع
الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة
حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠
- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د. احمد عبد الرحيم
مصطفى ، ١٩٩٠
- ٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادية والاجتماعى في العصر
العثماني ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٧ - ١٨٤٤) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- ٤٠ - الاسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨
د. عبد المنعم الدسوقي الجميلى ، ١٩٩٠
- ٤١ - محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني ،
د. محمد عفيفي ، ١٩٩١
- ٤٥ - الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتقديم : د. حسن
حبشى ، ١٩٩١
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ - ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

- ٤٧ - تاريخ القضاء المصرى الحديث ،
د . لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١ .
- ٤٨ - الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،
د . زبيدة عطا ، ١٩٩١ .
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) ،
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢ .
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٣ .
- ٥١ - تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الاعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢ .
- ٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن
الثامن عشر ،
د . الهام محمد على ذهني ، ١٩٩٢ .
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د . محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢ .
- ٥٤ - الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،
د . محمد عفيفى ، ١٩٩٢ .
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د . حسن
حبشى ، ١٩٩٢ .
- ٥٦ - المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم
المنوفية ،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٢ .
- ٥٧ - مصر الاسلامية وأهل الذمة ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢ .

- ٥٨ - أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،
د. ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية فى مصر ، من التمهيد الى التأميم
(١٩٥٧ - ١٩٦١) ،
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ،
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم
رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة
وثائقية ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧) ،
سهام نصار ، ١٩٩٣
- ٦٦ - المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ،
د. نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٣
- ٦٧ - مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات
جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

- ٦٨ - الحروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ١٩٩٣
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١) ،
د. محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤
- ٧٠ - أهل الذمة في الاسلام ،
تأليف : أ. س. ترتون ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ،
ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر
في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،
أمنية أحمد أمام ، ١٩٩٤
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، في العصر الفرعوني
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤
- ٧٥ - أهل الذمة في مصر ، في العصر الفاطمي الأول ،
د. سلام شافعي محمود ، ١٩٩٥
- ٧٦ - دور التعليم المصري في النضال الوطني (زمن الاحتلال
البريطاني) ،
د. سعيد استماعيل علي ، ١٩٩٥
- ٧٧ - الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ١٩٩٤

- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دي يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٥
- ٨٠ - قنينة السويس والتنافس الاستعماري الأوروبي
(١٨٨٢ - ١٩٠٤) ،
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى
نصر أكتوبر ،
د. رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥
- ٨٢ - مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
- ٨٥ - تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في مصر الحرة الاقتصادية
(١٨٤٠ - ١٩١٤)
د. أحمد الشربيني ، ١٩٩٥
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د. عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩٥
- ٨٨ - التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥

- ٨٩ - تاريخ الموائع المصرية في العصر العثماني ،
د. عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية ،
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف: ييتر مانسفيلد : ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٦
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)
ج ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦
- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،
د. نبيه بيومي عبد الله ، ١٩٩٦
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)
ج ٢ ،
د. سهر اسكندر ، ١٩٩٦
- ٩٥ - مصر وأفريقيا .. الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة ،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدها للنشر د. عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة د. عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من
القرن التاسع عشر ،
د. ايمان محمد عبد المنعم عامر
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د. محمد سيد محمد

٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني -
الروماني) ج ٢ ،

د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،

١. د. عبد العزيز صالح ، ١. د. جمال مختار ،

١. د. محمد ابراهيم بكر ، ١. د. ابراهيم نصحي ،

١. د. فاروق القاضي ، أعدها للنشر : ١. د. عبد العظيم

رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،

اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد

كفاقي ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢ ،

د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ - رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره ،

د. على بركات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢) ،

د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ -

١٩٨٧) ،

د. أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية

في ربع قرن ، ج ٢ ،

د. سليمان صالح

١٠٧ - الأصولية الإسلامية في العصر الحديث ،

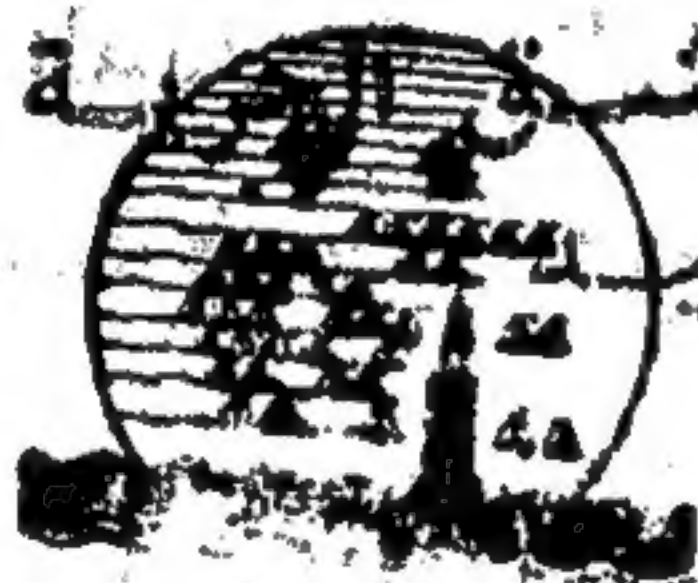
تأليف دليب هير ، ترجمة : عبد الحميد الجمال

١٠٨ - مصر للمصريين ، ج ٤ ،

سليم خليل النقاش

ب. د. محمد عبد الحليم

- ١٠٩ - مصر للمصريين ، ج ٥
سليم خليل النقاش
- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ، ج ١ ،
د. البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ، ج ٢ ،
د. البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١٢ - اسماعيل باشا صدقي
د. محمد محمد الجوادى
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصرى)
د. اسماعيل عز الدين
- ١١٤ - دراسات اجتماعية في تاريخ مصر ،
أحمد رشدى صالح
- ١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ج ٣ ،
أحمد شفيق باشا
- ١١٦ - أديب اسحق (عاشق الحياة) ،
علاء الدين وحيد



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
رقم الايداع ٩٧٧/٠١/٥٢٩٨

الترقيم الدولى 6 — 5298 — 01 — 977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة



1919

هذا الكتاب قام الباحث بتقسيمه إلى خمسة فصول،
عالج في الفصل الأول منها نظام القضاء في الدولتين
المملوكية والعثمانية، وعقد مقارنة بين النظامين، أما الفصل
الثاني، فتناول فيه الاختصاصات القضائية في مصر في العصر
العثماني، وحدودها وتوزعها بين القضاة من جهة والوالي
العثماني من جهة أخرى.

وفي الفصل الثالث تناول الدور الإداري والسياسي للقضاة،
واختصاصات «قاضي عسكر»، واختصاصات قضاة الشرع في
الأقاليم، أما الفصل الرابع فتناول فيه الباحث الحياة
الاجتماعية والاقتصادية للقضاة، وأصولهم الطبقية، وحياتهم
العلمية ومراتبهم. وفي الفصل الخامس والأخير تناول الجهاز
المعاون للقضاة من الشهود والكتبة والوكلاء والخبراء وأمناء
السجلات والانكشارية والمحضرين، والاختصاصات المنوطة
بكل منهم.